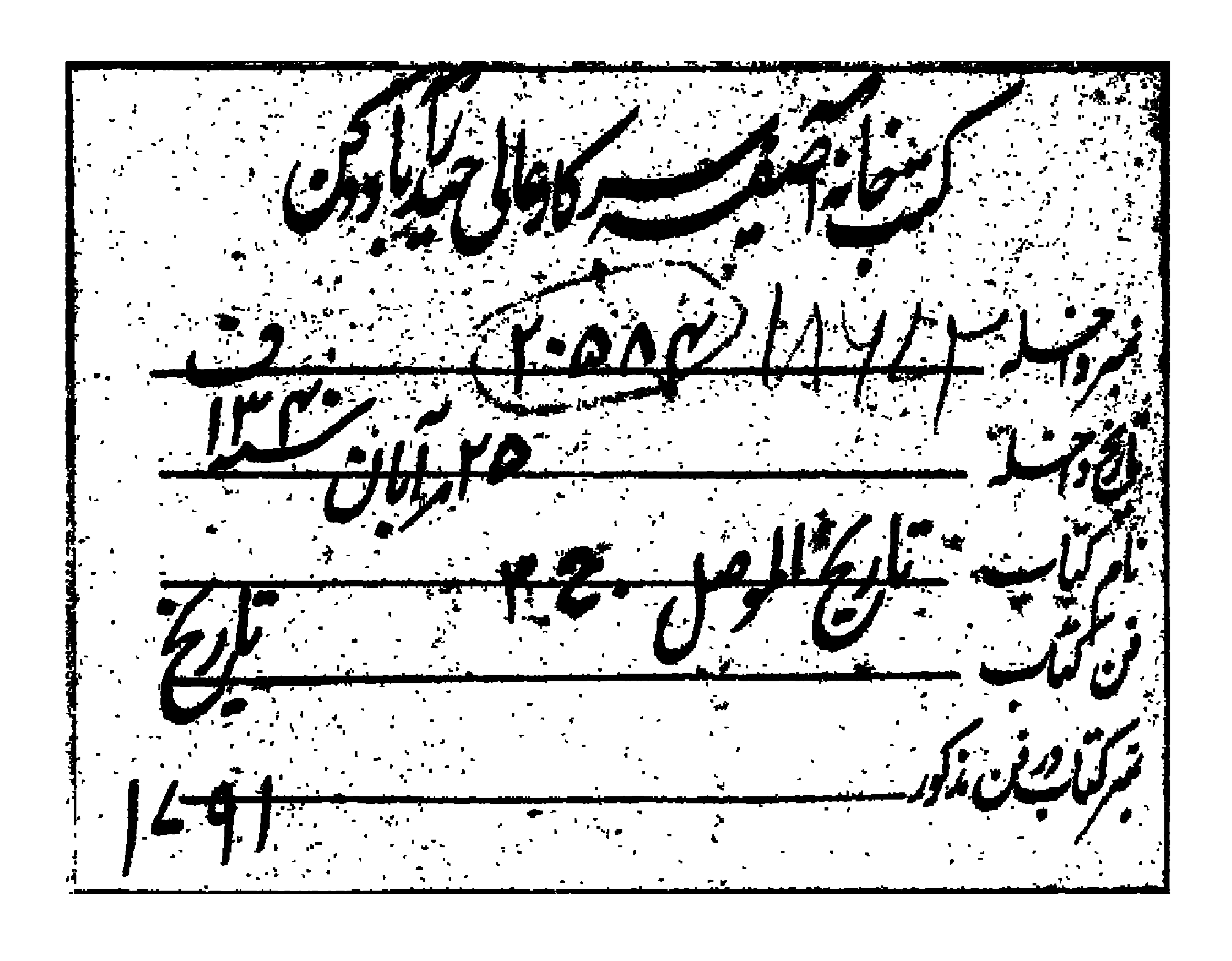
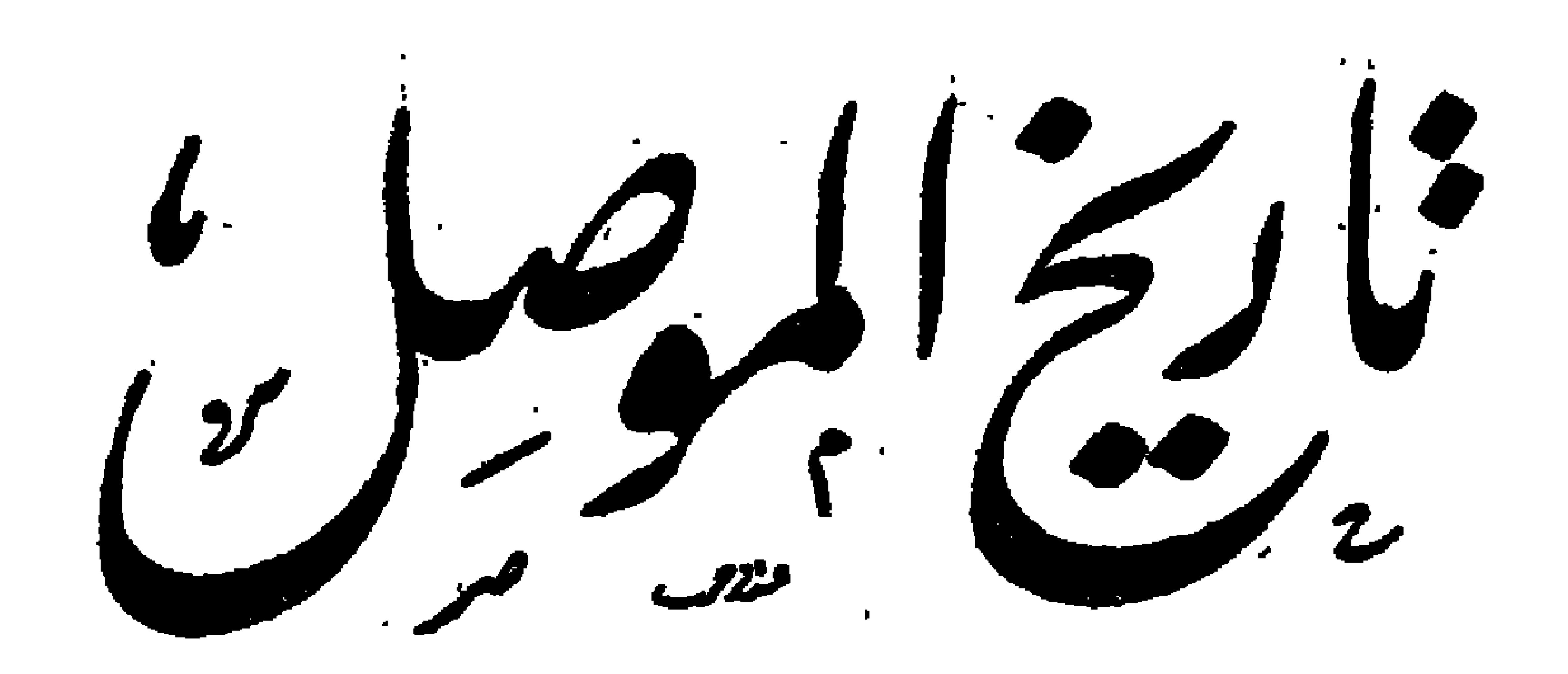






لمؤلفه

القس سليمان صائغ

الجزء الثاني

HISTOIRE DE MOSSOUL

PAR

SULEIMAN SAIGEH

Prêtre Chaldéen

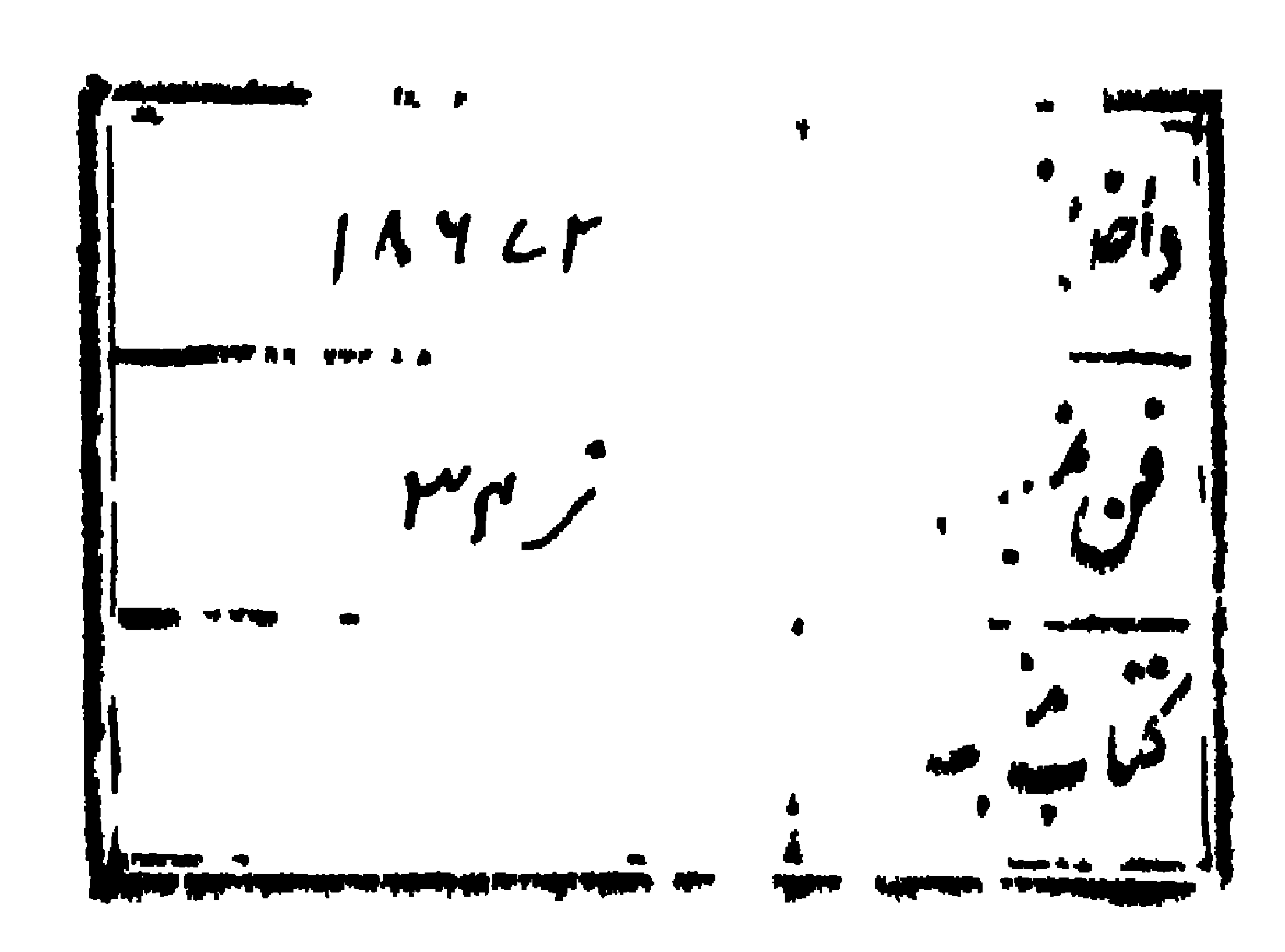


طبع

في المطبعة الكاثوليكية

بيروت

سنة ١٩٢٨



المقدمة

نال كتابنا الجزء الاول من تاريخ الموصـــل استحسان وتشجيع بعض الصحف والمجلات ولم يحظَ بنقدٍ علمي عدا ما جاء به واحد او اثنان في احدى المجلات من الملاحظات التي لا يُؤبه لها لعدم اهميتها وخلوها من نقد صحيح يمكننا ان نجني منهُ فائدةً ما

وها اننا الان ننشر الجزء الثاني الذي يدور بحثه على الحركة الادبية في الموصل مع ذكر نوابغها . وجرينا في تبويبه على نسق الجزء الاول معتبرين عصور الدول التي حكمتها فعُنينا في جمع شتـــات المؤلفين والادباء الموصليين من بين صحف الكتب الضخمة وجعلناهم من اهل العصر الذي فيه قضوا نحبهم واسهبنا خاصة في احيـاء ذكر المؤلفين والادباء الذين نبغوا في العصر التركي وهو العصر الذي خمدت فيه تقريباً عاطفة تخليد ذكر نوابغ الشعر والادب العربي فلم يُنشر لهم اثر ام ترجمة

فحرصا على اثارهم لئلّا تُطمس في ظلمة الاجيال وحفظاً على اسمائهم ومآثرهم لئلّا تغتالها يد الضياع صرفنا جلّ اهتمامنا بجمع اخبارهم ،مدونة كانت ام مـــأثورة ونشرنا شيئاً من آثارهم على قـــدر الاستطاعة فاصبح هـــذا الكتاب الادبي خاصاً بالموصل. وما عدا ذلك فقد لخصنا لكل عصر بحثاً عمومياً عن حالة العلم والادب في الاقطار العربية تنويرًا للبحث الخاص ليكون اجلى بياناً واعمّ فائدةً

المخطوطات التي نقلنا عنها في هذا الكتاب

لم نذكر في هذا الجدول الكتب المطبوعة التي استقينا منها لاننا اشرنا في محله الى كل كتاب نقلنا عنه مع تعيين الصحيفة واكتفينا ان نذكر هنا المخطوطات فقط

١ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء لمحمد امين بن خيرالله العمري
٢ شمامة العنبر والزهر المعنبر لمحمد بن مصطفى العلامي
٣ نزهة الدنيا لعبد الباقي العمري صاحب الديوان الفاروقي
٤ الطومار الجليلي
٥ الزهور العواطر (مجموعة لاشهر شعراء الموصل)
٦ الموصليات (مجموعة ثانية » » »)
٧ صندوقة المعارف (مجموعة ثالثة وجدناها في مكتبة المرحوم الحاج امين بك الجليلي)
٨ التراجم العمرية
٩ المجموعة الصابونية (ما انشده الادباء والشعراء في المرحوم الحاج محمد توفيق باشا الصابونجي)
١٠ كتاب المؤلفين للاب شموئيل جميل

وقد وصفنا بعض هذه الكتب في تراجم مؤلفيها

توطئة

اقتصرنا في الجزء الاول على العصور التي عقبت الفتوحات الاسلامية لقلّة المآخذ والمراجع في تاريخ الموصل ودیارها من قبل الاسلام ثم لان الموصل لم تُعدّ من العواصم العربية الكبيرة الّا ما بعد هذا العصر. وقد صدّرنا الجزء الاول بتوطئةٍ موجزة عن احوالها السياسية ما قبل الفتح الاسلامي واوجزنا بحثاً في حدیاب (دیار الموصل) وهو الاسم الذي منهُ نُحتت صفة الموصل « الحدبا »

ولما كان موضوع هذا الجزء الثاني البحث في حالة الموصل العلمية والادبيــة في سائر ادوارها فاننا نود ان نسير على سياق الجزء الاول ونوطئــه بفصل من الموضوع عينه خاص بالعهد الذي سبق الفتح الاسلامي

لا خلاف ان من العرب قبائل شتى استوطنت ديار الموصل قبل التاريخ الهجري ومنها قبائــل من عرب اليمن (المسعودي ج١ : ٩٢ الطبعة الازهرية) ومن قضاعــة (الحموي وابن خلدون٢ : ١٧١) ومن قبائل الشمال كربيعة ومُضَر وبني أسد وقــد ذكر المؤرخ الحديابي (مشيحَزخا طبعة منجنا) عن الاعراب الذين كانوا مستوطنين في حدياب ومنهم نقّالة الّا انهُ لم يذكر اسماء قبائلهم وهذه الاقوام العربيــة لم تشترك في الحركة العلمية النافقة يومئذٍ في سوق الاقوام الاراميّة القاطنة في حدياب وهذه حقيقة لا تحتاج الى دليل فانهُ لم يرد في كتب التاريخ عن اشتهار احد اعراب الموصل بعلم او بادب الّا ما بعد التاريخ الهجري

القوميّة الاراميّة

ان معرفة اصول الشعوب ومعرفة منازلها واخلاقها وتطوراتهــا هو علم عويص عسر المنال شحيح المنابع خاصة اذا كانت الشعوب واحوالها مكتنفة بظلمات العصور الغابرة. نعم هو علم حديث المنشأ كبير المبادئ والفروع لكنهُ سريع التبدّل فكم

من الآراء والقضايا التي انزلها ارباب الابحاث الاصوليون في القرن المنصرم منزلة الحقيقة الراهنة لكن المحققين من عصرنا رذلوها واستبدلوها باراء واحكام جديدة وربما هذه الاراء الجديدة المعوّل عليها اليوم تُعدُّ في المستقبل كاذبة وذلك بعد اكتشاف جديد ام اثر جديد . هذا شأن علم الانساب بالعموم ومن هذا القبيل هي القومية الارامية فان امتزاج اسمها باسماء شعوب كثيرة يجعل تاريخها غامضاً اذ انهـا قلما امتازت على كرور الاجيال بخاصةٍ مميزة او اتّسمت بسمةٍ قومية فارقة . فدورها في التاريخ القديم كان ابداً وبلا استثناء دوراً ثانوياً بحيث ان الباحث يجد للاراميين اسماً في اخبـار جميع الشعوب الدائرة ويراهم مشتركين في اهمّ تواريخ الازمنة القـديمة ومشاطرين الاقوام الشهيرة تطوراتهم من اقبال وادبار

فعلى الرغم من هذه الظواهر البـارزة لم يختص الاراميون بنفوذٍ ثابت عصراً من العصور ولا كانت لهم علامة فارقة كما كان للامم الكبيرة كالمصريين والآثوريين والفرس او كما كان للشعوب الصغيرة كالفينيقيين والعبرانيين وغيرهم . فلذا يتعذر على المحقّق ان يعرفهم حق المعرفة وان يحدّ بلادهم وان يبين تأثير العـالم القديم عليهم او تأثيرهم عليه . وقصارى القول ان في ظهور العنصر الارامي في التاريخ وسهمهُ في الحوادث العمومية وتأثيره في الجمعية البشرية اموراً بيّنة قدر الكفاية ولكن ليس كما يُقتضى لتمييزها تمييزاً تاماً

ذهب بعض المحققين الى ان اسم الاراميّين كان شاملاً الكلدانيين والآثوريين والآدوميين والنبطيين . امّا الشعوب الارامية التي استوطنت بقعة حدياب فهي ولا ريب مزيج من سكنة هذه الديار القدماء اعني الآثوريين والانباط وهم من ولـد ارام خامس اولاد سام وقد رحلوا من شواطئ دجلة والفرات فسكنوا مدينة بترا على عهد بختنصر الثـاني وسكنوا البراري وشكلوا مملكة عظيمة كانت تمتدّ من جهة الفرات على خط عظيم من شمال الحجاز الى الشام مارّةً على حوران

وقد انصرف الانباط الى المتاجر بما كان يرد على سواحـل البحر الاحمر واشهر اسواق تجارتهم هجَر وتيماء وبترا وبُصرى . ثم اسسوا على الخليج الفـارسي مستودعاً تجاريًّا هامًّا (كراك) جنوبي بندر عباس كما تدلّ آثارها على عظمة اهميتها في الاجيال القديمة . وكانت قوافلهم تقطع الفيافي الى بترا فتزنة فتدمر وهي اهمّ المراكز التجارية

في آسيا قديماً وعلى هذه الصورة كانت قوافل البضائع اليمنية والهندية تقطع المسالك الوعرة الى مصر فالبلاد الرومانية

ومما لا ريب فيه ان التجارة النبطية لعبت ايضاً دوراً مهماً على سواحل دجلة ما بين امارات حطارا وبيت گرماي (باجرمي) وحدياب فان في عاديّات تياء دليلاً واضحاً على العلاقات التجارية مـا بين القطرين الاثوري والنبطي وعلى امتزاجهما في المدنيّة والاخلاق

وكان الانباط المشتهرون بتعبئة الجيش قد جنّدوا فرقاً من الجنود صوناً لعلاقاتهم التجارية من الطوارئ الناجمة عن انفصام عروة الامن بالحروب التي كان يثور ثائرها في عهد حكم الفرثيين بينهم وبين اليونانيين والرومانيين. واستمرّ الانباط على ذلك حتى حمل عليهم طرايانوس القيصر الروماني حملة شعواء زعزعت اركان دولتهم وقضى على مدنيّتهم وتجارتهم قضاء مبرمـاً فهبطوا الى اسفل الفرات وعمدوا الى المناجع والمنابت الخصبة وانصرفوا الى الفـلاحة فسكن معظمهم صوب الحيرة والكوفة ودُعيت لذلك صقع الاراميين (بيت ارمايي) كما يسميها المؤرخون الاراميون . ثم سارت قبائل من الانباط الى شمالي ما بين النهرين (ميسوبوتاميا) فامتزجوا بسكنة القطر وتشكلت منهم عوائل مختلطة ما بين الجنس النبطي والجنس الاثوري ومنها كان اهالي امارة حدياب غالباً

ان فريقاً من المؤرخين اليونانيين والرومانيين لم يفرقوا بين الانباط وبين العرب لامتزاج المساكن والاخلاق واللغة تقريباً مثل ديودور الصقلّي وسترابون وتاسيتوس وبلينوس وقد نقل دوقال في تاريخ الرها مذاهبهم في ذلك على علّاتها (ص ٢٦)

جغرافية حدياب ومدنيتها

كانت حدياب قبل التاريخ الميلادي تمتـد من الزاب الاكبر الى الزاب الاصغر ومن دجلة الى اذربيجان وهي البقعة التي تحدّ الموصل وتمتد من شرقيها الى حـدود العجم . وبعـد انتشار الديانة المسيحيـة تماماً اتسعت حدياب اتساعاً عظيماً بحكم العلاقات والمواصلات الدينيّة وصارت تشتمل على اذربيجان وعلى بقعة نينوى كلهـا فكانت تمتدّ اذاً من الزاب الاصغر الى الخابور وربما الى نهر خزلة ومن حدود وان

الحالية واطراف اورمية الى دجلة. وكانت اربيل اكبر عواصمها الى ان تعمرت الموصل فقامت مقامها في الاهمية

كانت حدياب كثيرة العمران عديدة المدن والقرى. وقد ورد في كتب التاريخ اكثر اسماء بلادها وقراها غير ان العلماء لم يتوفقوا الى تعيين مواقعها ما سوى عدد نزر ومن اهمها نينوى (وهي ليست نينوى الاثورية بل نينوى المسيحية التي تشيدت بعد خراب الاولى في موقع النبي يونس) ثم بيت نوهدرا او بانهدرا وتشمل زاخو ودهوك وتمتد الى قرى شمال الموصل ثم المرج وبشتمل على قضائي العقر والزيبار ثم حانيثا ويغلب انها كانت قريباً من وادي راوندوز عند الزاب الصغير ثم خربات كلال مدينة على الزاب الصغير. وسالاخ مدينة بجوار راوندوز. وحبتون على الجانب الايسر من الزاب الكبير. ورامونين كانت في الشمال الغربي من اربيل. وشهرقرد مدينة مهمة بين داقوقا واربيل. وما عدا هذه يرد اسماء مدن وقرى كثيرة في اخبار شهداء المشرق كانت في بقعة حدياب

وكان اهالي حدياب يشتغلون في فلاحة الاراضي وهي الحرفة التي اشتهر بها الآثوريون وكانوا ايضاً يزاولون التجارة وهي مهمة الانباط خاصة (طالع ماسپرو: تاريخ الشعوب الشرقية القديمة: ١٩١٢: ٧٦٧) وذكر المؤرخ الحديابي ان شأن التجارة كان عظيماً بين اربيل والرها وانطاكية في بدء التاريخ الميلادي وبعده وقد أيد ذلك ايضاً اوسابيوس القيصري

اما صنائع حدياب وان كنا لم نقف على امرها منصلاً في حدياب الّا اننا لا نرتاب برقيها فيها بالدرجة التي كانت عند اسلافهم الآثوريين خاصةً اذا اعتبرنا قرب عهد الحديابيين بهم كنسج الاقمشة الملونة والصباغة والتطريز والتمويه بالذهب والفضة وصنع التماثيل والاشغال الخزفية وطرق الاوعية المعدنية والبناية والفلاحة وتربية الحيوانات الداجنة الى غير ذلك

ديانة حدياب الوثنية

لم تكن الوثنية في حدياب في عهد ظهور الديانة المسيحية في وادي دجلة الّا عبارة عن الديانة المزدية المشوبة بخرافات غريبة عن ديانة زرادشت كعبادة الاشجار وعيون

الماء والمغاور وهذه لم توجد عند الآثوريين ولا عند الفرس . اما عباداتهم الاساسية فكانت للنار وللشمس وهذه فرع من الديانة الزردشية (ماسپيرو ٦٢٠ و ٦٢٢) . وكانت عبادة الشمس والنجوم السيارة من اهم المعتقدات عند الآثوريين (هارفي : التاريخ القديم : ٤٥ وماسپيرو ١٦٤) وجرى الحدياييون مجرى الفرس الزردشتيين في تقديم الانسان ضحية للنار (ماسپيرو ٦١٢) فكان لهم عيد للنار يحتفلون به ويدعونه شهرا بكمود . نقل المؤرخ الحدياني عن هابيل الكاتب وقد شهد عيد النار في اربيل قال : «يقع عيد النار في شهر ايار فيجتمع اهل المدينة الى عين ماء كبيرة وبعد الاستحمام يعمدون الى إعداد المطاهي لكنهم لا يأكلون منها حتى يلتوا ولداً من اولادهم طعمة للنار اكراماً لها وقبل ان تلتهمه تماماً يخرجون بقيته فيأخذون منه الكبد ويعلقونه باحد اغصان الشجر تبشيراً بالعيد ثم يطلقون اسهمهم في الفضاء علامة على افراحهم ثم يعودون الى دورهم (ص ٤٤)» وكان المجوس يرئسون هذا الشعب في دينه ورئيسهم «موبدان موبد» يقيم في قطيسفون عاصمة المملكة ويشاطر الملك في نفوذه . وكان الملك قد عهد الى طائفة المجوس بسائر امور الدين واطلق لهم فيها الحرية التامة فكانوا يتحكمون في الشعب ويتصرفون في متعلقات الدين ويقاصون بالقتل والنفي والضرب . حكى المؤرخ الحدياني ان احد اساقفة حدياب انطلق الى قطيسفون ليستعطف ارقاش الملك الى المسيحيين وينال منه توصية الى المجوس بحياتهم . وقد تضاعف نفوذ المجوس خاصة في الدولة الساسانية فكانوا هم الحكام المطلقين والقضاة على حياة من لا يدين بالوثنية

امارات حدياب

ذكرنا في توطئة الجزء الاول عن الدولة الارثية ومنها ملوكيات الطوائف التي يصعد بدء نشوئها الى العهد السلوقي اليوناني وكانت على شكل المقاطعات الجرمانية في القرون المتأخرة . ومن [illegible] الملوكيات كانت [illegible] لغة وجنساً الا انها لم تتحد ابداً لتتيح [illegible] تلك الملوكيات الارامية

كان الملك الفرثي او الارشاق يقيم في قطيسفون (١ عاصمة مملكته وكانت سلطته على ملوك الطوائف اقلّ بكثير من سلطة الخليفة العباسي على الامارات الاسلامية المنسلخة من الدولة العباسية كالحمدانيين فيما بين النهرين والبُوَيهيين في فارس والاخشيديين في الشام والسامانيين في خراسان اذ كان واجب الدين والسلطان يقضي عليهم بتقديم الطاعة والضمان السنوي والخطبة باسم الخليفة. اما ملوك الطوائف فلم يكونوا يلتزمون نحو الارشاق الّا ان يرافقوه بعساكرهم في حملاته وحروبه. وقد ذكر المؤرخ الحديابي عن شهراط ملك حدياب وعن مرافقته لارطيبان الرابع وهو الارشاق الواحد والثلاثون (٢٠٨ــ٢٢٦) في حروبه مع مقرينس قائد جيوش قراقلّا القيصر الروماني. ولمّا كان يعصي احدهم ويأبى مرافقة الارشاق في غزواته وحروبه يلقى جزاءه بحملة عنيفة يحملها عليه الارشاق فيدمّر بلاده ويقبض عليه ويميتهُ شرّ ميتة كما جرى لنرسي ملك حدياب حينما زحف عليه اولغاش الرابع ملك الفرثيين (١٩١ــ٢٠٨) فدمّر بلاده وفتك في جنوده وأهلك غرقاً في النهرلانه ابى ان يرافقهُ في غارته على الفرس

فكانت ايام هذه الدولة مشحونة بالاضطرابات والحروب الخارجية والداخلية وكانت الغارات تتوالى على بلادها خاصة من الشعوب الجبلية البعيدة المجاورة لبحر قزبين وبجتريا والاوكسوس. ومن اشدّهم صولة الخوارزميون الذين كانوا يقطنون شمال طبرستان ومازندران. ثم الجيليون او الجيلان وهم قوم من البربر كانوا يقطنون غربي بحر قزبين ما بين سيروس وماردوس كما يسميها اليونان ثم الديلم

---

١) ساليق وقطيسفون هما المدينتان الشهيرتان وسُمّيتا مع ما يتبعهما بالمدائن. وكانت ساليق على الضفّة اليسرى من دجلة وعُرفت قديماً بكوخي ثمّ جدد بناءها سلوقوس نيقاطور احد قواد اسكندر المقدوني وزخرفها ودعاها باسمه ساليق. وسميت ايضاً اردشير لما جددها اردشير الاول ملك الفرس. امّا قطيسفون فقد شادها الملوك الفرثيون على الجانب الايمن من دجلة وقد ذهب بعض العلماء مع المعلم الكبير مار افرام الى ان قطيسفون هي مدينة كَلْنه المذكورة في سفر الخليقة «وكان ابتدا ملكه (نمرود) بابل ارك اكاد وكَلْنه في شنعار»

وكانت هاتان المدينتان قاعدة مملكة الفرثيين والساسانيين وبينهما قلعة الماحوز وموقعها في سلمان باك جنوبي بغداد. وقد جاء في تواريخ الكلدان ان اسم ساليق وقطيسفون والمدائن والماحوزا وكوخي بمعنى واحد ولها في تواريخهم شأن خطير لانها كانت مركز اقامة بطريرك المشرق

والكوركيانيون وكانوا مستوطنين في احدى مدن الخوارزم وسُمّوا بذلك نسبة الى مدينتهم كوركانيا(Chron.Syr ٤٤٥). هذا عدا الحروب التي كانت تدور رحاها بينهم وبين الفرس والرومانيين . وكان بعض القياصرة الرومانيين قد دوّخوا بلادهم واستولوا على سواحل دجلة وعلى حدياب واشهرهم طرايانوس ثم سويروس وهذا نزل على قطيسفون سنة ١٩٧ــ١٩٨ وافتتحها واضاف حدياب الى مملكته (هارفي ٥٢٠) وبعده ابنهُ قراقلّا حارب ارطبان الرابع سنة ٢١٦ وتقدم الى حدياب فافتتح اربيل وملكها (هارفي٥٧٥) ثم ان شهراط احد ملوك حدياب عقد اتفاقاً مع مقرينس قائد الحملة الرومانية سنة ٢١٦ واستعادها ثم هادن الفرس متفقاً مع دومطيانا ملك كرخ سلوخ(كركوك) وحالفهم على الفرثيين ولا يبعد ان يكون هذا التحالف لخوفهما من انتقام الفرثيين وتخلّصاً من عسفهم وجورهم. فاعدّ الفرس حملة قوية ءالأهم عليهما شهراط ودومطيانا وكانت الحرب طاحنة بينهم وبين الفرثيين فدارت الدوائر على المملكة الفرثية فسقطت سقوطاً نهائيًا سنة ٢٢٦ ميلادية

اما الملوك الذين حكموا حدياب في عهد الدولة الفرثيـة فلم نعثر على اسماء جميعهم وقد عرفنا بعضهم من كتاب اخبار شهداء المشرق (طبعة بيجان) وكتاب مشيخزخا وهذه اسماؤهم: سنطروق الذي ملك حدياب سنة ٩١ــ١٠٩ بعد الميلاد ويُروى عنهُ انه قتل الرسولين تاداوس وبرتلماوس. ومن المرجح انهُ استولى على بلاد الرها وسكن في نصيبين المعدودة وقتئذٍ من حدياب (اطلب غوتشميد في تاريخ مملكة الرها) وورد من اخباره في تواريخ الارمن انهُ كان ابن اخت ملك الرها الابجر المعروف باوكاما اي الاسود المتوفى سنة ٥٠ميلادية (طالع المشرق ٧: ١٩١٢: ٥٠٩). واشتهر منهم ايضاً راقباخت سنة ١٤٩ ثم نرسي ١٨٩ ثم شهراط سنة ٢٢٥ وجاء في تاريخ اوسابيوس القيصري ذكر اسم هيلينا ملكة حدياب

وقامت بعد الدولة الفرثية دولة الاكاسرة الساسانيين وقد رأت من مصالح بلادها ان تقضي على ملوكيات الطوائف وان تبدل شكل الادارة الفرثية فاحتاز اردشير بن بابك اول الملوك الاكاسرة نفوذا عظيماً حتى انزله الشعب منزلة الالهة وسماه ملك الملوك. فبعد ما زعزع هذا اركان هذه الدول الصغيرة واخصّها الرها وميشان وحطارا وبيت جرماي وحدياب ضعضع نفوذ ملوكها ارسل ولاته عليها وعلى بقية

البلاد لادارة الشؤون الداخلية واقام على الحدود لحفظ الامن الخارجي قوادَ العساكر وهم المرازبة اي حفظة الحدود . يقول المؤرخ الحديابي ان اردشير اول الملوك الساسانية جعل على حدياب اول والي آذورزهاد (ص ٣١)

ومن المحتمل القريب ان بعض ولاة حدياب طمحت نفوسهم الى الاستقلال ورفعوا لواء العصيان على ملك الملوك الّا ان مساعيهم لم تنجح لشدة سطوة الساسانيين وبأسهم وصولتهم في اخماد نار الفتن والحروب . فان المؤرخ الحديابي ذكر عن كوبرا شنسب والي حدياب انّهُ تمرد سنة ٢٣٦ على وارهاران الثالث وعزم على الاستقلال ببلاده فتمنع في الحصون وسارت اليه الجيوش الساسانية لكسر شوكته . ولما رأى زرهاسب القائد الساساني منعة حصونه عمد الى الحيلة فهادنهُ على الصلح واقسم له الأيمان المغلظة حتى وثق كوبرا شنسب بمواعيده وسلم نفسه . ثم ان قائد هذه الحملة غدر به فامسكه وحمله مكبلًا بالاغلال الى قطيسفون فامر الملك بكشط جلده حيًا وبتعليقه وامر المنادي ان ينادوا في البلاد هذا جزاء من يعدي على اوامر ملك الملوك وفعل ذلك ترعيباً لبقية العمال الطامعين في اعادة حكم ملوك الطوائف

اما ما جاء في اخبار الشهداء عن ملكين فما في حدياب في حكم الدولة الساسانية وهما سنحاريب وقد اوردنا قصتهُ في الجزء الاول واردشير في اواسط القرن الرابع فلا تخلُ لكاتب الا متاليًا في ذلك مثل كثيرين من كتبة ذلك العصر في وصفهم اميرًا او حاكمًا فيسمونه ملكاً ذا سطوة وبأس امّا تعظيماً له او اظهارًا لنفوذه وبطشه . وخلاصة القول ان حدياب لم يكن لها ملوك في زمن الدولة الساسانية بل كان يحكمها عمّال او ولاة هذه الدولة وهاك اشهر هولاء الولاة كما استفدناه من المؤرخ الحديابي ومن اخبار الشهداء

اذورزهاد سنة ٢٣٠	بيروزطمشابور سنة ٣٤٦
كوبراشنسب « ٢٣٦	آذورپري « ٣٥٥
باغراسب « ٣٤٠	

لغة حدياب الارامية

كانت اللغة الارامية الرهاوية منتشرة قبل ظهور الاسلام شرقًا الى امارة حدياب

وبيت جرماي وغرباً الى سوريا وشمالًا الى ارمينية واذربيجان وجنوباً الى اعمال بابل والاهواز واقليم ميشان والقطر . فهذه البلاد كان يقطنها الاراميون الذين بعد تنصرهم تركوا اسمهم القديم وسموا بالسريان المشارقة والسريان المغاربة ليمتازوا بذلك عن الاراميين الوثنيين . وكان العوام في هذه البلاد يستعملون لهجاتهم الارامية الخاصة . اما الخواص فكانوا يستعملون اللهجة الرهاوية وفيها كانوا يكتبون وهي لا تفترق عن بقية اللهجات الّا فروقاً طفيفة

كانت هذه اللغات في عهد ظهور الديانة المسيحية لغة كاملة واسعة غنيّة . ولا نفكر انها في اول امرها خضعت لتطورات كثيرة شأن كل لهجات العالم وبقيت هكذا حتى انتظم حالها فسادت على الخاصة والعامة واخذ اهلها يراعون حقوقها وقواعدها وقياساتها واساليبها في الانشاء . فكم منْ زمان دام هذا دور التشكل والتكمّل او ما هي الظروف التي ساعدت على تهذيب اللهجة الرهاوية وانتشارها فهذا لا يستطيع التاريخ ان يوقفنا عليه . وكلما نعلمهُ في هذا الشأن ان اللغة الارامية الرهاوية كانت في مبادئ ظهور النصرانية قد بلغت حدّين ثابتين اولهما عدم تغيُّر صورة كتابتها الاملائية كما دلّت عليها بعض الآثار كنقود ملوك الرها والكتابات الحجرية من عصرهم . ثانيها عدم تبدُّل اساليب الانشاء منذ ذلك العصر حتى العصور المتأخرة فانك اذا عمدت الى نسخة من نسخ المختارات التي يتداولها طلبة المدارس وقد أُدرجت فيها مصنَّفات اشهر المؤلفين القدماء والاحداث وتنتقل فيها من موضوع الى موضوع ومن كاتب قديم الى كاتب حديث حتى تبلغ النهاية تجد تلك السهولة التي تشعر بها عند مطالعتك تأليف مؤلف واحد . فالاسلوب الانشائي لابن العبري (القرن الـ١٣) لا يختلف نظرًا الى مفردات اللغة وتركيب الجمل الّا اختلافاً زهيداً للغاية عن اساليب انشاء العهد القديم (القرن الثاني) او اسلوب كتابة الشهير افراهاط الحكيم الفارسي (النصف الاول من القرن الرابع)

فالعصر الذهبي لهذه اللغة يمتد من القرن الثاني الى القرن الثامن الميلادي اذ كان الخواص والعوام يتكلمون بها بلهجة واحدة من شواطي نهر الفرات ودجلة الاعلى الى شواطيها السفلى وهذا امر قلما سبق له مثيل في التاريخ . وفي هذا دليل قطعي على ان تكمّل هذه اللغة وانتظام لهجتها تمّ قبل التاريخ المسيحي بزمن كثير اذ يأبى

العقل السليم ان يسلِّم بان هذه اللغة الكاملة بقواعدها واساليب انشائها في بدء التاريخ المسيحي قد تثقَّفت وتهذبت في ظهور النصرانية على يد كتبتها المسيحيين وغاية ما هنالك ان اللهجة الارامية الرهاوية ارتقت الى درجة اللغات الادبية بواسطة الديانة المسيحية مثلما ان اللهجة العربية القريشية بلغت الى درجة اللغات الادبية بواسطة كتبة الاسلام

التأثيرات الغريبة الطارئة على اللغة الارامية

انتشرت الديانة المسيحية في الاقطار الارامية بادئ ذي بدء على يد الحواريين ثم لمَّا طُرد المسيحيون الاولون من اورشليم لجأوا الى انطاكية واتخذوها لهم مركزاً دينيا ومن هنالك تفرقوا في البلاد للتبشير . ولما كان هؤلاء المبشرون من الجنس اليهودي فقد افرغوا وسعهم في نشر الآداب العبرانية ايضاً وكان اول اثر ادبي نشروه في هذه الاصقاع كتاب العهد القديم الذي نقلوه توًّا من اللغة العبرانية الى الارامية فصارت هذه الترجمة دستوراً للعلم والمعارف عند الاراميين المتنصرين واساساً للدروس في مدارسهم . ودامت اللغة العبرانية تؤثر على لغة الاراميين وخاصة الشرقيين منهم مدة تتراوح بين القرنين والثلاثة قرون .

اما تأثيرات اللغة اليونانية عليها فهي اكثر بكثير من اللغة العبرانية فان زعماء الرسل اتخذوا مراكزهم في العواصم اليونانية والرومانية وبذلك خُصَّ هذان الشعبان بالاولية دون غيرهما . وكان من نتيجة ذلك ان اليونان صاروا يمثلون اخيرًا الجماعات المسيحية فالتزم الاراميون المتنصرون ان يرجعوا اليهم في امور الدين فتسلط اليونان على الاراميين الغربيين وبواسطتهم على اخوانهم الشرقيين الخاضعين لحكم الدولة الفارسية . وغير خافٍ ما للامة اليونانية من المدنية الراقية والاداب المنتشرة التي ابتلعت مدنيَّة الامة الرومانية العظيمة فماذا يكون يا ترى من امر الشعب الارامي الضعيف وكيف يمكنه ان يكافح تلك القوة الادبية الجارفة . ولهذا فمن مبادئ القرن الثالث اخذ نفوذ الاداب اليونانية يمتد على اللغة الارامية المسيحية واخص الاسباب التاريخيَّة التي ساعدت على ذلك سريان تعاليم الملحدين اليونانيين ثم سقوط الدولة الرهاوية الابجرية التي كانت ملجأ اللغة الارامية وهكذا بزوال استقلال الرها

على يد قرافلّا الامبراطور الروماني سنة ٢١٦ زال استقلال كنيستها الجليلة واضحت من ملحقات البطريركية الانطاكية . فصار الاراميون يرضعون افاويق الآداب اليونانية المسيحيّة . ولما كان الكتاب المقدس دستور الدين فقد اوعز اليونان الى الاراميين بتنقيح نسختهم الارامية على الترجمة السبعينية اليونانية كأنها هي الشرعية والقانونية وبذلك شوهوا جمال الترجمة الارامية البحتة . ثم اكبَّ العلماء الاراميون المتضلعون من اللغة اليونانية على نقل تآليف الكتبة اليونانيين الى الارامية واقبلوا على مطالعة هذه الكتب المترجمة وفيها رسائل اقليميس اسقف رومية واغناطيوس الانطاكي ومقالات الفلاسفة المسيحيين مثل يوستينوس وهيبوليط وديونوسيوس واوريجانيس وغيرهم كثيرين لا يحصى عددهم حتى انه كان ينـدر وجود تاليف يوناني ديني لم يترجم الى الاراميّة فكثرت المواد وتوفرت مؤونة الدروس وهام بها الاراميون ايَّ هيـام . فحدث من ذلك ان الآراء السقيمة التي نشأت عند اليونان والقت بـذور الخصومات والمنازعات في كرسي القسطنطينيّة وكرسي انطاكية وكرسي الاسكندرية اثّرت تأثيراً بليغاً في اذهان الاراميين وعلى هذا قال العلماء المستشرقون : ان الآداب الارامية ليست مبتكرة تدلّ على ذكاء وفراسة امّةٍ ترقى بمدارج الفلاح بمجرد قوتها وفعليّتها بل هي فسيلة من الآداب الارامية العبرانية روّيت من فنون التمدن اليوناني . ويظهر مما اورده ابن العبري ان اللغة اليونانية لبثت لغة الآداب فيما بين النهرين حتى القرن الثامن خاصة في دمشق حيث ابطل الوليد الثاني استعمالها في المقـامات الرسمية .Chron) Syr. ed. Bruns 1789-p.120)

اما تأثير الآداب الفارسية على الارامية فهو نزر جدًّا لايؤبه له وان كان التاريخ يحفظ لنا اسماء عـدد من مشاهير الاراميين الشرقيين البارعين في اللغتين الاراميـة والفارسية فان اللسان الفارسي على الرغم من اشتراكه بوطن اللغة الارامية لم يكن يستطيع وهو لسان وثني خصم ان يؤثر على اللغة الارامية الغريبة عنه جنساً وديناً . ومع ذلك ففي تآليف افراهاط الحكيم الفارسي صاحب كتاب الادلة الشهير (٣٤٥) وفي قصص شهداء المشرق يرى المدقق شيئاً من نفوذ وتأثير اللسان الفارسي وادابه

غير ان في نفوذ اللغة العربية على الارامية نظراً وهو ان الزمان الـذي به زهت الآداب الارامية المسيحيّة لم تكن حينئذٍ السلطة العربيّة قـد امتدّت وعمّت بلاد

الارامين ولكن بعد الفتوحات الاسلامية اتّسع المجال للاداب العربية في سائر الاقطار التي دانت لدولة الخلفاء. وقبل هذا العهد اي في العصور الجاهلية وفي القرون الاولى الهجرة كانت السيادة فيها للغة الارامين كما يتضح ذلك من درس الاب العلّامة لويس شيخو اليسوعي لآداب النصرانية عند عرب الجاهلية. ولكن لما انقضى زمن الفتوحات وشرع الخلفاء العباسيون يقيمون المدارس في مدن العراق والجزيرة ويفتحون دواوينهم للعلماء والادباء اخذ الاراميون يتركون مدارس الاديرة وزوايا الكنائس رويداً رويداً وصاروا يَرِدون موارد اللغة الجديدة فنبغ فيهم عدد كبير اصبحوا عمدة في ترجمة الكتب وفي ادارة كبريات المدارس

فلا بد من القول ان اللغة العربية اثّرت بعض التأثير على اللغة الارامية من حيث اساليب الانشاء. ومن يطالع رسائل البطريرك الحديابي (القرن السابع) ورسائل طيمثاوس الكبير (اواخر القرن الثامن) يجد في الاولى بلاغة وفصاحة ارامية بحتة. اما الثانية فيجدها لا تخلو من تأثير الاساليب العربية وهي اشبه شيء بانشاء المقامات كما تكلّف ابو حليم البطريرك وعبديشوع الصوباوي وغيرهما الاسلوب العربي فادخلوا على اللغة الارامية فنون المنثور والمنظوم واشكال البديع

الاداب الارامية قبل التاريخ الميلادي

انمن اهمّ المدن الارامية التي انتشرت فيها الاداب الارامية هي حرّان وكانت مهد العلوم والمعارف وقد حفظ لنا التاريخ اسم احد مشاهير فلاسفتها المسمى بابا وكان عائشاً على ما يقال قبل المسيح. والظاهر ان هذا الفيلسوف كان قد وقف على علوم الكلدانيين والآثوريين الاقدمين واقتبس منها كثيراً. ومما يروى عنه ايضاً انهُ جمع لهُ تلاميذ واسس لهم مدارس فالفوا الكتب الدينيّة والادبيّة ولنا شاهد على ذلك ما قاله احد كتبة النصرانية في مقالة كتبها في سبيل الدفاع عن الديانة المسيحية وهذا نص قوله. اما سمعتم ما قاله بابا الذي كان يسكن حرّان ولا يزال الوثنيون يطالعون كتبه ويتخذونه من اعظم انبيائهم وفلاسفتهم؟

وما عدا ذلك لنا دليل آخر على تقدم حرّان في العلوم الوثنية وهو ان الديانة المسيحية دوّخت اعظم البلاد ومدنها علماً وادباً مثل اثينا مرقد الفلاسفة ومقام

الالهة لكنها لم تستطع ان تؤثر لاول وهلة على حرّان فانها قاومت هذا الدين الجديد وفي تلك المقاومة دليل على مبلغ تبحرها في العلوم فان اثينا نفسها ابرزت هذه المقاومة عينها. ولكن لما اغلق يوستنيانوس الامبراطور مدرستها الشهيرة وطرد معلميها الدائمي الصيت برز حينئذٍ نور المسيحية من بين ظلمات الوثنية الكثيفة فاسرع اليهِ الآثنيون برغبة وهيام. ومثلها ايضاً اصرّت حران وقاومت حتى قال الكاتب النحرير ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني: «انقاد الكثيرون للظلام (المسيحية) لكن اجدادنا اعتصموا بقوة الآلهة وصبروا صبر الجبابرة فلم تتسكع هذه المدينة المباركة بظلام النصرانية. فنحن اولاد وورثة الحنفية (الوثنيّة) التي طالما اشتهرت في المعمورة فسعيد هو من يلاقي الصعوبات بعزم متين حباً بالوثنيّة لانّ من هم الذين نشروا العمران وشيّدوا المدن الّا اولئك الصالحون وملوك الوثنيّة. ومن هم الذين فتحوا المرامي وسهلوا المجاري ومن هم الذين وسّعوا نطاق العلوم وكشفوا الخفايا ولمن تجلّى اللاهوت واهب المعارف ومعلم الغيب اليس لمشاهير الوثنيّة ؟»

وبعدها اشتهرت شقيقتها الرها بالآداب الارامية خاصةً في عهد مملكتها الصغيرة وهي المملكة الابجرية. وبديهي ان اداب لغة تكون اسرع انتشاراً واقوى متانة واوفر خدمة واكثر اقبالاً عليها اذا كانت تنمو تحت حماية مملكة تتكلم بلغتها وتعظم شعراءها وخطباءها ولهذا فبعد توطّد الدولة الابجرية الارامية عظم شأن اداب هذه اللغة وازهرت وانتشرت مستمدةً قوتها من عظمة هذه الدولة الصغيرة

فان ابجر التاسع عند دخولهِ مدينة رومة ارتجت له المدينة وتعجب الرومانيون من ملك صغير الشأن يزدان بصفات جليلة وتحفّ بهِ ابّهة السلطان والعظمة وينال اهتماماً عظيماً لم ينله الّا القليلون من قياصرة رومة. فكيف يقبل العقل السليم ان ملوكاً هذه صفاتهم وهذا شأنهم الخطير عند ارقى الشعوب مدنيّةً وحضارةً لا يشيدون معاهد العلم ولا يقيمون منابر الشعراء والخطباء ولا يبذلون قصارى مجهوداتهم في نشر علوم لغتهم ؟

والتاريخ القديم يحفظ لنا اسماء علماء الارامية منهم مارا بَر سرابيون وكان هذا الفيلسوف عائشاً في اواخر القرن لاول للميلاد ومن رسالتهِ الى ابنهِ سرابيون يظهر جليًا انهُ كان منحازا الى طائفة من فلاسفة ذلك العصر. ومن رسالتهِ بينها يطلع

المدقق على مبلغ علم الكلام في ذلك العصر وشدّة انصرافهم الى مراعاة اصول الفصاحة والبلاغة وكان لهذا مدرسة وتلاميذ يقرأون عليه العلوم. ثم نرى في القرن الثاني ان ططيان وبردَيصان تثقّفا في العلوم والمعارف وآداب اللغة الارامية الوثنية فاعتنق الاوّل منها الديانة المسيحية في رومة وشهد الثاني على نفسه في كتابه شرائع البلدان انهُ أخذ العلوم عن الاراميين الوثنيين

زعم بعض المستشرقين ان اداب الارامية المسيحية لاترجع في مبدأها الى العصر الوثني بل انما نشأت عند نصارى ما بين النهرين في القرن الثاني. والحقيقة ان اداب اللغة الارامية كانت راقية حية في الوثنية لكن تلك الاداب الوثنيّة لم يكن لها تأثير على الاداب المسيحية الّا فيما يختص باوضاع اللغة واساليب الانشاء بعكس ما جرى للاداب اليونانيّة واللاتينية فان الكتبة اليونان واللاتين ثابروا على مطالعة الكتب الوثنيّة حتى بعد اعتناقهم الديانة المسيحيّة وكانوا يجلّون آثار فلاسفتهم وادبائهم القدماء ويذهبون مذهبهم فيها على قدر ما كان يسمح لهم دينهم الجديد. فان القديس يوستينوس الفيلسوف الشهير لم يكن يستعمل فقط لسان هوميروس وافلاطون وغيرهما بل كان ايضاً يجري على اساليب تصوراتهم الفلسفية والادبية وكذا قل عن ترتلياتوس احد مشاهير الكتبة اللاتين

فلما اراد الكتبة الاراميون كبردَيصان (طالع عنهُ في مجلة المشرق ١٢[١٩٢٠]: ٥٧٧ نظراً فلسفيًا وتاريخيًا ليوسف غنيمة) وططيان ان يسيروا على هذه الوتيرة ويوفّقوا بين اداب الوثنيّة والسيحيّة قام ضدّهم الرأي المسيحي العام خاصة في الرها واخيراً ضُرب هذا المسعى ضربة قاضية في القرن الخامس على عهد رابولا اسقف الرها الذي طرد البرديصانيين واغلق مدارسهم وهدم معاهدهم. فلو اقتدى الاراميون باللاتين واليونان واقتصروا على مناواة الوثنية ولم يعدُّوا يدهم الى المصنفات الارامية الوثنيّة ويتلفوها لوجدنا من تلك الاثار النفيسة بقية صالحة على موائد العلماء موضوع درس وبحث. وبهذا المعنى فقط يصلح ما قاله دوفال: «ان الاداب الارامية المسيحية لم تقتبس شيئاً من اداب الوثنيّة الاراميّة بل انها تولدت من الحركة الدينيّة وقد اخذت مبدأها في الشرق مع التاريخ المسيحي فانتشرت بسرعةٍ عجيبة في بلاد الجزيرة فاصبحت هذه الاصقاع بزمن قصير من اشهر المراكز الادبية»

مدارس حدياب

يتضح جلياً مما مرّ بنا ان حدياب كانت يومئذٍ من اهم الاقطار الارامية اشتركت في تلك النهضة العقلية ونالت فيها النصيب الاوفر . فنحن وان كنا لا نستطيع بنظر خاص ان نعيّن درجة رقيها في العصر الوثني لكننا نستطيع الوقوف على حركتها الفكرية بمدارسها في العصر المسيحي المتصلة طبعاً بحركتها في العصر الوثني اذ قد تبين لنا ان الاشتغالات الذهنية عند الاراميين كانت متصلة الحركة في العصرين الوثني والمسيحي ولم يفصل بينهما الّا العاطفة الدينيّة الجديدة التي نبذت الوثنيّة ومعها نبذت ادابها وعلومها

فقد ازهرت العلوم في حدياب وانتشرت فيها المدارس بسرعةٍ عظيمة . وكانت طائفة من ابنائها قد شدُّوا الرحال الى المدارس الكبيرة واشهرها يومئذٍ مدرسة المدائن ومدرسة جنديسابور ومدرسة نصيبين ومدرسة الرها . وغني عن البيان ما كان لهذه المدارس من الاهمية والشهرة الذائعة في اقطار الشرق فانها كانت جامعات حقيقية منظَّمة ومقيدة بقوانين وضوابط يسوسها مدبرون ومعلمون قديرون اشتهروا بالتأليف وبلغت هذه المدارس غاية الرقي في القرنين السادس والسابع ومن اراد ايضاحاً عن انظمة تلك المدارس ورقيها فليطالع كتاب « مدرسة نصيبين » لفقيد العلم السيد ادي شير . (في مطبعة اليسوعيين سنة ١٩٠٥)

وكان عدا هذه المدارس العمومية الكبيرة مدارس خاصة بحدياب لا تقلُّ اهميَّةً ورقياً وشهرةً ومن تلك المدارس مدرسة اربيل التي علّم فيها اشهر علماء ذلك العصر فنقل السمعاني (٣ : ٩٢٧) عن احد معلميها بولس المدرّس صاحب المصنفات الشهيرة انه علّم فيها نيّفاً وثلاثين سنة ثم دُعي الى بوزنطية من يوسطنيانوس الملك ليلقي محاضرات فلسفية على الوزراء . فسار اليها سنة ٥٣٢ (مشيحَزخا : ٧٥) وحسبنا بهذا دليلاً على مبلغ رقي مدرسة اربيل . ثم مدرسة بلد ومدرسة الرستاق في مرگا (مرج الموصل) ومدرسة بيت بغاش في دهكان من اعمال بانهدرا (مشيحَزخا ٢٦١) ومدرسة بيت عيناثا ومدرسة نحشيروان ومدرسة حزيات كلال . وقد ذكرنا في الجزء الاول (ص ٩٠) عن المدارس التي شادها في حدياب باباي الجبيليّ . وكان لاهالي حدياب إقبال على

المدارس ورغبة في نموها فانه جاء في ترجمة سبريشوع دبيت قوقي انه لما اقبل الى اربيل اجتمع اليهِ الاهلون والحُّوا عليهِ بان يقيم لهم مدرسة. وذكر المؤرخ الحديابي عن بواس المدرّس انهُ اقام في حدياب ونصب فيها مدارس عديدة (ص ٧٥). ويظهر ايضاً انهُ عدا المدارس العمومية في حدياب كان كل من اشتهر بعلم او بفن يفتتح لـهُ مدرسة ويجتمع عليهِ التلاميذ ويتلقون منه العلم الذي برز فيهِ

علماء حدياب ومؤلفوها

ان انتشار المدارس ومعاهد العلم في الاقطار الحديابية انتجت حركةً علميَّة واتت برجال نوابغ اشتغلوا بالتصنيف والتأليف قبل التاريخ الهجري وبعـده وما زالت مصنَّفاتهم الى هذا اليوم موضوع ابحاث المدققين في الاداب الارامية واكثرها قد تُرجمت الى اللغات المختلفة. وهاك اسماء اشهر المؤلفين الاراميين من اهالي حدياب وقد كتبوا في اللغة الاراميَّة وهي كانت لغة العامة والخاصة :

نرسي الشاعر المُجيد والفيلسوف الكبير (سنة ٥٠٢) وكان من معلثـايا وهي اليوم قرية صغيرة تعرف بهـذا الاسم بجوار دهوك. ثم دعي الى نصيبين حيث اسس مدرستهـا الشهيرة الذائعة الصيت واقام في ادارتها حتى خلفه فيها اليشاع من قوزبو من مرج الموصل. وبقي من تصانيف نرسي نحو ٣٦٠ قصيدة مع مجلـدات ضخمة في تفسير الكتب المنزلة

ابراهيم النتفري من نتفرا احدى مدن حدياب بجوار اربيل عاش في اواسط المئة السادسة وترك كتابات ورسائل وجاء عنه في كتب المؤرخين انه سعى كثيراً بانشاء المدارس في حدياب

سركيس صارع الجبابرة خرّيج مدرسة الرستاق في المرج (مرج الموصل يشتمل على قضائي العقر والزيبار) عاش في المئة السادسة ولهُ كتاب في تفسير النبوات وصنف ايضاً كتاباً سيريا في اشهر رجال بيت جرماي

حنانا الحديابي (سنة ٦١٠) وكان له تصانيف كثيرة ذكرها المؤرخون واثنوا عليهِ الّا انه لم يصلنا منها الّا عدد قليل من قصائد دينيَّة وتفاسير الكتب المقدَّسة

يشوعياب الجدلي البطريرك كان من قرية جدل بنواحي الموصل وعاش في اوائل

المئة السابعة وروى عنه المؤرخون الاراميون انه تشرف بمواجهة حضرة النبي العربي فانعم عليه بكتاب توصية على النصارى وحظي ايضاً بزوة الخليفة عمر بن الخطاب فاحسن اليه واكرمهُ . امّا مصنفاتهُ فهي على ما ذكرها الصوباوي في قائمته شرح كتاب الزبور وكتب تاريخيّة وادبيّة الّا ان يد الضياع اغتالتها فلم يبق منها الّا جزء صغير في المتحف البريطاني ومتحف بورجيا

ميخائيل من عين دولبي في بيت نوهدرا ومؤلفاته عديدة نظماً ونثراً وقد طبع شيئاً منها السيد ادي شير

سبريشوع روسطم الحديابي من قرية حريم عاش في مبادئ المئة السابعة . ومن تصانيفه الكثيرة كتاب شرح الغوامض وكتاب سيري في مشاهير الرجال

سهدونا الهلموني من بانهدرا او بيت نوهدرا عاش في النصف الاول من القرن السابع . ومن تصانيفه كتابه الشهير المعنون بكمال السيرة وكلامه فيه اليه منتهى البلاغة والبيان . وقد طبعه بيجان سنة ١٩٠٢

اسحق النينوي الشاعر الشهير في اواخر المئة السابعة واكثر تصانيفه نُقلت الى العربيّة والحبشيّة واليونانيّة واللاتينيّة والايطاليّة والانكليزيّة الى غير ذلك من اللغات الاوروبيّة . وقد طبع بيجان ديوانه الشهير المعروف باسمه

يشوعياب الحديابي البطريرك من قرية دويلينا (سنة ٦٦٠) ومن تصانيفه رسائله البليغة التي نشرها روبنس دوفال (Liber Epistularum) سنة ١٩٠٤ ثم جهاد يشوعسبران وقد طبعه شابو سنة ١٨٩٦

اثناسيوس البلدي وكني بذلك لانه كان من بلد في شمالي الموصل وتعرف اليوم باسكي موصل . توفي سنة ٦٨٦ وصنف في الفلسفة كتابين مهمين محفوظين في مكاتب الواتيكان ولندن وباريس وبرلين

هولاء وغيرهم كثيرون مثل سركيس الحزّي وابراهيم القرداحي وطيمثاوس الحزي لا يسعنا ان نستوفي ذكرهم في هذا الفصل

اديرة حدياب

كانت الاديرة منتشرة في القطر الحديابي بحيث لا تخلو منها مدينة وقرية وهي

كانت في ذلك العهد من البواعث الخطيرة الى تقدم الحضارة والعلم في الاصقاع الحديابية كما كانت الاديرة في اوروبا من جملة اسباب النهضة العلميّة في القرون الوسطى. فقد أُنشئت فيها المدارس الراقية بعلومها وانظمتها وكانت هذه الاديرة تحشد بين جدرانها المئات من المتعلمين والمصنفين والشعراء. فكان بعضهم يكبون على الدرس والمطالعة والتأليف والبعض الآخر ينصرفون الى التهجُّد والعبادة وآخرون ينشغلون في الماديات من اعداد لوازم المعيشة وزراعة اراضي اديرتهم وتربية المواشي الى غير ذلك قياماً بالنفقات الضرورية. وقد ذكر هذه الاديار يشوعدناح البصري في كتاب العفة وتوما المرجي في كتاب الروساء ويشوعياب الحديابي في رسائله ووصف الحموي بعضها وذكر عن اثارها وبقاياها فيما اذا كانت عافية ونقل عن كتاب الديّرة. وها اننا نذكر بعضاً من اديرة حدياب واسماء مؤسسيها استناداً الى المؤلفين المعتمد عليهم في ذلك

جيورجيس شيّد ديرين فخيمين في اواخر القرن السادس احدهما في الجبل بقرب قرية روميني والآخر في مرج الموصل ويُدعى بيت زيتا

برعيتا (٦٢١) بنى ديره بقرب برزاني وهي باحزاني بينها وبين كرمليس مسافة ٣ ساعات وترى الى هذا اليوم بعض انقاض هذا الدير

ايليا الحيري بنى ديره بجوار الموصل (طالع الجزء الاول ٧٥)

سبريشوع النينوي خريج مدرسة اربيل في اواخر المئة السادسة اقام ديره في بيت نوهدرا ويُعرف بدير الغاب الجميل

دير بيت عابي أسسه يعقوب اللاشومي (لاشوم كانت قريباً من داقوق غربي كركوك على مسافة ٩ ساعات وهي اليوم قرية صغيرة) خرّيج مدرسة الرستاق في اواخر المئة السادسة ولهذا الدير تاريخ جليل طبعه بيجان وموقعه قريباً من العقر والى هذا اليوم ترى بعض اثاره

برحذبشبا المرجي في المئة السادسة اقام ديره في قرية حدود من اعمال المرج

اينيشوع في منتصف المئة السابعة شاد ديره في بيت نوهدرا قريباً من تللسقف وترى اثاره الى هذا اليوم شرقي القرية المذكورة. ولايشيارن تصانيف جليلة ذكرها توما المرجي

يعقوب حزايا شاد ديره في قرية قاشافر المعروفة ايضاً بقرية مار يعقوب وقد تجددت عمارته . وقريباً منه نصب يشوعياب دير مار ايثألاها

ربان هرمزد الفارسي شاد ديره بجوار القوش (طالع الجزء الاول ٣٠٧)

ايشوعياب بن القوسري واثار ديره في الكنيسة المعروفة بمار اشعيا

دير مار ابراهيم المادي بجوار باطنايا (طالع الجزء الاول ٢٧٨)

ايشوعسبران ويوحنان وآثار ديرهما في مقام الشيخ عادي لليزيدية (طالع الجزء الاول ٢٩٨)

سبريشوع من بيت قوقي وديره في حدياب حيث ترى انقاضهُ الى اليوم قريباً من الزاب الكبير غربي اربيل على مسافة سبع ساعات تقريباً

هذه وغيرها من الاديار التي لا يسعنا ان نسهب التفصيل عنها كدير يونان الحديابي في اشكار من حدياب ودير مار ميخائيل (طالع الجزء الاول ٩٣) ودير ريشا في مرج الموصل وكان مؤسسه اسطيفان المرجي ودير الزاب الصغير وقد اسسه زيناي العالم. ودير شبثا في معلثا بجوار دهوك ودير ترعيل بقرب كفرعوزيل من اعمال حدياب ودير آبا في مرج الموصل

وهناك في حدياب اديرة عديدة ما زالت بعض آثارها ماثلة الى اليوم الّا ان التواريخ لم تنوّه بذكر اسماء مؤسسيها . وكانت النساء في حدياب قد اشتركن بهذه النهضة بدافع الدين فانشأن لهن الاديرة وفيها المدارس للتهذيب ومن اديارهنّ دير النساء بجوار برزاني ودير العذارى بين الموصل وبيت جرماي ودير بنات العهد بجوار القوش فوق الجبل على مسافة اربع ساعات ولم تزل اثاره باقية وبعض جدرانهِ قائمة ويعرف حتى هذا اليوم من المسيحيّين والاكراد واليزيدية (باقياما) اي دير بنات العهد

وفيما قدّمناه بيّنةٌ واضحة على تقدّم هذه البلاد في القرون الخالية اي في فجر التاريخ الميلادي وبعده. وكانت هذه الحركة الناشئة المبنية على اسس قويّة وضوابط ثابتة قد ضمنت النجاح حتى ان افراهاط الحكيم الفارسي في النصف الاول من القرن الرابع في كتابه الشهير يبحث عن انتظام اديرة الرجال والنساء ورقي الفضيلة والاخلاق المثلى وانتشار العلم فيها

الآداب في العصر الجاهلي

يهمّنا في بحثنا ان نلقي نظرة عمومية على حالة الآداب في العصر الجاهلي فنرى كيف تلقتها الروح الاسلامية نظرًا لتباين المبادئ بين خمول الجاهلية وبين نهضة الاسلام

نشأت في البلاد العربيّة الشمالية في نحو المئة الخامسة قبل الميلاد لغة عرفت بلغة الاغاني كما نشأ عند اليونان القدماء ويعرف ذلك العصر بعصر الشعر الغنائي ودرجت لغة الاغاني من عشها وانتشرت في سائر الاقطار العربية شيئاً فشيئاً بتبادل التبادل العربية مناجعها ثمَّ بالحج الى الاماكن المقدَّسة كمكَّة فاستقت هذه اللغة معجمها من سائر الفروع اللغوية ولهجاتها المختلفة واستعملها كبار الشعراء عند ملوك الحيرة والشام وجرى ايضاً استعمالها عند الرعاة البدويين كهذيل وغيرهم توصلًا الى تخليد اعمالهم المجيدة القائمة في مباراة خصومهم في ذلك الوسط المحصور . فكان حادي الجمال يخفّف عن نفسه وطأة السُّرى وتعب المسير في الصحراء مستحثًّا حاله بالحداء الموافق وزنُه لوقع خطاها . ثم تعلَّمتهُ النساء في بيوت الشعر البدوية فاستعملنهُ في اشغالهنَّ المنزليَّة وعلى هـذا جرى الفلاحون في اشغالهم الشاقـة بين الحقول وبساتين النخل فكانوا يغنون بالحان واناشيد مقفّاة موزونة من اللغة العامّة ولم يصل لدينا شيء لا من اناشيد الحياة اليومية كترانيل الامهات لاطفالهنَّ والاناشيد الحماسية التي انشدها اهل المدينة في حين انشغالهم باصلاح خندقهم (ابن سعد ٢ : ٥٠)ولا من الاشعار المقدَّسة التي كان يتغنى بها البدويون في شبه جزيرة سينا كما رواه القديس نيلوس احد زعماء القسطنطينيّة وكان قد ترهب في الجزيرة العربية وفيها توفي سنة ٤٣٠ . غير ان البلاذري

حفظ نتفاً من تلك الأشعار العاميّة فجمع منها بعض المستشرقين وعلقوا عليها الحواشي ونشروها بالطبع

وقد تذرّع البدوي نفسه بالكلام الموزون المقفّى توصّلًا الى التأثير على نظرائه وعلى الحيوان الذي يستعين بهِ في اشغالهِ فيبعث فيه روح النشاط ولهذا سُمّي الناظم شاعرًا اي عارفاً اذ كانوا يتوسمون فيه علماً فائق الطبيعة او سحرًا يستميلهم بهِ الى مراميه ومقاصده فكان قوله امضى من السيف واحدّ من السنان . وكانوا يخافون هجاءه وتهكمه ويخشون سهام كلامه الشين لئلّا يصيبهم منهُ عطل ادبي كما جرى للحُطَيئة حينما نزل المدينة واجتمع اشرافها فجمعوا لهُ مبلغاً من الدراهم تخلُّصاً من هجائهِ . وربما رفع الشاعر بالبيت الواحد عزّ القبيلة كما وقع لقبيلة انف الناقة وقد كان اسمها مجلبة للعار بين القبائل فمدحها الحطيئة بالبيت المشهور الذي رفع شأنها وهو قوله فيهم :

قومٌ هم الانفُ والاذناب غيرهُمُ ومن يساوي بانف الناقة الذَّنَبا

وعلى هذا فقد لعب الهجاء قديماً ادوارًا مهمّة على مرسح الحياة الاجتماعيّة بعد زوال تأثيراته السحريّة عن عقول عرب الجاهليّة واستمرّ كذلك حتى الاعصار الاسلاميّة

ومن الفنون الشعريّة يومئذٍ الرثاء وهو قديم كالهجاء وكان الشعر الرثائي خاصاً بالمرأة اكثر منهُ بالرجل لتفجّر عواطفها كتفجر دموعها فكان على الاخت ان ترثي اخاها وتبكيه اكثر من زوجته . ومن الامثلة على ذلك مراثي الخنساء التي بكت اخاها بابيات اليها منتهى العواطف الرقيقة والعبارات المنسجمة انسجام دموع الشاعرة رغماً عمّا تبدو فيها من التصورات البدوية

يوجد في الشعر الجاهلي عدا الهجاء والرثاء انواع اخرى كان لها شأن خطير في الحياة الاجتماعيّة الّا ان معظمها ضاع بحيث لم يترك لنا التقليد منها الّا ما هو اساسي للفن . ومن هذا القسم هي الاناشيد الغراميّة ومنظومات الحب وهذا الشعر لم يبلغ كماله الفنّي الّا في العصر الاموي لان النظم الغرامي او الغزل كان في الشعر الجاهلي منحصرًا في طريقة قياسيّة لان الرنان [illegible]

بمديح الآلهة وكذلك اصحاب المعلقات كانوا يبدأون قصائدهم بالنسيب فقال امرؤ القيس في مطلع معلقتهِ الشهيرة :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

بسِقْط اللوى بين الدَّخول فحوملِ

وقد اجاد عرب الجاهلية في وصف الطبيعة والحيوان كحيوان الصيد والماشية المنتجة واصابوا في ايراد اوصاف انواع الحيوان البرّي وذكر خواصّها عن اختبار صحيح . وكان الجمل من اخصّ الحيوانات التي اشغلت فكر البدوي فنوّهوا بمحاسنه واوصافه وخواصّه حتى اصبح عندهم هدفاً للتشبيه . لسوء الحظ لم تحفظ كتب الادب من الشعر الوصفي القديم فان هذا النوع من الشعر ضاع كما ضاعت اناشيد الحرب التي كانت تنوّه بذكر انتصار الملكة «ماوية» على ما اورده سوزومين المؤرخ

من المظانّ المعتبرة ان الشعر القديم كله كان رجزاً او قطعاً يختلف بالفاظه فقط لا بمعناه ومبناه الّا قليلًا ونادرًا وقد نشأ الرجز بطبيعة حال اللغة العربية الشعرية والفنية بالالفاظ والمترادفات الممتازة بلهجتها الوسيقية وربما هذا الوزن يسبق اليامْب (iambe) عند قدماء الرومانيين ثم توسعوا فيهِ قديماً الى اشكال اخرى تنحصر في الاناشيد فكان للشعر العربي في الحين الذي تبدأ معرفتنا بهِ اعني ١٥٠ سنة قبل الاسلام (الجاحظ : كتاب الحيوان : القاهرة ١٣٢٣ : ١ : ٣٧) شكل ثابت منحصر في اسلوب القصيد وقد اندمجت فيهِ سائر الانواع الشعريّة المستقلة وكانت فقيرة التصورات وبالنتيجة المعاني كانت بعينها تتوارد على الشعراء ولا تختلف بشيء عمّا سبق لعدم تبدل المحيط والمواضيع التي كانوا يستفيدون منها تصوراتهم الشعرية ولهذا نجد اشهر المنتقدين الفنيين من العرب كابن الرشيق وغيره (عمدة : تونس : ١٨٦٥ ص ١٧٠) لم يستطيعوا ان يوردوا من الافكار المبتكرة والتصورات الجديدة التي اغنى بها شعراء تلك العصور الخالية كثر اشعارهم الا شيئاً نزرًا . واهل الجاهلية مع انهم كانوا كبار العقول واهل ذكاء ونباهة واكثر معارفهم من ثمار قرائحهم فهم انفسهم يقرّون بعجزهم عن ابتكار المعاني الجديدة لأنَّ اسلافهم لم يتركوا معنى لم يطرقوه . فقال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردّمِ ... ام هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ

وقال زهير :

مـا ارانا نقول الّا معـارًا ... او معـادًا من قولنـا مكرورا

وكان عرب الجاهلية يؤثرون البيت القائم بنفسه معنىً ويستهجنون ما كان متصل المعنى بما قبله او بما بعده ويعرضون عن الشاعر الذي لا يستطيع حصر معناه في البيت الواحد (العسكري : كتاب الصناعتين : ١٧٤) فاذا توصّل الشاعر الى حصر المعنى في الشطر الواحد من البيت والى ايداعه التشابيه المختلفة فذاك يستحقّ إعجابهم كما فعل امرؤ القيس في البيت الثامن والاربعين من معلّقته (العسكري ١٨٩) :

كلانا اذا مـا نال شيئاً افاتهُ ... ومن يحترثْ حرثي وحرثَك يهزلُ

وقد لا يجد المحقّق في فئة الشعراء من نوابغ اعصر الجاهليـة الّا قليلين اتصفوا بجودة التعبير وابتكار المعنى. واشتهر بذلك خاصة شعراء المعلّقـات فعدّهم الادبُ العربي في مقدّمة النبوغ الشعري وذكرهم الفرزدق في النقائض منوّهاً بالذكر الطيّب على اسلافه أُمراء الشعر ويعدُّ في طليعتهم المبرزين في المعـاني المبتكرة والافكار الشخصية واشهرهم الامير امرؤ القيس وطرفة النديم الاصمعي والنابغة صديق بني غسان وبني لخم وعلقمة والحارث بن حلزة البدويين ثمّ الفيلسوفين زهير ولبيد

وانتشر الشعر في البادية والمدن بالاعياد والمواسم التي كانوا يقيمونهـا اولًا في سوق عكاظ وهو وادٍ بين مكة والطائف فيه ماء وظلٌّ وخضرة فيمكثون فيه شهرًا ثمّ ينتقلون الى سوق مجنة ومنهُ الى سوق ذي المجاز وهما بناحية مكة . وفي ذي الحجة يذهبون الى البيت الحرام موضع حجّهم . فكان ادباؤهم وهم الـذين بايديهم مقاليـد الامور يتنافسون بالادب والحكم ويقفون بهـذه الاسواق لانشاد الشعر والقاء الخطب كما كان يفعل قس بن ساعدة مطران نجران . فاذا اجتمعوا في سوق عكاظ ضُربت قبة لاكبر الشعراء في عصره كالنابغة الذبياني فيجلس في القبة ويأتيه الشعراء فيعرضون عليه انفس اشعارهم

وكان لكل شاعر راوية يروي عنهُ الاشعار والرواة في ايامهم كالجرائد في ايّامنا وعلى هذه الصورة كانت الاشعار تنتشر وتشتهر في مدة قليلة بين جميع القبائل في جزيرة العرب. فأحرز منهُ المحتضرون نصيباً وافرًا ونحوا فيهِ مناحي خاصة بهم دون سواهم. فانَّ يهود تيماء ومنهم السموأل بن عاديا كانوا قد استعربوا تماماً بحيث لا يكاد سامعهم ان يميّزهم من البدويين بشيء وخالفهم العرب الذين كانوا يتاخمون الحدود الفارسيَّة وقد استوطنوا الحيرة وخضعوا فيها لنفوذ المدنية الآرامية وآدابها فكانوا يمتازون في اساليبهم ومناحيهم ومنهم عديّ بن زيد العبادي التميمي فانه عالج في شبابه نوعاً من الشعر خاصاً بهِ اي الاغاني الخمريّة ثم بتوالي السنين وبتأثير النصرانيَّة انصرف عن الخمريات الى المواضيع الدينيَّة والتقويّة من ذلك قصيدته التي مطلعها :

رواحٌ من بُثينةَ ام بكورُ غدًا فانظر لأيهما تصيرُ

وقصيدته الاخرى :

ايها الشامت المعيّر بالدهر أأنت المبرأ الموفورُ
ام لديك العهدُ الوثيق من الأ يّام بل انت جاهل مغرورُ
اين كسرى كسرى الملوك انوشر وانُ ام اين قبله سابورُ

(اطلب الجاحظ كتاب الحيوان ٤ : ٦٦ والشعر والشعراء ٣٤) وقد تأثره في اسلوبه امية بن ابي الصلت في الطائف التي كانت خاضعةً لمدنيّة عرب الجنوب مدفوعاً بتأثيرات الديانة اليهوديّة. الّا ان اهل البادية كانوا لا يرغبون في هذا النوع من الشعر

ولم يكن الشعرُ الشاغلَ الذهنيّ الوحيد لعرب الجاهلية بل كانوا يُنزلون النثر منزلة رفيعة لا سيما منهُ الامثال التي كانت جارية على افواه العامة واغلبها يرتقي قدماً الى العصور الخالية. ومن الآداب القديمة ايضاً الاحاجيّ والحكايات المصنفة على ألسن الحيوانات الّا ان المساعي لم تنصرف الى جمع نتف الاحاجي والحكايات المذكورة بحيث اننا لا يمكننا الوقوف عليها الّا على سبيل الصدفة بعثرة فيما بين صحف الكتبة الاولين.

ومن الآداب النثرية في الجاهلية الخطابة والاقاصيص وهـذه كانت من اهم مناشئ النثر وجرى استعمالها خاصة في السمر سواء في قصور الملوك والامراء وسواء في الخيم البدوية ومحورها يدور امّا على حرب قبيلة مع اخرى كما نجده في كتاب ايام العرب وامّا على المغازي والحوادث التاريخية العامة مع زيادة شيء من الخرافات التي تمسخ حقيقتها التاريخية كما هي الحـال في آخرة زنوبيا عند هشام ابن الكلبي وابن الجوزي في كتاب الاذكياء (ص ١٢٤–١٢٦)

وما عداها كانت تجري على الافواه ادوار غنائية غزلية اهمّها للمنخّل وللرقاشي. وكانوا يتداولون ايضاً مراضيع غريبة واقاصيص بطلية شائعة عند العامة كقصة عمر ابن معدي كرب وابنه خزار. ثم الاقاصيص الغرامية كقصة الشجرة العجيبة (الجاحظ ٦: ٥١–٥٢) وقد حشّاها ابن الجوزي (ص ٧٣) ثم روايات يونانية قد تمّ تنقيحها في كتاب الف ليلة وليلة وكذا بعض القصص المسيحية كقصة اهل الكهف ثم التقاليد البطلية الفارسية التي بحث عنها نضر ابن الحارث

الاسلام

ولمّا اقبل الاسلام انصرف العرب عن حياة الجاهلية البدوية الى حيـاة فضلى اعطت للآداب العربية صبغةً جديدة نبذت روح الآداب السالفة. فان القرآن عدا ما احدثه من الانقلاب الديني جعل ايضاً للآداب العربية اوضاعاً جديدة بما بثّه من الافكار الجديدة الدينية وعلّم ايضاً تركيب الجمل بالإيجـاز مع جزالة المعنى بالفاظ فصيحة موزونة. ومن افضال القرآن على اللغة العربية توحيد الفروع اللغوية العديدة وحصرها في لغة قريش فان اقبال الاسلام على قراءتـه وحفظه احدث في الآداب اللغوية ليس فقط روحاً ومنهجاً جديداً بل وحّد الفروع اللغوية ولهجاتها المختلفة في لغةٍ واحدة هي اللغة القريشية. واخصّ تلك الفروع لغة حمير اليمنية المعروفة بالمسند ولغة حضرموت وهي الزبور ولغة عدن والجنـد وهي الرشو ولغة الاشعريين وهي الزقزقة الى غير ذلك

فتبدّلت حالة الشعر في عهد الخلفاء الراشدين عمّا كانت عليه في عهد الجاهليـة

وزالت عنه اهميّته السابقة بتأثير التجدُّد الادبي والاخلاقي لان الافكار الدينية الفضلى اشغلت اهل الجاهلية المعتنقين الاسلام عن الاشعار الغزلية والاناشيد البطلية وامثالها بحيث لم يبقَ ممن ينظم الشعر الّا الذين حصروه في الدعوة الاسلامية وفي ايثار التقوى. فلم ينبذ الاسلام الشعر بتاتاً كما زعم بعض المحدثين لان الشعراء كانوا يفدون على صاحب الرسالة الاسلامية وينشدونه الشعر وقد ذكر ابن عبد ربه قال ما نصهُ: «جاء رجل الى النبي (صلعم) وانشده:

تركتُ القيانَ وعَزْفَ القيان وادمنت تصليةً وابتهالا
ابا ربّ لا اغبنَنْ صفقتي فقد بعتُ مالي واهلي بدالا

فقال النبي: رَبِح البيع ربح البيع» :اه

وذكر ايضاً قال: «ان النابغة الجعدي اقبل على رسول الله وانشده شعره الذي يقول فيه:

بلغنا السما بجدّنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ولما بلغ قوله وانتهى وهو يقول:

ولا خير في علم اذا لم تكن له بوادرُ تحمي صفوهُ ان يكدّرا
ولا خير في جهلٍ اذا لم يكن له حليمٌ اذا ما اورد الامر اصدرا

قال النبي لا يفضض الله فاك» :اه (العقد الفريد ٣: ٨٥)

وعلى ذلك امثلة كثيرة تفيد ان الاسلام في فجر تاريخه لم ينبذ الشعر وقد قيل فيه «ان من الشعر لحكمة» فكان عندهم حفاظ الشعر ومنشدوه كالشعبي وهو القائل «لو شئت ان انشد شعراً على ان لا اعيد بيتاً فعلتُ». وكان فيهم الشعراء المجيدون مثل حسّان بن ثابت ومعاصريه الاعشى وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة وغيرهم كثيرين وانما نبذوا من الشعر الجاهلي ما كان مخالفاً للاخلاق المثلى والروح الاسلامية كانواع الغزل والنسيب والهجاء. فاعتزلها الشعراء في الحياة الاجتماعيّة لانهم

كانوا يعدُّونها من اختصاصيات الجاهلية ومخالفة للدين الجديد حتى اخذ الخلفاء الراشدون يقاصُّون الشعراء المتشبّبين والهجاة باشد القصاصات . من ذلك ما جرى للحطيئة الشاعر العبسي حين هجا بشعره زبرقان بن بدر فحكم عليه عمر بن الخطاب بقطع لسانه وقال: من احدث في الاسلام هجاء فاقطعوا لسانه . ولم يعفِ عن الشاعر الهاجي حتى تاب اليهِ توبةً نصوحاً

عصر الامويين

ولمَّا دالت الدولة للامويين واستتبَّ لهم الامر ودانت لهم البلاد واحرزوا الثروات الطائلة اتجهوا استكمالاً لاسباب الترف والعظمة الى تنشيط الشعر والشعراء وادنوهم منهم في شؤونهم الادارية وازماتهم السياسية لتقوية الاحزاب الموالية لهم ولتوطيد دعائم ملكهم والحطّ من قدر خصومهم فكان الشعراء ينشدون اشعارهم في مدح الدولة الاموية وجمع كلمة الناس عليها كما هو شأن الصحف العصرية بانحيازها الى الدعوات السياسيَّة

وكانت ثمَّة تلك العواطف الدينيَّة التي تجلَّت في بدء الاسلام قد ضعفت عما كانت عليهِ في عهد الخلفاء الراشدين وعمَّ هذا الحال حتى المدينتين المقدستين مكة والمدينة ولم يعد فيها من المتمسكين بعرى تلك العوامل الدينيَّة الّا عدد يسير من العائلات العريقة في التدين . وكان هولاء القليلون ينظرون الى رجال الدولة الاموية نظرة المبتئس ويرون فيهم خصوم الدين واعداء الاخلاق السليمة لفرط ما تعوَّدوه من الملاهي المخالفة لروح ومبدإ الخلفاء الراشدين . حتى ان البدويين المستوطنين القرى والمدن فقدوا بساطة العيش لسبب الثروات الطائلة التي احتازوها حين الفتوحات فنشط الشعر من خموله الى حياة جديدة واقبل الناس عليهِ اقبالاً عظيماً حتى اصبح قطباً للسياسة ومنبعاً للثروة . واشتهر ايضاً بالغزل والتشبيب عدد مهمٌّ في العصر الاموي وامتاز الاحوص بالغزل ويونس بن سليمان الفارسي بالالحان المجونية الموقعة على الغناء والموسيقي وكلاهما من اهل المدينة المنورة . واشتهر بين الملكيين في الشعر المجوني والنسيب عمر بن ابي ربيعة والحارث بن خالد وكلاهما من قبيلة مخزوم . ثم عبدالله بن

قيس الرُّقيات وعبدالله بن عمرالعرجي. وانتشر صدى الشعر المجوني في المدينةالمقدسة رغماً عمّا كان يبذله السائدون فيها من المساعي لمنع انتشاره صوناً للاخلاق ولسلامة الدين كما فعل احد عمال المدينة حينما نفى الاحوص الشاعر لانهٔ شبب ببعض نسائها

ومما ساعد على انتشار الشعر المجوني الاجتماعيات الادبيَّة التي كانت تقام فيها فان الاصفهاني ذكر ان عبـد الحكم الجمحي سنـة ٧٠ — ٦٨٩ اسس في مكة بيتاً للالعاب والقراءة (الاغاني ٤ : ٥٢) وهو ما نسميه اليوم نادياً او معهداً. وانتشر هذا الفن الجديد حتى فيما بين البدويين بما ذاع عنـدهم من شعر قيس بن ذريح رضيع الحسين بن علي وشعر جميل بن معمر وقيس بن الملوّح المعروف بمجنون ليلى واخبـار هولاء واشعارهم في الاغاني والشعر وخزانة الادب وابن خلكان

اما في القطرين العراقي والشامي فقـد غلب على الشعر المجوني شعر الفخر والحماس الناجم عن عوامل النزاع فيما بين القبـائل فاشتغلوا بالحماس على سبيـل المباراة في وصف مقامهم ومساكنهم فكان الاخطـل وجرير والفرزدق وغيرهم كثيرون احلّ منهم منزلة في مصاف الشعراء يثيرون القلوب ويضعون هشيماً على نار العداء باشعارهم المهيجة واغانيهم الهجائية. وكان من مهامهم ان يخـدموا بنفوذهم المستأثرين بالسلطة والقابضين على مقاليد الامور فكان الاخطل لـلامويين اذ كان معاوية قد قرّبه اليه ليهجو الانصار وان عبد الملك بن مروان ادناه منه للانتقام من قبائل قيس ولاكتساب الاحزاب ولهذا سمي الاخطل شاعر بني اميـة وكان جرير للحجّاج عامل الامويين على العراقيين وفيه يقول :

مَن سدّ مطلعَ النفـاق عليـكم او من يصول كصولـة الحجّاجِ

اما في سوريا فاشتهر ذو الرمة آخر ممثل الشعر الجملي القديم وحذا حذوه فيـهِ كثيرون منهم ابو النجم الراجز ومعاصراه العجاج ورؤبة وجرى هولاء في الرجز على اسلوب القصائد القديمة وكان هذا الوزن نادر الاستعمال وبذلك مثّنوا بساطـة النظم ولكنهم تكلفوا اللغة خاصة باستعمال الاوابـد اللغوية والشوارد الغير المـأنوسة الاستعمال

وكثر الشعر المجوني في بلاط الامويين خاصة في آخر ايام دولتهم فان وضاح اليمن

نظم اغانيَّ لروضة وشبَّب بامرأة الخليفة الوليد بن عبد الملك فكان ذلك سبباً في حتفه (الاغاني ٦ : ٣٦)وجرى مجراه في التشبيب الوليد الثاني بنسيبته سلمى على اسلوب الاغاني الخمرية كخمريات عدي بن زيد العبادي التميمي من اصحاب المجمهرات

ديار الموصل في اول الاسلام

مما تقدم عن الادوار الثلاثة الاولى يتلخَّص ان الاداب العربيَّة قلَّ رواجها في بدء الاسلام عما كانت عليه في الجاهلية وذلك بتأثير الحركة الدينيَّة العاملة في البلاد العربيَّة وفي بلاد الفتح التي دخلتها جيوش الخلفاء الراشدين - وكانت هذه الحركة الدينيَّة قوية جدًّا حتى انها اشغلت الافكار وصرفتها عن الاشتغال الَّا في المواضيع الدينيَّة . ولهذا اصبح الشاعر رجل الدين ورجل التقوى والنصح وظلَّ كذلك حتى كان الدور الاموي وعنده وجدت الاداب مجالًا رحباً للعمل فاتسعت لرجالها ميادين السياسة وانكشفت لهم مخابئ الكنوز وانهال عليهم الاصفر الرنان من الخلفاء والامراء فهبَّ الادب من سباته وتشعَّبت فروعه وافنانه حتى بلغ من التوسع مبلغاً كبيراً

ولما بدت جيوش الفتح الاسلامي كانت بلاد العراق حتى تكريت خاضعة للسلطات الفارسيَّة امَّا ديار الجزيرة وفيها حدياب فكانت تخضع للروم لكن السيطرة العربية لم تقدر ان تؤثر على الاداب السائدة في القطرين المذكورين اذ كانت الاداب العربية ضاربة اطنابها في بلاط ملوك الحيرة وفي سائر انحاء ملكهم والاداب الارامية منتشرة في حدياب وبلادها كما ذكرناه في توطئة هذا الجزء عن مدنيَّة حدياب ومدارسها ومؤلفيها واديارها

قد ذكرنا في الجزء الاول ان الموصل كانت قبل الفتح الاسلامي قصبة صغيرة دُعيت بالارامية (حصنا عبرايا) الحصن العبوري وافتتحها مع مجاوراتها الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ فلم تنتشر فيها الاداب العربية في زمن الخلفاء الراشدين لحداثة عهدها بها ولخضوعها للاداب الارامية وانَّما سكنتها في اول الفتح القبائل العربية من الانصار الذين انتشروا في اراضيها وزاد عددهم بمن هاجر اليها من اهل البلدين ايام

علي (ابن الاثير ٣: ١٦) قال الطبري: وكان اهل الموصل يومئذٍ ناقلةً رُميت بكل من ترك وطنه من اهل البلدين (ج ٣ : ٢٦٠) وهما البصرة والكوفة. ولكننا لم نعثر على تفصيلات عن حالة تلك القبائل التي هاجرت الى ديار الموصل. هل اشتهر فيها شاعر ام نابغ على حسب قاعدتها بان يكون لكل قبيلة شاعر يدفع عنها هجاء قبيلة اخرى. وهل كانت هذه القبائل تعقد المجتمعات وتقيم اسواق الادب على جاري عادتها في الجزيرة العربية ام ان المهاجرة والفتن والانقلابات الدينية حالت دون ذلك. فان المؤرخين لم يذكروا لنا الّا الفتن والحروب التي انتشبت ايام الامام علي وبعدها النزاع الذي قام على الكوفة والبصرة بين عبدالله ابن الزبير وعبد الملك بن مروان خامس الخلفاء الامويين (٦٤=٦٨٣) ثم ظهور المختار ابي اسحق الثقفي وضبطه الموصل من ابن الزبير (٦٦=٦٨٥) ثم انتشاب الحرب في اراضي الموصل بين عامل المختار وبين عبيد بن زياد قائد الجيش الاموي. واخيرًا اقبل مصعب اخو عبدالله بن الزبير واستولى على الكوفة والموصل وبعد هذا كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب (٧١=٦٩٠) فقُتل مصعب وصار العراق وفيه الموصل الى الامويين. فهذه الفتن والحروب كانت الهادم القوي للامن وطبعاً اذا انتفى الامن انتفى النظام والنظام من اكبر البواعث على تقدُّم العلوم والاداب

وما عداها فقد راينا فيما تقدم انّ الحركة الدينيّة الصميمية صرفت الناس عن الشعر الذي كانت سوقه نافقة في الجاهلية ودفعتهم الى قراءة القرآن كتابهم المنزل رغبةً في التهجُّد والعبادة فكان حال الاقوام العربية التي نزلت الموصل حال اخواتهم في اكثر المدن الاسلامية. وما زال الحال هكذا حتى آل الملك الى الخلفاء الامويين فاوغلوا في المطامع والملاهي واخذ واحدهم يطمع في المديح تمكيناً لرغائبه السياسيّة فتنشّط الشعراء وكثر عددهم في العاصمة الاموية التي اصبحت بؤرة الادب ووقفوا على ابواب الامويين طلباً للرزق والمال بما كانوا ينشدونه من القصائد في مديحهم وهجاء خصومهم . وكان الشاعر يقصدهم من الاصقاع البعيدة. وقد جاء في الاغاني (١٠ : ٩٨) عن احد شعراء الموصل انه كان يفد على الخلفاء الامويين وينشدهم الشعر وهو الاعشى التغلبي واسمهُ ربيعة وقيل النعمان بن معاوية وكان شاعرًا من شعراء الدولة الاموية يسكن الشام اذا حضر واما اذا بدا فينزل في بلاد قومه

بنواحي الموصل وديار ربيعة وكان نصرانيًا وكان الوليد بن عبد الملك محسناً اليه ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز قطع ما كان يجريه عليه سالفه من العطاء. فقال فيه:

لعمري لقد عاش الوليد حياته إمامَ هدًى لا مستزادٌ ولا نزرُ
كأن بني مروان بعد وفاتهِ جلاميد لا تندى وان بلّها القطرُ

(اطلب شعراء النصرانية بعد الاسلام ص١٢٢ــ١٢٩)

العصر العباسي

ويدور البحث فيه على الحركة العلمية فيما بين سنة ١٣٢=٧٤٩ وسنة ٢٩٣=٩٥٠ تباعاً لغرضنا. لما قضت الدولة العباسية على شقيقتها الدولة الاموية امتاز اهل العراق بالاشغال العقلية بينما كان الجهل يحمل حملته الشعواء على ابناء الصحراء العربية فظهر الشعر حينئذٍ بمظهر جديد عند ذلك الانقلاب السياسي الهامّ. فان الفرس القائمين خاصة بتشييد اركان العرش العباسي كانوا قد اخذوا على عاتقهم مهامّ الملك وصاروا ينظرون الى الشعر البدوي بنظرة الامتعاض لخلوّه من الروح الآريّة وكان ثمة قد تمهدت الامور للدولة العباسية وبلغت بمدة يسيرة مبلغاً راقياً من الحضارة والثروة فاستفزّتهم العظمة والملاهي ومعاقرة بنت الحان الى انشاد الشعر والى سماعه

وفي ذلك الحين كانت اللغة العربية قد عمّت بالاسلام واحرزت الاولية حتى عجز الفرس عن مقاومة تيّارها الذي ابتلع لغتهم وكاد ان يقضي على جنسيتهم فاصبحوا لا يستطيعون ان يوردوا بيتاً من الشعر الفارسي او كلمة فارسية الّا على سبيل الاستطراد والاستشهاد (الجاحظ: البيان: القاهرة ١٣١٣: ١: ٦١) وهكذا لم يجدوا بدًّا من مزج الشاعريّة الفارسية ذات الرقة والرشاقة والخيال بغنى اللغة العربية وبلاغتها فكانت منها حقيقة الشعر العربي العباسي الغني بجزالة الالفاظ ورقة المعنى وحدّة الخيال. واشتهر حينئذٍ مطيع بن أياس بالفن الوليدي في بلاط المنصور ثم استكمله ابن الاحنف (١٩٢=٨٠٧) وديوانه طُبع في الاستانة فانهُ مزج روح التنافس وطلب المعالي بالشعر الغزلي. وبرّز في ذلك الحسن بن هانئ المعروف بابي نواس الفارسي الاصل. وسار على مناحيه عدد كبير من الشعراء المجونيين ولعبوا بعد تأصل

اللامركزية ادواراً مهمة في قصور العمال والامراء الخراسانيين واستمرت الروح الفارسية مؤثرة على الاداب حتى في اسبانيا ايضاً

الا ان الاساليب والتصورات الشعرية القديمة لم تمت بالكلية فان الغرباء انفسهم كالفرس وغيرهم ممن وضعوا مبادئ الفلسفة اللغوية بحثوا في تجدد الشعر العربي ونوهوا بذكر الشعراء القدماء واعتبروا قرائحهم اقيسة محكمة ليس في اللغة فقط بل وفي الجمال الشعري فانصرفوا الى تحليل اشعارهم تحليلاً علمياً وما عتموا ان ذهبوا مذاهبهم واشادوا بذكرهم حتى ان ابا نواس نفسه الذي كان يسخر من خشونة الشعر القديم البدوي لم يستطع ان يخلص من نفوذه في التقريظ وشعر الصيد

وظهر هذا النفوذ جلياً فيما كتبهُ عبدالله ابن المعتز الامير العباسي (٢٩٦=٩٠٨) وهو الذي اتخذ الاقدمين موضوعاً لابحاثهِ العلمية . ثم يظهر ايضاً عند الطائيين ابي تمام وتلميذه البحتري (٢٨٤=٨٩٧) (طالع عن اراء ابي تمام في زهر الاداب للحصري القيرواني في هامش العقد طبعة القاهرة ١٣٠٥ : ١ : ١٠٨ـــ١٠٩)

وتولد من نهج المتأخرين على اساليب الاقدمين نوع جديد من الادب الشعري فكان الاولون يروون الاقاصيص البطلية بمنثور مسجع يمتاز عن المنثور البسيط بطلاوته ورقته . فاحدث المتأخرون من قسم المراثي والتقريظ شكلاً جديداً وهو ايراد الاقاصيص البطلية شعراً فان الخزيمي انشد قصيدة طويلة في الفواجع التي داهمت بغداد سنة ١٩٧=٨١٢ (الطبري ٣ : ٨٧٣ـــ٨٨٠) وكذا فعل ابن المعتز في تخليد ذكر حملات عمه المعتضد في شعر بطلي وقد طبعه احد المستشرقين الالمانيين

وشاع فرع آخر من الشعر احرز عند الجمهور اهمية عظمى وهو الشعر الديني وكان قليل الاستعمال عند الخلفاء الراشدين لقلة اهتمامهم بالشعر وعند الامويين لشغفهم بالشعر الفخري والحماسي والمجوني . فلم ينتشر الشعر الديني ويتناوله الكثيرون الّا عند ظهور التمدن الحضري في العراق حينما اتسع المجال للافكار الغريبة ان تتسرب الى المجتمع الاسلامي وان تستلفت الافكار الى التمذهب . فاننا نجد فيما كتبه ابن عبد القدوس الذي حُكم عليه بالزندقة في خلافة المهدي (١٦٧=٧٨٣) عقيدة الفرس . وجاهر بشار بن برد بميله الى العقيدة المزدية وباعتقاده ان الانسان مكره في اعماله لا مخيّر كما دلّ قوله :

طُبعتُ على ما فيَّ غيرَ مخيَّرٍ هواي ولو خُيِّرت كنت المهذَّبا
اريد فلا أُعطى وأُعطى فلم أُرد وقصَّر علمي ان انال المغيَّبا

(الاغاني٣: ١٩٦و٤٧:٦والشعر والشعراء ٤٧٦) . وانكر ابو العتاهية حقيقة النشر والبعث وذهب المعرّي مذهبه فكتب كتابهُ « لزوم ما لا يلزم » الّا ان السياسة العباسيَّة حمت الدين من حملات الزندقة والمذاهب المتعددة

وفي هذا العهد اقبل العرب على انواع العلوم فان الخلفاء العباسيين اهتموا بالعلم ورجاله وصاروا يتخيرون اقرب الطرق وانجع الوسائل الى نشره حتى ان المعتضد بالله (٢٧٩=٨٩٢)اراد ان يبني في قصره بالشماسية دورًا ومساكن ومقاصير تُرتَّب في كل موضع منها روساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليها الارزاق ليقصده من اختار علماً او صناعة . رئيس ما اختاره (مسكويه ٢: ٤٠٨) وهذا ما نسميه في عصرنا بالجامعات او الكليات

وعكفوا ايضاً على الاداب البهلوية فتناولوها بجذافيرها وعند ذلك ترجم ابن المقفع (١٤٣=٧٦٠) «خداى نام» وهو التاريخ الفارسي الذي تم تدوينه في آخر عهد الملوك الاكاسرة وقد ضُمَّت اليه ابحاث ادبية . فهذا الاثر مع امثاله كان الاسَّ الذي شيد عليه الادب العبَّاسي العربي . ثم عقب ذلك ترجمة كليلة ودمنة فاكتسبت هذه الترجمة شهرة ذائعة وأُلحقت بها الرواية البوذية لبلآم وزوزاف واخبار الوزراء السبعة . وقد احدث ادخال هذه المواضيع الحديثة على الاداب العربية اعتبارًا في قلوب العرب لآداب الاقوام الغريبة . والى هذا كان يرمي الغرباء الذين اعتنقوا الاسلامية من اراميّين وفرس واسپانيين . وقد تعمدوا ذلك رغبة منهم في ان يحرزوا موقعاً اهمّ عند ابناء العرب بالحط من قدر ادابهم بمقابلتها مع اداب ومدنيَّة بقية الشعوب الاسياوية العريقة في القدم . الّا ان مساعي الشعوبية لم تتوصل الى الحط من قدر الاداب العربية المستمدة نفوذها من القرآن وحينئذٍ اتهموا تلك المحاولات الادبيَّة بالمروق عن الدين فحاربتها الحكومة بغرضٍ سياسي

فامتزج الادب العربي القديم بما فيهِ من اقاصيص بدوية بالفلسفة الهندية الفارسيَّة ثم بفلسفة الاداب اليونانيَّة فصار للعرب معرفة تامَّة بها واستخرجوا منها نوعاً جديدًا

من الاداب غايته تثقيف المدارك واعطاء الناس منهاجاً جديداً يؤثر بكثير على ما سبقه من الاداب. وكان الجاحظ (٢٥٥=٨٦٨) اول من نهج هـذا النهج الادبي وتوسع في الابحاث فلم يقتصر على الفصاحة العربية التي قام للدفاع عنها ضد الشعوبية بل تحرى وصف اختصاصيات الشعوب الغريبة وذكر النواقص المتحكمة في هيئتهم الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالاقتصاد. لكنه لم يتبع نظاماً في كتابه «الحيوان» فتجده مزيجاً من التقاليد العربية والفارسية واليونانية مضيفاً الى ذلك ملاحظاته الشخصية التي تدل على بُعد نظره وطول باعه. واستفاد ابن قتيبة (٢٧٦=٨٨٩) مما كتبه الجاحظ وابن المقفع وكان معاصراً لهما فاعتزم على ان يُعدّ لكتبة زمانه ولمن يخلفهم موسوعة تكون لهم دليلاً في التاريخ والاخلاق فاصبح تأليفه «عيون الاخبار» مورداً يرد اليه المؤلفون والكتبة فاستقوا وسرقوا منه في كتاباتهم واكثرهم اقتباساً منهُ الاندلسي ابن عبد ربه (٣٨٧=٩٩٧) في العقد. وفي هذا العصر اكمل ابن قتيبة (٢٧٦=٨٨٩) التاريخ الادبي او بالاحرى التاريخ الشعري وهو «معرفة طبقات الشعراء» وقد استند في هذا الى ابي عبيدة معمر ابن المثنى (٢٠٩=٨٢٤) والاصمعي (٢١٤=٨٢٩) اذ كانت تآليفهما في هذا الموضوع لا تخلو من النقص فاكملها وصبها في قالب علمي وزاد عليها زيادات لم يتوصل اليها من سبقه في هذا الميدان

ويتصل بالتاريخ التقاليد المتعلقة بسيَر واعمال الصحابة وخلفائهم وقد اسهبوا فيها الايضاح كما فعل محمد بن اسحق (١٥١=٧٦٨) في ذكر المغازي والواقدي (٢٠٧=٨٢٢) فقد حصرا في مجال ابحاثهما حياة صاحب الرسالة الاسلامية وحلقة اعمال خلفائه. وذاك الاسهاب فتح مجالاً واسعاً للانتقاد العلمي فجمع محمد بن سعد كاتب الواقدي (٢٣٠=٨٤٤) ما توصل اليه من المعلومات والاخبار في كتاب كبير سماه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير فاصبح موضوعه علماً خاصاً نسج البلاذري نسجه في تاريخ الفتح

وكان علم الانساب من اهمّ متعلقات التاريخ وسير الرجال عند العرب ويرتقي عهده الى مبادئ الاداب العربية. فان العرب كغيرهم من الشعوب المعادلة لهم مدنية علّقوا اهمية كبرى على معرفة القبائل والانساب ودرجة العلاقات لضرورتها عند الحاجة في حالات الضيقة والنزاع وقد اكبروا اهميتها خاصة في عهد الخلفاء

الاولين حيث كانت الحالة اشتراكية تقريباً والادارة تيوقراطية دينيّة يتقلّدها كبار رجال الدين. وقد اعطى القدماء اهميّة لعلم الانساب الّا ان كثيرًا مما كتبه النسّابون القدماء قد ضاع تحت غبار الاهمال ولا يبعد ان يكون ضياعها لسبب ما كان يشيع عنها من الخرافات الجاهليّة فمجّها الذوق ونبذها الدين وصوّب اليها المسلمون الورعون اسهم انتقادهم واستهجنتها المحافل الفقهية النافذة الكلمة يومئذٍ. مع ذلك فقد جمع هشام ابن الكلبي (٢٠٦=٨٢١) تقاليد العرب وعوائدهم خاصة فيما يتعلق باصنام الجاهليّة وسمى كتابه «تنكيس الاصنام»

وتوسّع المؤرخون في اول الاسلام الى الاهتمام بحياة الحكومة فدونوا في القرنين الاولين الحوادث السياسية مفصلةً ومجملة فان ابن مخنف الازدي كتب في عهد الامويين تواريخ الفتوحات العظيمة وضمّ اليها حوادث عصره خاصة فيما يتعلق بالحزب العراقي المعارض اي معارضة العراقيين للخلفاء الامويين وكتب المدائني ٢٢٥=٨٣٩ المتحزب للعباسيين سفرًا ممتعاً في سابق تاريخهم العائلي وافاض في البحث عن مركزهم السياسي في خراسان وعن ظفرهم النهائي باحتياز الخلافة

والذين كتبوا التاريخ في القرون الثلاثة الاولى تطرّقوا ايضاً لبعض ابحاث الجغرافيا مثل عبدالله بن عباس (البكري ص٥ وما بعدها) والواقدي (طالع السيوطي شرح المغني ١٦ و١٨) فانهما وصفا شبه جزيرة العرب وصفاً دقيقاً. وقد اعطت الفتوحات العظيمة اهميّة كبرى لعلم الجغرافيا اذا اقتضى ذلك لقيام الدولة ودوامها. واوّل مخطوطة في الجغرافية وصلتنا من عهد الخلفاء الاولين هو كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه صاحب البريد (اواسط القرن الثالث الهجري) ويشتمل هذا الكتاب على الطرق الرسمية ومواقع المحطات ومراحل البريد والجباية والمكوس الى غير ذلك. واهتم البغداديون بمعرفة البلاد والوقوف على عادات الامم الغريبة واخلاقهم. وكان الدافع الى ذلك رغبتهم في توسيع نطاق تجارتهم الى اغلب اقسام العالم. ومن اهمّ كتب الجغرافيا هو كتاب البلدان لليعقوبي (٢٧٨=٨٩١) واليعقوبي رحّالة كبير عانى اسفارًا شاقة ووقف وقوفاً تامًّا على احوال المغرب فكتب عن العباسيّين بصدق لهجةٍ رغماً مما كانت تتوارثه عائلته من الشاعرة العلوية وقد استند فيما كتبه الى موارد قديمة كنا فقدناها لو لم يحفظها لنا في كتابه التاريخي وقد صدره

بخلاصة عمومية وهو لا يقتصر مثل الطبري على التقاليد المتعلقة بالقرآن والتقاليد الفارسية والعربية بل ذكر ايضاً التقاليد والحوادث المتعلقة بالعالم المعروف يومئذٍ من الصين الى البربر ومن شعوب الشمال الى السودان. ويأتي بعده ايضاً كتاب البلدان لابن الفقيه وآخر للجاحظ الّا ان هذا الاخير ضاع. ولمحمد بن ابي مسلم الجرمي معاصر الجاحظ كتاب في تاريخ الدولة اليونانية والشعوب البربرية المجاورة والبلغار والخزر

واستفاد العرب في تعيين مواقع البلاد وفي الارصاد الفلكية من كتاب المجسطي لبطلميوس وكان يعقوب الفيلسوف الكندي (اواسط القرن الثالث) قد نقله الى العربية وحوفظ عليه في الملخص الذي كتبه ابو عبدالله الخوارزمي (٤٢٨=١٠٣٦)

وازهرت العلوم في العهد العباسي بما نقل الى العربية من كتب اليونان على يد علماء السريان المشارقة وهم الكلدان فانهم كانوا يتقنون اللغة اليونانية وقد انتشرت عندهم كما المحنا اليه في التوطئة من مدرسة نصيبين ومدرسة الرها (الاداب السريانية دوفال: ٩) وتفقه منهم كثيرون في الطب وقد درسه بعضهم في مدرسة نصيبين فقد كان فيها مستشفى وفي المستشفى اطباء ماهرون يعلمون الطب ويمرّنون عليه التلاميذ (مدرسة نصيبين للسيد ادي شير : ٥٧) ومن تلاميذها في الطب باباي الكبير وعلم فيها الطب زمناً طويلاً (كتاب العفة: ٣٩) وكان في بلاط الخليفة المنصور الطبيب الجنديسابوري الذي نقل الى العربية اهمّ الكتب الطبية . واشتهر في عهد الرشيد يوحنا بن ماسويه الموصلي وستلي ترجمته . ويوحنا البطريق في زمن المأمون ومنهم ايضاً قوسطا بن لوقا وحنين بن اسحق وابنه اسحق وابن اخيه حبيش وهو من مشاهير الناقلين من اليونانية والارامية الى العربية (مختصر الدول: ٢٥٢) . ثم بنو جبرائيل الطبيب واولاد ابنه جيورجيس في عهد المنصور وبختيشوع ٢١٣ــ٨٢٨ وبختيشوع ابن جبرائيل ٢٥٦ــ٨٦٩ وقد ترجموا عدا كتب الطب الطبيعيات والفلكيات وعلم الهيئة والكيميا والعلوم والفلسفة قال دفال: «لقد استحقت تآليف الارامين في المنطق والفلسفة اعجاب العلماء المتأخرين فهي وان لم تكن الّا ترجمات او شروحاً على كتب ارسطو مع ذلك فان تدقيقاتهم وابحاثهم المستفاضة جلبت انظار العرب فاشتركوا في تلك الدروس ولم يمض زمن طويل حتى سبقوهم فيها بسرعة عجيبة

فكانت لآراء العرب الفلسفية في القرون الوسطى بضاعة نافقة في اوروبا «الآداب السريانية : ٢٤٦)

اما الفقه ودروس الدين فكانت اهمّ ما انصرفت اليه همم العرب في هذا العهد وقد استند الفقه الى الحديث فلما ظهر البخاري درس تلك التقاليد درساً مدققاً وانتقد الواهن منها انتقاداً صحيحاً . وقبل ظهور هذا الكتاب الانتقادي كان الديّنون الورعون قد اكبّوا على درس الاحاديث النبوية لا درساً انتقادياً بل قصد ان يجمعوه ضمن مساند يتناولها الواحد من الآخر ومن هذا نشأ علم خاص هو شرح القرآن فان عبدالله ابن العباس عمدة الاحاديث والشروح لمعاصرته صاحب الشريعة الاسلاميّة وضع شرحاً للقرآن وقد عثر المستشرقون على هذا الشرح فطبع في بولاق سنة ١٢٩٠ هجرية ثم في بومباي سنة ١٣٠٢ هجرية . وورد عنه انه صنف كتاباً سماه «غريب القرآن» ولم يعثر احد عليه . وكتب ابو عبيد شرحاً مجملاً للقرآن . ودحض ابن تيمية اعتراضات الفلاسفة في كتاب سماه «مشكل القرآن»

ثم اتسعت ابواب علم الفقه حين اقبل الاسلام على مطالعة فلسفة اليونان في عهد العباسيّين فعكفوا على مطالعتها وتضلعوا فيها وبنوا عليها ابحاثهم في العقائد الدينيّة والقوا في ذلك الكتب المفيدة مثل كتاب الجامع الصحيح للقشيري النيسابوري ٢٦١=٨٧٤

العلم في الموصل في هذا العصر

كانت حركة العلم حثيثة في عاصمة الخلفاء وفي قسم من المدن الاسلامية الكبيرة ولم نعلم شيئاً اكيداً عن الموصل يومئذٍ . فان ابن الاثير وهو اكثر المؤرخين كلاماً عنها لان فيها عاش لم يتكلم عنها في الكامل الّا كراغب بذل مساعيه في ان يجعل الموصل في مصافّ العواصم النابهة في العالم فلم ينقل الينا في هذا العصر الّا اسماء كبار الرجال الذين ذكرهم استطراداً وقد اشتهروا بالصلاح والزهد او برواية الحديث او بالفقه والقضاء . وفي هذا دليل على ان الموصل لم تشتهر يومئذٍ الّا بالعلوم الفقهيّة والدينيّة لشديد تمسك اهاليها بالدين دون سواه . وكان طلاب الفقه والحديث يلازم

مجلس احد المتفقهين ويأخذ عنهُ على سبيل الالقاء ما يمكنهُ حفظهُ. فلم يذكر المؤرخ الموصلي انه كان يومئذٍ في الموصل مدارس تضمّ اليها المتعلمين العلوم الفقهيّة او الدروس الدينيّة او اللسانيّة او غيرها. ولم يشتهر في الموصل ناظم او ناثر او مؤلف مـا سوى الذين ذكرهم ابن الاثير وهذه اسماؤهم: بكار بن شريح قاضي الموصل ١٦٣=٧٧٩ (ج ٦: ص ٢٥) فتح ابن الوشاح الزاهد ١٦٥=٧٨١ (٦ : ٢٧) المعـافي بن عمران الموصلي الازدي الفقيه ١٨٤=٨٠٠ (٦: ٦٧) سابق بن عبدالله من الصـالحين (٦ : ٧٧) صفوان بن عيسى الفقيه ٢٠٠=٨١٥ (٦: ١٣١) المعافي بن داود الفقيه الفاضـل العابد ٢٠٠=٨١٥ (٦: ١٣١) ابو يحيى ابراهيم بن موسى الزيات تلميذ هشام بن عروة ٢٠٥=٨٢٠ (٦: ١٤٩) زيد بن ابي خداش كثير الرواية عن المعافي ٢٠٧=٨٢٢ (٦: ١٥٨) الفضل بن عبد الحميد المحدث الموصلي ٢٠٩=٨٢٤ (٦: ١٥٩) سعـدان بن بشر الذي يروي عن الثوري ٢١٧=٨٣٢ (٦: ١٧٢) الخليل بن ابي رافع المزني العالم العابد ٢١٧=٨٣٢ (٦: ٢٧٢) عبد الكريم ابن المعافي الفاضـل ٢٢١=٨٣٥ (٦ : ١٨٧) ابو هاشم محمد بن علي بن ابي خداش وكان كثير الرواية عن المعـافي ٢٢٢= ٨٣٦ (٦: ١٩٤) عبد العزيز بن حيان وكان كثير الحديث ثم النضر بن حسن الفقيه الحنفي ٢٦١=٢٧٤ (٧ : ١١٤) عبدالله بن يعقوب بن اسحق العطار التميمي وكان كثير الحديث والرواية وكان معدلاً عند الحكام ٢٧٥=٨٨٨ (٧: ١٧٤) محمـد بن اياس والد ابي زكريا صاحب تاريخ الموصل وكان خيّراً فاضلاً وهو ازديّ ٢٩٨=٩١٠ (٧: ٢٤) وورد في وفيات الاعيان ذكر عماد الدين ابي المجد اسماعيل بن باطيش الموصلي وذكر كتابه «التمييز والفصل» ويغلب على ظني ان المؤلف المذكور عاش في اواخر هذا العصر او انه عاصر اسحق الموصلي لانهُ وصفهُ وصفاً كمن عاش قريباً منه . يحيى بن ابي منصور الموسيقي جاء عنه انه ألّف كتاباً في الاغاني على الحروف وآخر في العود والملاهي لم نعثر لهما على اثر وعاش يحيى في زمن ابراهيم الموصلي او قبله بقليل

﴿الموصليان﴾ ينسب الى الموصل الموسيقيان الشهيران ابراهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلي وابنه اسحق. كان ابراهيم فارسيا ولد في الكوفة ١٢٥=٧٤٢ ومات في بغداد ١٨٨=٨٠٤ فلم يكن موصليًّا وانما سافر اليها واقام فيها زمناً طويلاً فتعلم فيها الموسيقي ولهذا نسب اليها هو وابنه (ابن خلكان ١: ٩ والاداب العربيّة لهوارت)

وقد عُرفا بهذه التسمية دون اي لقب آخر وقال ابو العتاهية في حبس النديم :

سلمُ يا سلمُ ليس دونك سر حُبس الموصليُّ فالعيش مرُّ

ورثى احدهم اسحق ابن النديم قال :

اذ مضى الموصليُّ وانقرض لأنـــس وحجّت مشاهد الاطرابِ

(ابو تمام) حبيب بن أوس الطائي استوطن الموصل ولهذا احصيناهُ بين ادبائها وان لم يكن موصلياً . فقد ولد سنة ١٨٠ او ١٨٨=٧٩٦ او ٨٠٤ في جاسم احدى قرى دمشق وكان ابوه مسيحياً يُدعى تدوس العطار (والاصح ثاودوروس او تادروس) فجعلوه اوساً .

قضى ابو تمام شطرًا من شبابهِ في الشام ثم رحل الى حمص فمصر وقدم الى الموصل حيث قضى معظم حياتهِ وفيها قضى نحبه ٢٢٨ او ٢٣١=٨٤٢ او ٨٤٥ وجاء في وفيات الاعيان «ان ابا نهشل بن حميد الطوسي بنى عليهِ قبة وقبره في الموصل خارج باب الميدان على حافة الخندق» وبعد الاحتلال البريطاني في السنة الاولى من تشكيل الحكومة العراقيَّة نقلت بقايا هذا الشاعر الكبير الى حديقة البلدية وأُودعت في ضريح فخيم أُعد لهذه الغاية

دخل ابو تمام في بلاط المعتصم ورافقه في حملته على عامورية (٢٢٣=٨٣٨) واقام في البلاط العباسي عند احمد بن المعتصم ثم عند ابنه الواثق . ولابي تمام ديوان نفيس طبع في بيروت سنة ١٨٨٦ وسنة ١٩٠٥ . وتجد في شعره التقريظ والتقويات والمراثي والهجاء ثم فتح عمورية وهزيمة بابك ومقتله ثم موت الافشين قائد جيوش المعتصم هذا اهم شعره التاريخي . ويُقال ان افكاره في الغالب هي مقتبسة من بعض الشعراء القدماء الذين أُغرم بمطالعة دواوينهم . وكانت نتيجة مثابرته على مطالعتهم انه نظم ست مجموعات : ١ً اختيار قبائلي الكبير وفيه مختارات من اغاني قبائل مختلفة . ٢ً اختيار قبائلي وفيه قطع منتخبة من اغاني قبائل مختلفة انشدها بعض الشعراء الغير المشتهرين . ٣ً اختيار الشعراء الفحول وهو مختارات مما اجادت بهِ قرائح فحول الشعراء الجاهليين والاسلام وينتهي بابن هرما . ٤ً الحماسة ونظمها الشاعر في عودته

من عند عبدالله بن طاهر وقد تخلّف عن السفر في همذان لتراكم الثلج فيها فاقام عند ابي الوفاء بن سلمي . وتنقسم الحماسة الى عشرة اقسام متنوعة المواضيع وتشتمل على لآلئ الشعر العربي من العهد السابق للاسلام الى عهد العباسيين (انظر الحماسة) وقد طبعها فريتاغ وقفاها بالفهارس المطولة . ثم نشر في موسكو بالروسيّة كتاب حماسة ابي تمام للاستاذ كريمسكي وجمع فيه ما يتعلق بهذه المجموعة من المعلومات . ٥ً اختيار المقطعات وقد نظمت على النسق عينه ولكنها تبدأ بالشعراء المتشبين . ٦ً منتخبات من الشعراء الاحداث وحوفظ على هذه المجموعات الى زمن الحسن بن بشر الآمدي ٣٤٠=٩٥٢ ومن كتابه « الموازنة بين ابي تمام والبحتري المطبوع سنة ١٢٨٧ . نعلم انهُ كان لابي تمام خصوم في الشعر ومنهم احمد بن عبيد الله القطرابلي المدعو الفريد كتب كتاباً كشف فيه عن اغلاط ابي تمام في الانشاء . وقد ردّ المرزوقي ٤٢١هجرية على بعض هذه الانتقادات في كتابٍ صنفهُ للدفاع عن الشاعر الطائي وايضاً في كتاب الشهاب في الشيب والشباب للشريف المرتضي (القسطنطينيّة ١٣٠٢) ردود على بعض اعتراضات الاموي

واخبار ابي تمام في الاغاني ١٥ : ١٠٠ــ١٠٨ والمسعودي : المروج : باريس ٧ : ١٤٧ وابن خلكان ١ : ١٢١ والسيوطي : حسن المحاضرة القاهرة : ١٣٢١ وابن الانباري وخزانة الادب ١ : ١٧٢ والحماسة ٢ : ١ (راجع ايضاً مجلّة المشرق ١٩٢٥ : ٧٧٠)

علماء الارامية في هذا العصر

وما عدا هولاء نبغ في الموصل علماء كتبوا في اللغة الارامية فان هذه اللغة كانت تُدرس في هذا العهد في مدارس كثيرة اشهرها مدرسة دير مار ميخائيل ومدرسة مار جبرائيل وانتاضه على دجلة بقرب باشطابية ومدرسة دير يونان النبي في نينوى ودير مار ايليا الحيري غربي الموصل . وكانت هذه المدارس عامرة سائرة بقدم ثابتة على الخطة التي ذكرناها في كلامنا على مدارس مدياب وتجد بعض الوصف لهذه المدارس ودروسها وانتظامها واسماء بعض تلاميذها في كتاب يوحنا بن خلدون . ومن العلماء الارامين الذين اشتهروا في هذا العصر

﴿توما دمرگا او المرجي﴾ ولد في حربا احدى قرى مرج الموصل في اوائل القرن التاسع الميلادي وتلقى العلوم والتهذيب في مدرسة بيت عابي المار ذكره . وقرّبه اليه ابراهيم البطريرك فجعلهُ كاتماً لاسرار دار البطركية ثم رقاه الى درجة الاسقفية على المرج ٨٣٧ـ ٨٥٠ ثم أُرسل مطراناً الى بيت جرماي وهناك كتب تاريخهُ الشهير «كتاب الرؤساء» سنة ٨٤٠ اجابةً لرغبة رهبان دير بيت عابي . ووصف السمعاني هذا الكتاب النفيس في المكتبة الشرقيّة وفضله كثيرون على تاريخ الاديرة الذي وضعه يشوعدناح البصري

ثم ان المستر بجّ المستشرق الانكليزي نشرهُ مع ترجمة انكليزية وذيول مفيدة وقدّمه بمقدّمة تاريخية انتقادية ثمينة زادت في قيمة الكتاب(١ ويشتمل هذا الكتاب على تاريخ بيت عابي مفصّلًا وحياة ماران إمّ الحديابي مع تقريض له عانى فيه الوزن والقافية وعلى حياة باباي مع طائفة من مشاهير الرجال الذين نبتوا في جبل الإزل . يقول المستر بجّ : ان في هذا التأليف الجليل تاريخ الرهبانيّة والحياة النسكية في نواحي دجلة مدة القرون الثلاثة الاولى وفيه يجد الباحث اهم الحوادث الكنسيّة والمدنية في تلك العصور فيذكر عن التقرب الذي تمّ بين المشارقة وبين الفرس الوثنيين ويذكر ايضاً عن زمن الاختلاق والاتفاق بين المشارقة وبين ملوك الفرس . ثم يورد الحوادث المعاصرة مفصلةً ويفصّل عن تشتت شمل رهبان جبل الازل وايفاد بطريرك المشرق الى هرقل وارتداد سهدونا الكاتب المجيد وانحطاط الكنيسة الشرقيـة في القرن السابع وتأسيس ستين مدرسة واصلاح الموسيقي الكنائسية واستعمالها في صقع المرج ويذكر تنصُّر قسم كبير من شعوب بحر قزبين وعن المبشرين الكلدان في جنوب جزيرة العرب وفي العجم والصين وعن تضعضع الدولة الفارسية وعظمة الدولة العربية وامتدادها العجيب . هذه هي اهمُّ الابحاث التي يوضحها لنا توما في كتابهِ الرئيسي

﴿ايشوع بر نون﴾ المتوفي سنة ٨٢٧ وكان من بيت جبّاري قرية على دجلة بين الموصل ونينوى . وورد اسمها «باجباري» في كتاب المجدل ص ٦٦ ويظنّ البعض انها يارمجه

---

1) The Book of Governors. London 1893

تلقى ايشوع العلوم في دير سعيد وهو دير مار ايليا الحيري ونال المقامات العالية حتى ارتقى الى درجة البطركية في ١٨ حزيران ٨٢٣ بعد وفاة البطريرك طيمثاوس الاول . وله عدة تآليف اهمها مئة وثلاثون قانوناً واربعة وسبعون سؤالاً مع الاجوبة عليها في حل غوامض الكتب المقدسة . وله ايضاً بحث هام في الخدم الكنائسية وبحث في تأثير الالحان ومراثٍ ورسائل نفيسة

❁الطبيب سابور بن سهل❁٢٥٥=٢٦٨ كان من كوز(خوز)احدى قرى نينوى ثقف في العلوم والمعارف وتخصص بالطب فاقيم رئيساً على الاطباء في جنديسابور بخوزستان . واورد المؤرخون عن تصانيفه الشهيرة في الطب وانفسها الاقراباذين وكان المعول عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة والعقارين (مختصر الدول ٢٥٥)

❁يوحنا او يحيي بن مأسويه ❁ ٨٥٧ وهو معلم حنين الطبيب الشهير وكان من قريه (خوز) المذكورة ولد فيها في نهاية القرن الثامن الميلادي وكان طبيباً حاذقاً وعالماً باللغات فادناه منه الخليفة المأمون واوعز اليهِ بترجمة كتب الحكمة فنقل الى العربية كتباً كثيرة من اليونانيّة والكلدانية والفارسية . ولما رأى المأمون انه اتقن الترجمة اقامه رئيساً على طائفة المترجين فخدم في بلاط العباسيين في خلافة الرشيد والمأمون والمتوكل والواثق . وقام بادارة اعظم مدرسة في عاصمة الخلفاء العباسيين . قال ابو الفرج: «ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة وكان معظماً في بغداد جليل القدر والشان وله تصانيف جمة . وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيهِ من كل نوع من العلوم القديمة باحسن عبارة» اه

واورد عنه من الحوادث التي تدلّ على سعة علمهِ ومكانته في دار الخلافة من ذلك ان الواثق كان يوماً على دجلة يصطاد سمكاً وعلى يمينه يوحنا بن مأسويه . فحُرم الصيد فالتفت الى يوحنا وقال: قم يا مشؤوم عن يميني . فقال يوحنا : يا امير المؤمنين لا تتكلم بمحال يوحنا ابوه مأسويه الخوزي وامّه رسالة الصقلبية المبتاعة بثمانماية درهم . ثم اقبلت بهِ السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم حتى غمرته الدنيا فنال منها ما لم يبلغهُ آمل . فمن اعظم المحال ان يكون هذا مشؤوماً (مختصر الدول ٢٤٦)

ومما يُنسب الى مأسويه «الكتاب على الحمى» (الاداب السريانيّة ٢٧٢) وهو

ملخص مذاهب الطبّ عند العرب والاراميين المشارقة . وكتابه في الجراحة علّق عليه الموسيو پاجل وله عدا ذلك تصانيف اخرى لا يسعنا ايرادها

عصر الحمدانيين

وهو المدة المتوسطة بين سنة ٢٩٣=٩٠٥ وسنة ٣٨١=٩٩١ وفيه نزى المتنبي شاعر سيف الدولة الحمداني يبرّز في الشعر ويحرز قصب السباق في مضماره . لكنهُ نسج على أنوال الاولين فاستهدف شعره المتصنع للانتقاد التحليلي (طالع العسكري: كتاب الصناعتين: استانبول ١٣٢٠ : ١١٩) وعدّ الثعالبي في يتيمة الدهر (١ : ٩٥) معايب شعره وسرقاته من اسلافه الشعراء كابي تمام والفرزدق وابي نواس وغيرهم . ومع هذا فالمتنبّي يُحصى بين كبار الشعراء الذين لا يُشَق لهم غبار بدليل شيوع ديوانهِ ومها يكن من معاصرهِ ابي فراس الامير الحمداني ورقة شعره الممتاز بصبغةٍ خاصة فيُعتبر في الاصول الشعرية احط منزلة من المتنبي الذي أُعجب الكثيرون بشعره فساروا على مناحيه الّا انهم لم يبلغوا شأوه

وكان ثمّ الشعر القصصي البطلي قد كسدت سوقه حتى ان الشعر الشهير لابن عبد ربه في سقطة الافطسيين لا يشبههُ الّا ببعض التلميحات فهو اكثر شبهاً بقصائد عرب الجنوب وبشعر بعض الاندلسيين الذي ضاع اكثره كآثار تمام بن علقمة في حوادث الاندلس واثار يحيي بن الحكم وابي طالب وهي في الغالب على شكل منظومة ابن عبد ربه في اعمال جند عبد الرحمن بن محمد اي انها تجري مجرى الوزن البسيط (الرجز) او بالاحرى هي منثورات قصصية مسجّعة رقيقة العبارة ليست من الشعر الفنّي لكنها اسهل مأخذاً للذاكرة ولم يحدث في حالة الشعر تحسُّن ام تطوُّر في هذا العصر

وليس كذلك صناعة النثر فانها تقدَّمت في هذا العصر تقدماً محسوساً اذ انهُ عُدَّ بين الفنون الادبية واقتبس من فصاحة الجاهلية ثم اتسع نطاقه بعد الاسلام بالخطب التي كانت تتلى ايام الجمعة في الاجتماعات الدينيَّة وغيرها ومن هذا النوع نهج البلاغة

الذي جمعه السيد الشريف الرضي من كلام الامام علي . وما بلغ الينا من هذه الخطب فهو اقل بكثير مما كان يذيعه اولياء الامور او العمال مثل زياد والحجاج وغيرهما . ومنها ايضاً مجموعة الخطب من عهد الخارجيين وكان عبد الحميد الاصغر المتوفي في بوصير سنة ١٣٢=٧٤٩ قد انشأ نوعاً من رسائل البلاغه الّا ان هـذا النوع لم يظهر بشكل كامل الّا في المهد اللغوي في زمن سيف الدولة الحمداني فاتخـذ شكلاً اصوليًا . واشتهر بالترسل ابو بكر الخوارزمي معـاصر بن نباتة السعدي ٤٠٥= ١٠١٤ وكان يأنف من الاقامة في قصور الامراء لشديد رغبته في التجول والتنقـل فاقتصر فيما كتبه على الابحاث الادبيـة ونال اسلوبه في الانشاء استحسان الجمهور وكثر استعماله في الرسائل الادارية فانصرف كتبة الدولة العباسية الى زخرف الكلام وعانوا الانشاء المنمّق وتكلفوه حتى في الابحاث الغير الهامة

ويدخل في النثر المدوّنات القصصية التي انتقلت الى العرب من الهنـد او الفرس فانه منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) استعربوا الكتاب الفارسي الشهير «هزار افسان» اي الناقصة . ولا ريب في ان هذه الترجمة كانت المبدأ لكتاب الف ليلة وليلة ويؤكد الكثيرون ان من هذه الاقـاصيص قسماً يرجع الى مآتي هنـدية كالخاطي والجن وحسن البصري والامير بدر والاميرة جوهرة السمندلية وقمر الزمان الى غير ذلـك وهي من الاقاصيص الحرة بالاعتبـار نظراً الى قيمتهـا الشعرية ورشاقة اسلوبها ورقة انشائها وقد اضيفت الى هذه المجموعة عدة اقاصيص انتجتهـا الروح السامية واخصها الحكايات العامة المجونية التي تنتهي غالباً بظهور هارون الرشيد كمنقذ غير منتظر

اما التاريخ في هذا العصر فقد احرز نجاحاً باهرًا بابي الفرج الاصبهاني ٣٥٦=٩٦٦ ولكتابه الاغاني المقدم لسيف الدولـة الحمداني فضـل عظيم على تاريخ الموسيقي والشعر وقد استند فيه الى مراجع وثيقة عن عصور المدنية والحضارة . واشتهر ايضاً الطبري ٣١٠ــ٩٢٢ بالتاريخ السباعي فاورد فيـه الحوادث بتلخيص مستوفى مع تاييدها بشهود عيانيين عند ارتباك الحوادث والتباسهـا وذكر في الحوادث الهامـة الموارد والمآخذ زيادة في الايضاح والدلالة حتى بدت رواياته جلية حرية بالتصديق . ويتناول هذا السفر التاريخي اخبار الامم منذ الخليقة حتى عصره . وليس للطبري نظر

انتقادي فيما ينقله الّا ان هذا لا يحطّ من قدره بل يزيد الباحث ثقة بصحة مخبره لسلامته من روح التحزّب. فقد صرف همّته وعنايته الى نقل تلك المأثورات من مصادرها الوثيقة منسّقةً الواحدة تلو الاخرى ولا يؤاخذ الطبري الّا بثقته العمياء بسيف بن عمر الكوفي المتهم بتحزبه للعبّاسيين والمظنون بصدق لهجته. ويلاحَظ في تاريخه ان مصادره تشحُّ ومسانده تضعف كلما دنا من عصره فان اخباره هناك موجزة تكاد لا تفي بالمرام كما نراه في ايراده حوادث عرب العبيد وحوادث القطر العراقي بحيث يخيَّل لمطالعه ان هذا القطر الذي كان يومئذٍ لبَّ الحضارة العربية لم يكن له اهمية كبرى في تاريخ الاسلام وبعكس ذلك نراه يسهب في تاريخ البلاد المغربية ويتوسع في ايراد حوادثها

ثم تأثره المسعودي ابن المدنية الاسلامية(٣٤٦=٩٥٧)بكتابه مروج الذهب فانه رحل من بغداد مسقط رأسه وساح بلاد المغرب في دولة الخلفاء حتى رمى به الترحال الى الهند فسيلان فالصين فبلاد الزنوج فعمان وقضى عمره يتنقّل بين سوريا ومصر فاكتسب من اسفارهِ سعة علم لم ينالها الذين خلفوه في هذا العمل . الّا انه لم يبقَ من اثاره الّا ما لخصه هو نفسه من كتابهِ التاريخي والجغرافي الكبير. وبرّز المؤرّخون العرب في كتابة التواريخ المحلية ومنهم في هذا العصر ابن زولاق في تدوين تاريخ مصر وفضائلها وقضاتها. وجرى على مثاله كثيرون في العواصم الاسلامية الكبيرة كاسبانية وخراسان. لكن هذهِ المصنفات النفيسة التي ظهرت عند ازدهار الاداب العربية قد ضاعت اجزاؤها الهامّة كما ضاع معظم تاريخ بغداد لابن طيفور (٢٨٠) وتاريخ الموصل لقاضيها ابي بكر الازدي

واتسعت مداخل التاريخ في الادب بجداول الكتب مع وصفها وذكر اسماء مؤلفيها وقد اقتضى جمعُها وتدوينها للوقوف على درجة الرقي العلمي والادبي في العالم الاسلامي. ومن اشهر المؤلفين في هذا الباب ابن النديم (٣٨٥ــ٩٩٥) وهو صاحب الفضل الاكبر على التاريخ الادبي واللغوي في كتابه « الفهرست » الشهير فلولا هذا الكتاب اضاع كثير من حقائق تاريخ الادب العربي

ثم زال رونق التاريخ العربي الاسلامي بعد تشتُّت امر الخلافة وظهور الدويلات الصغيرة فقد كان قبلًا عموميًا للبلاد الاسلامية المنضوية تحت راية الخلافة فانحصر

بحوادث خصوصية محلية لا تربطها رابطة القومية الواحدة . فان الاندلس وهي الدولة الاولى التي احرزت استقلالها السياسي بدأت منذ القرن الرابع (العاشر) بتدوين تاريخها الخاص بيد ابن القوطية (٣٦٧=٩٧٧) فذاك التقاطع حال دون اتساع نطاق التاريخ وذاك البحران السياسي الناجم عن تجزؤ الدولة الاسلامية الى دويلات صغيرة لم يصن للشعب مشاعره القومية وعواطفه الشاملة

واشتهر يومئذ ابو زيد البلخي (٣٢٢=٩٣٣) صاحب كتاب صور الاقاليم الجغرافي واستفاد مما كتبهُ الواقدي وابن خرداذبه . فجمع اول كتاب جغرافي اطلسي وبعده توسع ابو اسحق الاصطخري في كتاب الاقاليم (اواسط القرن الرابع) وابن حوقل (اواسط القرن الرابع) في اوصاف البلاد وتعيين مواقعها . وتكمّل هذا العلم بما عاناه سيّاحهم من مشاق الاسفار كالمسعودي وابي عبدالله المقدسي (٣٧٥=٩٨٥) وقد صنف « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » بعد اسفار ومشاهدات شخصية لكن اسفاره لم تتعدَّ الحدود الاسلامية

ثم اتسع نطاق هذا العلم برحلات سفرائهم الى الاصقاع الشمالية كرحلة احمد بن فضلان الى روسية (٣٠٩=٩١٢) بامر الخليفة المقتدر . ثم رحلة ابراهيم بن يعقوب الاندلسي اليهودي الى المانية والاصقاع الصقلبيّة في عهد اوتو الكبير بامر خليفة قرطبة . وزادها كمالًا تجوُّل البحارة العربية في مياه الخليج الفارسي والمياه الهندية والصينية وقد نسقها الجاحظ بدقةٍ واتقان في كتابه البيان (١ : ١٩١ــ١٩٢)

وما عدا ذلك توجد تصانيف اخرى تفيد الراغبين وتكسبهم فوائد شتى عن اسية الشرقية . من ذلك كتاب الرحّالة ابي زيد حسن السيرافي المعاصر للمؤرخ المسعودي ومنه نُسَخ في خزائن الكتب الكبيرة ويستند فيما كتبه الى ما قصّه عليه تاجران . ثم تاليف رُبّان المركب الراهرمزي ثم الكتابات التي استشهد بها التنوخي (الفرج بعد الشدة ٢ : ٧٩ : ٨٠ــ٨٧ــ٨٨)

وما عدا ذلك نضجت في هذا العصر دروس اللغة واخذ المؤلفون يكتبون المجلدات في اللغة وقواعدها . واهمُّ الاسباب التي حملت العرب منذ بدء الاسلام على دعم لغتهم بالضوابط والقوانين هي امتدادها السريع بفتوحات الاسلام وخوفهم عليها من الدخائل ومن الطوارئ الغريبة ثم قراءتهم القرآن اذ كانت اساليبها جارية

على قاعدة غير مطّردة فكثر فيها اللحن

ويرى المستشرقون ان الصرف العربي اخذ مبــدأه الاساسي من منطق ارسطو ويستندون في ذلك الى ان منطق ارسطو كان كتاباً تدريسياً في المدرسة الاراميــة الفارسية في جنديسابور من عهد الدولة الساسانية وقد انتقل منهم الى العرب . فاخذ العرب منذ القرن الثالث الهجري يبحثون الابحاث الطويلة الفلسفيــة في علم لغتهم . ومن التقاليد المتبرة ان اول الصرفيين كان الشاعر ابو الاسود الدؤلي وقيل ايضاً ان اول من صنف فيهِ عيسى بن عمر الثقفي وابو عمرو ابن العلاء وتوسّع فيهِ الخليل من بني ازد واستنبط العروض وجمع مفردات اللغة في معجم سماه « كتاب العين » وخلفه فيهِ تلميــذه سيبويه . وسعى الاصمعي بنشره بين الطبقات العالية خــاصةً في بلاط الرشيد . ثم تحسّن هذا الفن بالابحاث الجدلية التي جرت بين رجال المــدرسة البصرية وبين علماء الكوفة . وقد نبغ في العلوم اللغوية الكسائي تلميذ سيبويه فصنف كتاباً في اغلاط اللغة العامية في ذلك الحين وألّف كتاباً في اداب اللغة مــا زال الى الآن مَوردًا غنيًّا للابحاث اللغوية ويفيد كثيرًا لمعرفة الفروع اللغوية التي تسبق التاريخ

ثم بدأت هذه الابحاث منذ القرن الثالث الهجري (التاسع للمسيح) تنضج تدريجاً في بغداد . فدرسوا درساً مدققاً نظريات اللغويين القدماء واشتهر بفلسفة اللغة ابن جنّي صاحب التصانيف الشهيرة . وهناك وضع ابو هلال العسكري علم الشعر على اصولٍ معلومة وكان قد سبقه فيها ثعلب الكوفي فانتشرت الدروس اللغوية في سائر انحــاء العالم الاسلامي حتى اسبانية حيث نشط القالي الى نشرها

اما ما تركهُ اللغويون من المتأخرين فهو نزر بالنظر الى عددهم وهذا النزر يُعدُّ من الكنوز الثمينة كمفصَّل الزمخشري وغيرهِ من المجاميع اللغوية النفيسة مثل جمهرة بن دريد وصحاح الجوهري والمخصّص لابن سيده الاندلسي ولسان العرب لابن منظور وقاموس الفيروزابادي مع شرحه للمرتضى الزبيدي

وعدّ رجال هذا العصر « الفقه » بين اداب اللغة فسبق ابن حيّان (٣٥٤=٩٦٥) كتَبَة عصره وصبَّه في قالب عربي فصيح فأصبح ثمة ذات علاقة مهمة بالاداب اللغوية وألّف فيهِ كتابه المسمّى « روضة العقــلاء ونزهة الفضلاء » منهُ نسخة خطيّــة في هامبورغ . وبلغت التفاسير القرآنية فيهِ كمال حدّهــا بشرح الطبري المؤرخ اذ انه جمع

في شرحه اشهر الموارد التقليدية

ثم كان في هذا العصر انتشار القرامطة وظهورهم بالمبادئ السياسية الممتزجة بالمظاهر الدينيّة وكان منشأهم في الكوفة في آخر دولة المعتمد(٢٧٩=٨٩٢) . وبعد هذا انتشرت رسائل اخوان الصفا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وحاولت هذه الجمعية السريّة ان توفق بين الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فصنفوا خمسين رسالةً بخمسين نوعاً من الحكمة ومقالةً حاديةً وخمسين جامعة لانواع المقالات على طريق الاختصار (مختصر الدول ٣٠٨) وذُكر ايضاً لاخوان الصفا كتاب يشتمل على علوم الشعوب وعلى سائر الاديان المعروفة في زمانهم على شكل معجم - ولم تستطع مبادى اخوان الصفا ان تؤثر في الاعمال الدينيّة الّا ان كتاباتهم فتحت مجالاً لمذاهب كثيرة . وكانت فلسفة ارسطو من مواضيع الدروس العربية لكنها بقيت منحصرة في حدود معلومة حتى ظهر في هذا العصر الفارابي (٣٣٩=٩٥٠) وخدمها في البلاط الحمداني تحت حماية سيف الدولة فانتشرت على يده

الحمدانيّون

ويسمّون بذلك نسبةً الى حمدان بن حمدون من زعماء قبيلة تغلب وقد فرزنا باباً خاصاً للحمدانيين في الجزء الاول وفيه يجد المطالع التفصيلات المسهبة عن منشأهم والتحاق حمدان بهارون الخارجي واستيلائه على حصن ماردين ثم انهزامه امام جيش المتضد وتقديم ابنه حسين الطاعة للخليفة العباسي

ثم بعد ذلك بزمن يسير وقع حمدان اسيراً بيد الخليفة فسجنه في بغداد ولم يطلق سراحهُ حتى انجز ابنهُ حسين وعده بالقاء القبض على هارون الخارجي فاحسن الخليفة الى حمدان والى اولاده واجزل لهم العطاء ومن هنا يبدأ مجد البيت الحمداني . واشتهر حسين بوقائعهِ الدائمة السيف مع القرامطة ثم بمناصرتهِ للشاعر العباسي عبدالله ابن المعتز على المقتدر واخيرا أسر لعصيانه وتوفي في الاسر (٣٠٦=٩١٨) واشتهر منهم ابو الهيجاء عبدالله وهو اولهم في ولاية الموصل (٢٩٣=٩٠٥)

ولم ينحصر سلطان الحمدانيين على الموصل ونواحيها وما بين النهرين بل امتد على حلب وسورية الشمالية ايضاً . فكان على الموصل وما بين النهرين ناصر الدولة ابن ابي الهيجاء وعلى سورية وجهاتها اخوه سيف الدولة وفي ايامها بلغت هذه الدويلة مبلغاً عظيماً من الاتساع والمنعة والثروة والعلم

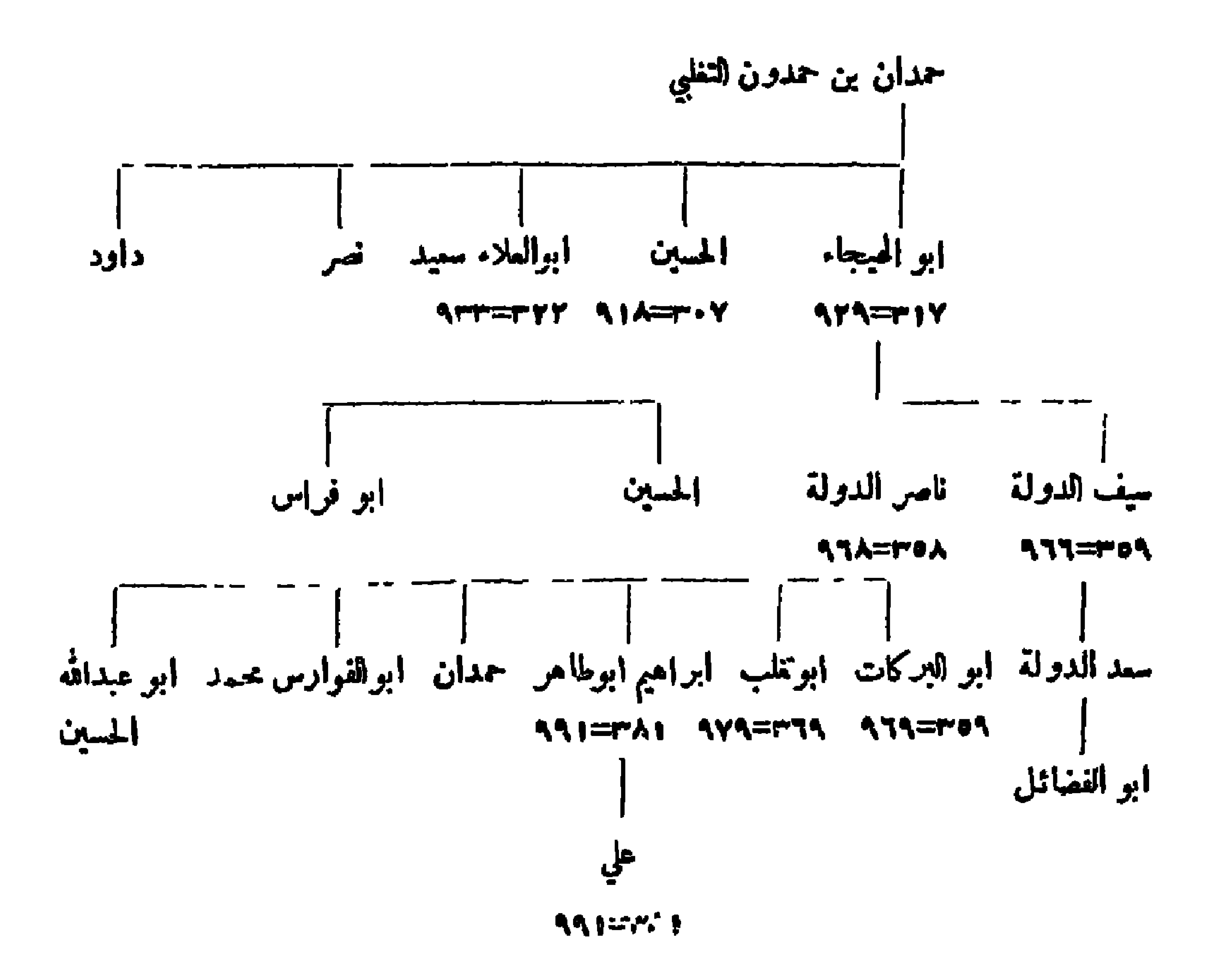
فان حكم الحمدانيين امتدّ الى الشام ومصر وذلك بعد الصلح الذي تمّ بين ناصر الدولة وبين معز الدولة البويهي (٣٣٥=٩٤٦) على ان يكون في يد ناصر الدولة من حدّ تكريت الى فوق ويُضاف الى اعماله مصر والشام ولا يحمل عن الموصل وما بين النهرين شيئاً مما كان يحمله من المال ويكون الذي يحمله من مصر والشام ما كان يحمله الاخشيد بن طغج (مسكويه ٢ : ١٠٨) فاحرز الحمدانيون المنعة والقوة حتى حارب ناصر الدولة سلاطين بني بويه وضيق عليهم الخناق في بعض الوقائع وضرب السكة (٣٣١) باسم المتقي وباسمه واسم اخيه سيف الدولة (مسكويه ٢ : ٩١) وسمي امير الامراء بعد القضاء على ابن رائق وهرب المتقي بذويه الى الموصل فحماه ناصر الدولة من توزون التركي واشتهر سيف الدولة بحروبه مع البيزنطيين وبحملاته على بلادهم

امّا الثروة فقد جمع الحمدانيون اموالاً طائلة حتى بلغ بهم الترف مبلغاً عظيماً . فجاء عن ابي تغلب الحمداني انه بذل بجارية مئة الف درهم وان جميلة ابنة ناصر الدولة حجّت فضرب بحجها المثل . فانها استصحبت اربعماية جمل وكان معها عدة محامل لم يُعلَم في ايّها كانت ونثرت على الكعبة لمّا رأتها عشرة الاف دينار وسقت جميع اهل الموسم السويق بالسكر والثلج (كذا قال ابو منصور الثعلبي فمن اين كان لها الثلج؟) وخلعت على طبقات الناس خمسين الف ثوب وكان لها اربعماية عمارية لا يُدرى في ايها كانت (حاشية تجارب الامم : هـ . ف . امدروز ٢ : ٤٠٤) وبذل سيف الدولة من المال في نحو سنة افناها في ميافرقين عشرين الف الف درهم ومايتين وستين الف درهم ومايتين وستين الف دينار (مسكويه ٢ : ٢٠٠) وهي تبلغ بنقود اليوم ٧٩٦٦٦٦ ليرة مصرية

واشتهر الحمدانيون ايضاً بالعلوم ونشر الاداب فقال فيهم الثعالبي : ورُزقوا (اى ادباء العصر) ، لرسم [illegible] بني حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب والمشغوفون

بالاداب والمعروفون بالمجد والكرم والجمع بين اداب السيف والقلم وما منهم الّا اديب جواد يحبُّ الشعر وينتقده ويثيب على الجيد منه فيُجزل ويفضــل . فانبعثت القرائح في الاجادة وقادوا محاسن الكلام بألين زمام واحسنوا وابدعوا ما شاؤوا. واكثرهم اشتهارًا في ذلك سيف الدولة فكان قصره بؤرة الادباء ومنتــدى العلماء والشعراء كالمتنبيّ شاعر عصره الفريد والفارابي الفيلسوف الكبير والوسيقي البارع وكان ملازماً لخدمته حتى مات وهو مسافر معه الى دمشق ثم الاصبهاني الــذي قدّم لهُ كتابه الشهير في الادب والموسيقي والتاريخ فاعطاه سيف الدولة جائزة عليهِ الف دينار واعتذر اليهِ.ومن يطلب الزيادة في تاريخ الحمدانيين فليطالع الجزء الاول من هذا الكتاب

الجدول النسبي لبني حمدان



علماء العصر الحمداني

ابو فراس (٣٢٠=٩٣٢ـ٣٥٧=٩٦٨) هو الحرث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم ناصرالدولة وسيف الدولة وكان اماماً في الادب. وصف الثعالبي شعره بالسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزّة الملك وقال: لم تجتمع هذه الصفات الّا في الشاعر العباسي عبدالله ابن المعتز. لكنّ ابن خلكان وضع ابن المعتز في طبقة من الشعراء دون طبقة ابي فراس فنقل عن الصاحب بن عباد قوله: ان الشعر بدئ بملكٍ وخُتم بملك يعني امرء القيس وابا فراس. وشهد له المتنبي بالتبريز والتقدم عليهِ

كان ابو فراس نائباً في منبج عن ابن عمه سيف الدولة الحمداني واشترك في المعارك التي دارت رحاها على الحدود بين ابن عمه وبين الرومانيين الشرقيين في اسية الصغرى فأسر سنة (٣٤٨=٩٥٩)وسيق الى الخرشنة على الفرات. ثم افلت من الاسر وبعد ثلاث سنوات تقريباً اعتقل ثانية فاخذوهُ الى القسطنطينيــة وقضى اسيرًا نحو اربع سنوات وهناك كتب اجمل شعره الى ذويه واشهرهُ ما ارسلهُ الى امّه وقد ترجمه اهلوردت في كتابهِ في الشعر العربي. وبعد موت سيف الدولة حــاول ابو فراس ان يستولي على حمص فثارت الحرب بينه وبين ابن سيف الدولة فقُتل في احدى المواقع

يتّسم شعر ابي فراس بسمةٍ خاصة بهِ دون سواه. فان نظمه اشبه بمذكرةٍ شعرية جمع فيها اهمّ حوادثه اليومية الّا ان اساوبــه الانشائي لا يختلف عن اسلوب عصره وان لم يكن من شكل الانشاء الانيق الــذي عاناه المتنبي . وقد طُبع ديوانه في بيروت سنة ١٨٧٣ على ما صنفه ابن خالويه وصرف المستشرقون اهتماماً كبيرًا بشعر ابي فراس لرشاقة اسلوبه فترجموا قسماً كبيرًا منه الى اللغات الاجنبيّة مثل روكرت وفوارك وولهرزن وغيرهم

ومن شعره الفخريات والاخوانيات والروميــات والعتاب والشكوى والغزل والنسيب والوصفيات. فمن فخرياته (من الوافر):

لنا بيت علا عُنق الثريّا بعيد مذاهب الاطناب سامي
تظلّلــه الفوارسُ بالعوالي وتفرشه الولائد بالطعامِ

وقال ايضاً (من الوافر):

لئن خُلق الانام لحسو كاسٍ ومزمارٍ وطنبور وعودِ
فلم يُخلق بنو حمــدان الّا لمجد او لبأس او لجودِ

ومن اخوانياته (من البسيط):

يجني الخليل فأستحلي جنايته حتى أدلّ عــلى عفوي واحساني

وقال ايضاً (من الكامل):

اني عليك ابا حصين عاتبٌ والحرُّ يحتمل الصديق ويغفرُ
واذا وجدت على الصديق شكوتُه سرّاً اليه وفي المحافــل اشكرُ

ومن رومياته (من الطويل):

اقول وقد ناحت بقربي حمامــةٌ ايا جارتي هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقتِ طارقة الهوى ولا خطرَتْ منك الهمومُ ببالي
ايا جارتي ما أنصف الدهرَ بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي
أيضحك مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنتُ اولى منك بالدمع مقلةً ولكنْ دمعي في الحوادث غالي

واخبار ابي فراس واشعاره كثيرة في يتيمة الدهر (١ : ٢٢) وابن خلكان (١ : ١٢٧) وبروكلمن : الادب العربي (١ : ٩٦)

سيف الدولة الحمداني (٣٠٣ – ٣٥٦=٩٦٦) وهو ابو الحسن بن ابي

الهيجاء بن حمدان من البيت الحمداني الموصلي. واشتهر بحمايته العلم ورجاله وبحملاته على الاروام. فتولى اولاً واسط وتولى اخوه ناصر الدولة الموصل. ولما عاد الخليفة المتّقي من الموصل الى بغداد وقتله توزون التركي انتزع سيف الدولة مدينة حلب من يد احمد بن سعيد الكلابي صاحب الاخشيد. فانفذ الاخشيد جيشاً على سيف الدولة بقيادة كافور العبد. ثم توفي الاخشيد (٣٣٤=٩٤٥) فعاد كافور خائباً الى مصر وحينئذٍ استولى سيف الدولة على حلب والشام وعلى الرملة واستقرّ بينهما الصلح. وفي السنة ٣٣٧=٩٤٨ نشأت الحرب بين سيف الدولة وبين الروم البيزنطيين واستمرّت نحو ثماني عشرة سنة بحيث لم يمض عام لا تنشب حرب بين الطرفين

ثم اقبل نيقيفور الدومستيق على حلب (سنة ٣٥١=٩٦٢) بمئتي الف مقاتل والتحم بينهما القتال بظاهر المدينة فانجلت الحرب عن انكسار سيف الدولة فاستولى الاروام على المدينة عدا القلعة واسروا ١٢٠٠ رجل من الجنود الحلبية ونهبوا واخربوا قصر سيف الدولة الذي كان مبنيًا خارج المدينة وانسحبوا عنها بعد ثمانية ايام. ثم مات سيف الدولة ونُقلت جثته الى ميافرقين ودُفن في تربة امه. قال ابن خلكان: وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه من غزواته وعمل لبنة بقدر الكف واوصى ان يوضع خده عليها في لحده فنفذت وصيته

وكان سيف الدولة عظيم السلطة شديد الهيبة محبًا للشعر ورجاله شديد الاهتزاز له سخيًا باموالهِ على خدمة العلم والادب تقصده به العلماء والادباء حتى ان ابا محمد عبدالله بن الفياض الكاتب وابا الحسن علي بن محمد الشمشاطي اختارا من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت. وحوى من لم يجتمع مع الشعراء واخذّهم المتنبي والسريّ الرفاء والخالديّين والنامي والببغاء والوأواء وكان هو نفسه شاعرًا مطبوعًا وكاتبًا بليغًا. ومن شعره ما ذكره ابن خلكان وابو الفداء في وصف قوس قزح قال (من الطويل):

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته   فقام وفي اجفانه سِنَةُ الغمضِ
يطوف بكاساتِ العقار كأنجمٍ   فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضِّ

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارقاً على الجو دكناً والحواشي على الارض
يطرّزها قوس السحاب باصفر على احمر في اخضر تحت مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

واخبار سيف الدولة في ابن خلكان(١ : ٣٦٤) ويتيمة الدهر (١ : ٨) وابي المحاسن (طبعة جوينبول ج٢) وفي غيرهم من المؤرخين واكثرهم ابي الفداء وابن الاثير

ابو المطاع ذو القرنين بن ابي مظفر حمدان بن ناصر الدولة الحمداني (٤٢٨= ١٠٣٦) ونترجمه في هذا العصر وان لم يكن من المتوفين فيه اذ كرنا المشتهرين بالشعر من البيت الحمداني

ان ابا المطاع بعد افول نجم آل حمدان رحل الى مصر (سنة ٤١٤=١٠٢٣) في ايام صاحبها الظاهر ابن الحاكم العبيدي فقلده ولاية الاسكندرية واعمالها فاقام فيها سنة ثم عاد الى دمشق . وكان ابو المطاع شاعراً ظريفاً حسن السيرة بديع المقاصد ومن شعره قوله (من البسيط) :

اني لأحسد (لا) في اسطر الصحف اذ رأيت اعتناق اللام للألف
وما اظنهما طال اعتناقهما الّا لما لقيا من شدة الشغف

ومن قوله :

افدي الذي زرته بالسيف مشتملًا ولحظ عينيه امضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له حتى لبست نجادًا من ذوائبه
فكان اسعدنا في نيل بغيته من كان في الحب اشقانا بصاحبه

وفي ابن خلكان(١ : ١٨١) وفي خاص الخاص (١١٥) ابيات اخرى له والشاعر الحمداني الآخر ابي العشائر

السريّ الرفاء (٣٦١=٩٧٢) وهو ابو الحسن بن احمد بن السريّ الكندي وكان شاعرًا مطبوعاً عذب الالفاظ مليح المآخذ كثير الافتنان بالتشبيهات ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر

كان في صباه يرفو ويطرز في دكان في الموصل وهو مع ذلك مولع في الادب حتى برع في الشعر ومهر فيهِ فقصد سيف الدولة الحمداني بحلب واقام عنده مدةً فكان لشعره وقع حسن عند الامراء الحمدانيين وكبراء العراق والشام. ثم قدم بغداد بعد وفاة سيف الدولة ومدح المهلّبي الوزير العباسي الذي نهض بالاداب والعلوم (ابن مسكويه ٢ : ١٢٥) وتقرب الى غيره من الصدور فارتزق معهم وحسنت حاله وسار شعره في الآفاق. وجاء في منهل الاولياء ان الخالديَّين الموصليين اوغرا صدر سيف الدولة حتى تغيَّر عليهِ فقطع رسمه واضطر السريّ الى قصد بغداد . فلما ذاع شعره ورغب الناس فيهِ نابذ الخالديين وناصبها العداء. فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيرهِ . وكان ينسخ ديوان شعر كشاجم فدسّ في هذا الديوان احسن شعر الخالديين ليزيد في حجمه فينفق سوقه ويشنّع بذلك عليهما تاكيدًا لشكواه منهما . وقد افرد الثعالبي فصلًا لشعره في ذكر سرقة الخالديين منه وغاراتهما عليه . وقد هجاهما السري ومن هجوه ما جاء في قصيدته التي يمدح بها ابا البركات بن ناصر الدولة الحمداني ويتظلم اليهِ من الخالديَّين قال (من البسيط) :

يا اكرم الناس الّا ان يعدّ اباً فات الكرام بآباء وآثارِ
اشكو اليك حليفَيْ غارةِ شهرا سيف الشقاق على ديباج افكاري
ذئبَين لو ظفرا بالشعر في حرَمٍ لمزّقاه بانيابٍ واظفارِ
سلّا عليه سيوف البغي مصلتةً في جحفلٍ من صنيع الظلم جرّار

ومنها :

وكل مسفرة الالفاظ تحسبها صفيحة بين إشراق وإسفارِ
ارقتُ ماء شبابي في محاسنها حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري
ان قلّداك بدرٍّ فهو من لُجَجي او ختّماك بياقوتٍ فأحجاري

ومنها :

وما رأى الناس سَبْياً مثلَ سبيها بيعت نفيستُهُ ظلماً بدينارِ
والله ما مدحا حيًّا ولا رثيا ميتاً ولا افتخرا الّا باشعاري
لم يبقَ لي من قريضٍ كان لي وزَرٌ على الشدائد الّا ثقلُ اوزاري
اراه قد هُتكت استارُ حرمته وسائر الشعر مستور باستار
عار من النسب الوضّاح منتسبٌ في الخالديّينِ بين العزّ والعار

وقد اورد الثعالبي ابياتاً عديدة للسريّ الرفّاء عدّها مسروقة المعاني من الشعراء واكثر تلك المعاني من شعر ابي تمام والمتنبي وابن الرومي . ومع ذلك فقد اطرى الثعالبي شعر السري وبلاغتهُ وجودة وصفه وحسن تشبيهاته . من ذاك قوله في وصف شعره (من الوافر) :

اليك زففتها عذراء تأوى حجاب القلب لا حجُبَ القبابِ
أذبتُ لصوغها ذهب القوافي فادت رونق الذهب المذابِ

وقال الثعالبي في كتاب خاص الخاص : قد اكثر الشعراء في ذم البخيل ولم اسمع بذم البخيل في الشراب غير قول السرّي وهو غاية في بابه (من البسيط) :

الكأس تهدي الى شرّابها فرحاً فما لهذا الفتى صفراً من الفرَحِ
يصفرّ ان صبَّ ساقيه لنا قدحاً كانما دمه ينصبُّ في القدحِ

والسري ديوان اكثره في مديح سيف الدولة والوزير المهلبي وبعض الامراء الحمدانية وفي هجاء الخالديّين وفي وصف الطبيعة ومنه نسخة خطية في حزانة الكتب الخديوية وفي مكاتب باريس ولندن . جاء في وفيات الاعيان انه عمل شعره قبل وفاته نحو ثلاثماية ورقة ثم زاد بعد ذلك . وقد رتّبه بعض المحدثين والادباء على حروف المعجم . وذكر له ابن النديم كتاب المحبّ والمحبوب والمأكول والمشروب جمعه من احسن اشعار المتقدمين والمتأخرين في الغزل واشعارهم والاطياب والازهار واسباه

الخمر. منهُ نسخة خطية في فينَّا واخرى في ليدن. وذكر لهُ ابن خلكان كتاب الديرة لم اقف لهُ على تفصيلات

واخبار السري في يتيمة الدهر (١: ٤٥٣ــ٤٧١) وابن خلكان(١: ٢٠١) والفهرست(١٦٩) وخاص الخاصّ (١٢٠)

الخالديّان – وهما ابو بكر محمد بن هاشم (٣٨٠=٩٩٠) وابو عثمان (٤٠٠ = ١٠٠٩)الشاعران الاخوان المعروفان بالخالديَّيْن نسبةً الى الخالدية احدى قرى الموصل . قال الثعالبي في وصفهما: ان هذين لساحران يُبدعان فيما يصنعان وكان مما يجمعهما من اخوَّة الادب مثلَ ما ينظمهما من اخوة النسب فهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروحٍ واحدة ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان. وقال الصابي فيهما قصيدة طويلة منها:

ارى الشاعرين الخالديَّيْن سيّرا قصائد يفنى الدهر وهي تخلَّدُ

وقد ذكرنا في ترجمة السري الرفاء ما جرى بينه وبينهما من المسارقة والمصالتة وكان افاضل العراق والشام يومئذٍ فرقتين احداهما تتعصب للسريّ على الخالديَّين والاخرى تتعصب لهما على السري وكانت فرقتهما في شق الرجحان لفضل ما رُزقاه من قلوب الملوك والامراء. اذ كانا خازني كتب سيف الدولة الحمداني

ولهما في الشعر قصائد تأخذ بمجامع القلوب وكان ابو عثمان احفظ للشعر من اخيهِ. فقد نقل عنه ابن خلكان انهُ كان يحفظ الف سفر من الشعر وكل سفر مئة ورقة. فكان يحفظ اذا مئة الف ورقة او مئتي الف صحيفة واذا اعتبرنا ان كل صحيفة فيها ثلاثون بيتاً على الاقل فتكون محفوظاته ثلاثة ملايين بيت من الشعر. وقال عنهما ايضاً انهما كانا يغصبان الشعر صاحبه حيا كان ام ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما. وفي يتيمة الدهر امثال من سرقاتهما واكثرها من المعاني التي جادت بها قريحة خصمهما السري وقد مرَّ بنا تظلمه الى الامير الحمداني

وجمع ابو عثمان شعره وشعر اخيهِ قبل موتهِ فذكر لهُ في وفيات الاعيان تصانيف منها حماسة شعر المحدثين وتسمى ايضاً الاشباه والنظائر او حماسة الخالديَّيْن وهي مجموعة مختارات من اشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم وكثير منها لم

يرد في حماسة ابي تمام وتوجد منها نسخة خطيّة في المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صحيفة. ومنه ايضاً نسخة في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل. وشعرهما بليغ رقيق منه ما قالهُ ابو بكر يصف الصبح البادي (من الكامل):

ما عذرُنا في حبسنا الأكوابا سقط الندى وصفا الهواء وطابا
وكأنما الصبح المنير وقد بدا بازاً أطارَ من الظلام غرابا

وقال في وصف البدر تحت الغيم الرقيق وهو وصف بديع لم يسبقه احد اليهِ (من الكامل):

والبدرُ منتقب بغيمٍ ابيض هو فيه بين تخفُّرٍ وتبرُّجِ
كتنفُّس الحسناء في المرآة اذ كملت محاسنها ولم تتزوَّجِ

ومنها ايضاً في وصف السماء الصافية الاديم

ارعى النجوم كأنها في افقها زهر الاقاحي في رياض بنفسجِ
والمشتري وسطَ السماء تخالُهُ وسناه مثل الزئبق المترجرجِ
مسمار تبرٍ اصفر ركّبتهُ في فصّ خاتم فضةٍ فيروزجِ
وتمايل الجوزاء يحكي في الدجى ميلانَ شارب قهوةٍ لم تمزجِ

وقال ابو عثمان الخالدي في دير سعيد وهو دير مار ايليا بظاهر الموصل (من البسيط):

يا حسن دير سعيد اذ حللتُ به والارض والروض في وشي وديباجِ
فما ترى غُصُناً الّا وزهرته تجلوه في جبّة منها ودُرّاجِ
وللحمائم الحانٌ تذكّرنا احبابنا بين ارمالٍ واهزاجِ
وللنسيم على الغدران رفرفة بزورها فتلقّاه بامواجِ

ومن رقيق شعره في الخمريات قوله (من الكامل) :

ومدامةٍ حمراء في قارورةٍ زرقاء تحملها يدٌ بيضاء
فالراح شمسٌ والحباب كواكب والكف قطب والاناء سماء

واخبار الخالديين وشعرهما كثير في يتيمة الدهر(١ : ٥٠٧) وفوات الوفيات(١ : ١٧٠و٢ : ٢٧١) وخاص الخاص (١٢٢و١٢٣)

عثمان بن جني(٣٩٢=١٠٠٢) وهو ابو الفتح عثمان اختلف المؤرخون في تعيين زمن ولادتهِ فقال بعضهم في سنة ٣٢٠ هـ وقال آخرون في سنة ٣٠٠ وكان ابوه جني مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الازدي الموصلي . ولعلّ اسمه جني منحوت عن اسم يوناني مثل جنايس

قرأ ابن جني على ابي علي الفارسي الفساوي من البصرة ولازمه نحو اربعين سنة حتى مات ابو علي . ووُجد ابن جني في خدمة سيف الدولة وبعده في خدمة عضد الدولة في فارس . وذكر ياقوت انه كان يشغل مركز كاتب الانشاء عند عضد الدولة وعند خلفهِ وفي كلا المكانين تسنى لهُ ان يتردد على المتنبي ويعاشره زمناً طويلاً وان يناظرهُ في بعض المسائل النحوية فنال شهرة ذائعة وخلف الفارسيَّ في بغداد واستمر كذلك حتى توفي . وشرح ابن جني ديوان المتنبي واشتغل خاصة في العلوم اللغوية حتى اصبح عمدة في اللغة يرجع اليهِ البصريون والكوفيون ومصنفاته الثمينة وهي :

١ً كتاب الخصائص في علم الاصول العربية وهو بحث فلسفي في اللغة واصولها واشتقاقاتها واحكامها ومآخذها وما يجوز القياس فيهِ والكتاب عدة اجزاء ضخمة منها الاول والثاني في المكتبة الخديوية تزيد صفحاتها على ٧٠٠ ص والثالث والرابع في مكتبة غوطا واجزاء اخرى في مكتبتي راغب ونور عثمانية في الاستانة . ٢ً سر الصناعة في حروف العلة والحروف الصحيحة منه نسخة خطية في مكتبة المدرسة الاسلامية في الموصل تاريخها ١١٥٥ هـ كما عرفناهُ من كتاب مخطوطات الموصل (وهو كتاب نفيس ضبط فيهِ حضرة الفاضل الدكتور داود بك آل الجلبي وصف مفردات الكتب الموجودة في خزائن الموصل وصفاً دقيقاً وعلّق عليها حواشي وذيّلها

بذيول تاريخية هامة) . ٣ً المصنف في شرح تصريف ابي عثمان المازني في مكتبتي راغب باشا وكوبريلي بالاستانة . ٤ً المبهج في اشتقاق اسماء شعراء الحماسة لابي تمام منهُ نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٢ صحيفة . ٥ً مختصر في العروض منهُ نسخ في برلين وفينا وليدن . ٦ً مختصر في القوافي منهُ نسخة في الاسكوريال . ٧ً اللمع في النحو في برلين وايا صوفيا . ٨ً الصبر وهو شرح ديوان المتنبي في المكتبة الخديوية . ٩ً التنبيه في شرح الحماسة وهو كتاب ضخم بنيف و٤٠٠ ص وعليهِ شروح نحوية ولغوية ذات فوائد طويلة في ليدن والمكتبة الخديوية . ١٠ً مختصر التصريف الملوكي ترجمة الى اللاتينية وطبعهُ في ليبسيك الدوكتور هوبرج سنة ١٨٨٥

وما عدا هذه الباقية في مخازن الكتب الكبيرة فلهُ مصنفات اخرى يذكرها ابن خلكان وهي التلقين في النحو . والتعاقب . والكافي في شرح القوافي الاخفش . والمذكر والمؤنث . والمقصود والممدود في شرح شعر الهذليين . والتذكرة الاصبهانية . ومختار تذكرة ابي علي الفارسي . والمقتضب في معتلّ العين . والمهذب . والتبصرة في اصول الفقه للشيخ ابي اسحق ابراهيم بن علي الشيرازي المتوفي ٤٧٦ هـ . وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ان عليها شروحاً لابي الفتح عثمان بن جني . ثم يقول : وهذا خطأ لان الشيرازي ولد بعد وفاة ابن جني : اه ولا نعلم اذا كان ابن خلكان قد نسب هذا الكتاب خطأً الى ابن جني استنادًا الى الخطأ الفاشي

وكان ابن جني شاعرًا مطبوعاً رثى المتنبي بقصيدة يائية طويلة فقال ابن خلكان لولا طولها لاتيت بها ومن منظوماته قولهُ (من السريع) :

شواهدي عيناي اني بها   بكيت حتى ذهبتْ واحدهْ

واعجب الاشياء ان أنني   قد بقيت في صحبتي زاهده

واخباره في بن خلكان (١ : ٣١٣) وياقوت . شد الاريب (٥ : ١٥ و٣٢) ويتيمة الدهر (١ : ٧٧)

وعدّ الثعالبي في يتيمة الدهر بين شعراء الموصل الخفاف الموصلي ولم يذكر لهُ سوى بيتين من الشعر وذكر ايضاً ابا بكر محمد بن احمد المعروف بالخبازة وعبيد الله بن احمد البلدي واورد لهما ابياتًا من الشعر

واشتهر في هذا العصر ايضاً ابو يعلى احمد بن علي التميمي(٣٠٧=٩١٩)وكان هذا من مشاهير المحدثين والحفاظ وهو صاحب المسند الشهير في الاقطار فضلاً وعلماً ورواية ودراية كذا جاء عنه في منهل الاولياء . وكان هذا المسند يُدرّس في الموصل في اكبر المدارس الاتابكية (ابن خلكان ٢ : ٣٥٤)

واشتهر فيهِ ايضاً الاطباء الموصليون وهم جابر بن منصور السكري في اواسط القرن الرابع الهجري . وابو عبدالله محمد بن ثواب المعروف بابن الثلاج وكان جرّاحاً ماهراً في النصف الاول من القرن الرابع الهجري . وابن قوسين وكان يهودياً ثم اسلم وصنف كتاباً سمّاه « مقالة الرد على اليهود »

الاضياف النوابغ

ابن حوقل — (اواسط القرن الرابع الهجري) وهو ابو القاسم محمد جاء عنهُ في قاموس الاعلام(ش : سامي)انهُ كان موصلياً واجمع المؤرخون انهُ كان بغدادياً . والغريب ان القدماء لم يوردوا الّا شيئاً نزرا عن منشأ هذا الرحّالة الشهير والجغرافي الكبير وعن حياتهِ ومماته . فقد ذكر هو عن نفسه انه بارح بغداد في رمضان سنة ٣٣١= ايار ٩٤٣ اذ كان في عزمه ان يدرس احوال البلاد ويزاول التجارة لكسب معيشته . فساح العالم الاسلامي شرقاً وغرباً ودامت سياحته نحو ثماني وعشرين سنة واكبّ اخيراً على درس كتب الجغرافيين اسلافه كابن خرداذبه وقدامة

ذكر العلامة دوزي في كتابهِ تاريخ اسلام اسبانية ان ابن حوقل كان يتعاطى التجسس لمصلحة الفاطميين واوجدته الصدفة في اثناء رحلاتهِ مع الاصطخري ولا بدَّ ان يكون ذلك في سنة ٣٤٠ واطلع على بعض آثاره فكشف لهُ عن مواطن الضعف فيها . وساح الاندلس في سنة ٣٥٠=٩٦١ ثم صنَّف كتابه «المسالك والممالك» ولا اظن عهد تصنيفه يتجاوز عقد الستين بعد الثلاثمائة . وتُرجم هذا الاثر النفيس الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ ثم ترجم منهُ القسم المختص بافريقية وطبع بباريس ١٨٤٢ والقسم المختص ببالرم طبع ايضاً في باريس ١٨٤٥ ثمَّ طُبع كاملاً في ليدن

ابن ابي الاشعث (٣٦٠=٩٧٠) وهو ابو جعفر احمد الفارسي الاصل وكان طبيباً حاذقاً ذا يد طولى في الفقه وسائر الدروس الدينيّة. استوطن الموصل وادناه منهُ ناصر الدولة الحمداني خاصة بعد ما شفى احد اولاده من مرض عضال فنال بذلك اسماً وشهرة واحسن اليهِ الامير الحمداني واغدق عليهِ العطايا والمنح. واشتغل ابن ابي الاشعث بتدريس الطب وبالتأليف فصنف كتباً عديدة وهي هذه كما وردت في وفيات الاعيان:

كتاب الادوية المفردة. كتاب الحيوان . كتاب في العلم الالهي . كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء . كتاب في السرسام والبرسام ومداواتها . كتاب في القولنج واصنافه ومداواته والادوية النافعة منه . كتاب في البرص والبهق ومداواتها. كتاب في الصرع. كتاب في الاستسقاء . كتاب في ظهور الدم. كتاب الماليخوليا . كتاب في تركيب الادوية . مقالة في النوم واليقظة. كتاب الغاذي والمغتذي. كتاب امراض المعدة ومداواتها . شرح كتاب الحميّات لجالينوس

النقاش الموصلي (٢٦٦=٨٧٩-٣٥١=٩٦٢) وهو ابو بكر محمد بن الحسن المقري. لم يكن موصلياً مولدًا ولا منشأً بل نسب اليها لان اصله منها ولانه قضى فيها شطرًا من حياته

كان عالمًا في التفسير وصنَّف فيهِ كتاباً سماه «شفاء الصدور» ومنهُ قطعة في المكتبة الخديوية ولهُ تصانيف اخرى عديدة ذكرها ابن خلكان (١ : ٤٨٩) لكننا لم نقف لها على اثر وهي هذهِ : الاشارة في غريب القرآن في مدرسة الملا زكريا في الموصل كتاب بهذا الاسم لم يذكر اسم مؤلفه (مخطوطات الموصل) الموضح في القرآن ومعانيه. ضد العقل. المناسك. فهم المناسك. اخبار القصاص. ذم الحسد. دلائل النبوة. الابواب في القرآن. ارم ذات العماد. المعجم الكبير في اسماء القراء وقرآتهم . المعجم الاوسط. المعجم الاصغر. كتاب السبعة الاصغر

ابو الحسن محمد بن عبدالله السلامي (٣٩٣=١٠٠٢) وابو الفرج الببغاء (٣٩٨=١٠٠٧) وهما من مشاهير الادباء الذين استوطنوا الموصل في هذا العصر. وكان السلامي حين دخل اليها صبيا ينظم الشعر فلاقى بها جماعة من مشايخ الشعر منهم ابو عثمان الخالدي المار ذكرهُ وابو الفرج الببغاء وابو الحسن التلعفري . فلمَّا رأوه عجبوا بهِ

لبراعته مع حداثة سنه فاتهموه بسرقة الشعر فقال الخالدي انا اكفيكم امره واتخذ دعوةً جمع فيها الشعراء واحضر السلامي وفي ذلك الحين جاء مطر وبرَد ستر وجه الارض فالقى الخالدي تاريخاً كان بين يديه على البرد وقال: هل لكم ان تصفوا هذا فانشد السلامي على الفور :

لله در الخالديّ الاوحدالندب الخطيرْ
اهدى لماء المزن عند جموده نار السعيرْ

فاعترفوا له بالاجادة والحذق ووصفوه بالفضل الّا التلعفري فانه اقام على قوله الاول فهجاه السلامي بقوله :

سما التَّلعَفَريّ الى وصالي ونفس الكلب تكبرعن وصالهْ
ينافي خلقَه خلقي فتأبى فعالي ولا تضاف الى فعالهْ

يتيمة الدهر ١ :١٧٣و٢ :١٥٨ وابن خلكان ١ :٢٩٨و٥٢٤

علماء الارامية الموصليون

عمانوئيل برشهاري (٩٨٠ ميلادية) كان من اشهر اساتذة دير مار جبرائيل بظاهر الموصل المعروف بالدير الاعلى . وكان شاعرًا مجيدًا جمع بين حسن السبك وبلاغة المعنى ومما يدلنا على قوته الشاعرية وعلى غزارة علمه ديوانه الشهير في اللغة الارامية المسمى «الاكساميرون» اي الايام الستة وهو ديوان ضخم في ثماني عشرة قصيدة ضافية منها ذات سبعة مقاطع ومنها ذات اثني عشر مقطعاً . ومنهُ نسخ في الواتيكان ولندن وبرلين حسب قائمة ساخو ٢١١و٢١٧ وفي بعض مكاتب الشرق كمكتبة دار البطركية الكلدانية ومكتبة دير السيدة بقرب القوش. ونشر القرداحي مختارات منه في كتابه الكنز الثمين :رومية (١٨٧٥ : ٦٨ــ٧١) ونُشر منه ايضاً في بعض كتب المنتخبات والملح

اخوه عبديشوع برشهاري (٩٧١ ميلادية) وكان هذا معلماً في مدرسة دير مار ميخائيل بجانب الموصل وكان ايضاً شاعرًا بليغاً ولكنه لم يبلغ شأو اخيه في الشعر والعلوم. ولهُ في الارامية شعر رقيق نشر القرداحي نتفاً منه

يوحنا برخلدون (اواسط القرن العاشر الميلادي) ترهب في دير بيت صيّاري من نواحي العمارية وقرأ على الامام موسى الصياري وتفقه في العلوم والاداب الارامية فكان مصنفاً بارعاً وشاعرًا بليغاً. وخلف من الآثار النفيسة كتاب حسن المحاسن وكتاب التجارة الرهبانية ولهُ ايضاً ديوان شعر يحتوي على حكم ثمينة اثبت نتفاً منه القرداحي في الكنز الثمين. وله ايضاً كتاب نفيس في حياة يوسف بوسنايا احد رهبان دير ربان هرمزد المتوفى ٩٧٩ ميلادية وفيه ايضاً تراجم نوابغ هذا الدير. وينتهي هذا الكتاب الجليل ببحث مستفاض عن الحياة النسكية. وقد نشر شابو ترجمة هذا الكتاب

اما بقية تصانيفه فلم نقف على اثرها وذكر الاب شمونيل جميل في كتابه «جامع المؤلفين» الذين وردت اسماؤهم في قائمة الصوباوي قال: ان المطران اللاتيني في مجمع ديامبر المنعقد في غوروا سنة ١٥٩٩ امر بان تحرق جميع مصنفات يوحنا برخلدون نثرية كانت ام شعرية زاعماً انهُ بذلك يمنع انتشار البدعة النسطورية فساء ظنّـهُ وسلمت الكتب

عصر امارة بني عقيل والامارة السلجوقية

وهو العصر الذي يبدأ بسنة (٣٨١=٩٩١) وينتهي بسنة ٥٢١=١١٢٧)

ان التحسن الذي أُدخل على الشعر في هذا العصر يكاد ان يكون جزئياً بالنسبة الى ما سبق فان اشتغال العرب في العلوم والفنون المختلفة التي نفقت سوقها عندهم بعد استخراج نفائس الكتب عن اشهر الامم مدنيّةً فتحت لقرائحهم مجالًا آخر اشغلهم عن الشعر. وتلك العلوم انضجت لهم معجماً حديثاً من الالفاظ الفنّية والاصطلاحات العلمية التي استقاها العرب من تلك العلوم كالطب والفلسفة والتاريخ

العمومي والطبيعيات والفلك الخ فادخلوها على الشعر كما تراه في قول ابي بكر الخالدي يمدح رهبان الدير الاعلى :

وشّحوا غُرَر الآداب فلسفةً وحكمة بعلومٍ ذات ايضاحِ
في طب بقراط لحن الموصلي وفي نحو المبرّد اشعار الطرمّاحِ

ويصف في الابيات البليغة التي اوردناه له في ترجمتهِ السماء الصافية والمشتري الكوكب السيار يختال في وسطها كانهُ الزئبق المترجرج ثم يصف الجوزاء تتايل . . .
وافرغ ابو العلاء المعرّي (٤٤٩=١٠٥٧) الشعر بقالب فلسفي محكم السبك ومزج فيهِ الدينيات والاخلاقيات . واخذ ايضاً الشعراء ينظمون القصائد الطويلة اقتفاء بالالياذة والاوذيسّة . وجرى على ذلك بنوع ما الواساني وابن عبد ربه الشاعر القصصي بارجوزتهِ الشعرية في تاريخ معاصره عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس . وبرع شعراء هذا العصر في الوصف فاحسنوا واجادوا في وصف القصور والابنية الخ

ثم استبدلوا القصائد التي تلتزم قافية واحدة بشكل احدث ينقسم الى ادوار اسهل للغناء الفنّي . وبدا بهذا الفرع الشعري ابن معافر الاندلسي في اواخر القرن الثالث الهجري . ثم حسّن شكله عبادة بن ماء السماء (٤٢٢=١٠٣١) شاعر بلاط المرية من والنسية فاعطى للموشح او الشعر الدوري قالباً فنيًا ونقله من اللغة العامة الى الكتابية اذ لم يكن يومئذٍ جارياً الّا عند العامة فقط فجعله ادوارًا اي اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً تلتزم فيهِ قوافي تلك الاغصان وهكذا تدرّج الموشح من العامي الى الكتابي ومن الغزلي القديم الى بقية المواضيع الاخلاقية والعقلية والوصفية

وانتشر بين ادباء هذا العصر نقد الشعر نقدًا فنيًا وجروا في ذلك على مثال قُدامة ابن جعفر في كتابه نقد الشعر وابن بشر الامدي في كتاب الموازنة واشهر الناقدين ثمة الجرجاني (٣٩٢=١٠٠١) في كتاب الوساطة والثعالبيّ في يتيمة الدهر وابو العلاء المعرّي في رسالة الغفران حيث قابل بين الشعراء مقابلةً خيالية وانتقدهم انتقادًا صحيحاً وابن رشيق القيرواني (٤٥٦=١٠٦٣) في العمدة وقراضة الذهب في نقد اشعار العرب .

امّا الانشاء فقد تحسّن بدخول السجع عليه حتى اصبح التسجيع شرطاً من

شروط الترسل وزيادة في التأنق اكثر واحسن استعمال الجناس مع سائر اشكال البديع اللفظي والمعنوي وزينوا المعاني بالخيال الشعري وضمنوه الملح والنكت والامثال فتولدت في الانشاء مصطلحات خاصة باساليبه واشكاله

ونبغ في الانشاء الانيق المسجع بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨=١٠٠٧) معاصر ابي بكر الخوارزمي الشهير بالترسل فاستحدث الهمذاني للانشاء اوضاعاً جديدة بمقاماته وهو اول من جرى في هذا الميدان وتأثره فيه عدد لا يستهان بهم من الكتبة فان اختلاف الطبقات الاجتماعية في العراق وخاصة في بغداد احدث كما احدث في رومية القيصرية طائفة من المتسولين كان شأنهم التطفل في البلاط الملوكي وفي قصور الاغنياء ومن وسط هذه الطائفة نشأت فئة رغبت في الادب ونبهت فيه بفضل المنابع اللغوية الموروثة من كبار اللغويين . وقد حسّن الانشاء تحسيناً نهائياً ابو محمد الحريري (٥١٦=١١٢٢) فاصبح انشاؤه المسجع انموذجاً لكتبة عصره . وكثرت الاسجاع حتى عاناها المؤرخون في تدوين الحوادث التاريخية الهامة كيتيمة الدهر واليميني في حياة السلطان محمود الغزنوي للعتبي لكن استعماله لم يدم طويلاً عند المؤرخين لانصرافهم عن التزويق في الانشاء الى ايراد الحقائق التاريخية ببساطة وسلاسة

وقد تقدمنا في القسم السابق بتوسع التاريخ والجغرافيا ونوّهنا بذكر مشاهير المؤلفين ولم يطرأ تغيير على هذا العلم فظل اخلافهم يسيرون على اساليبهم في تدوين التواريخ العامة والمحلية وتراجم الرجال وامتاز فيهم المرعشي(٤٢١=١٠٣٠)بتدوين تاريخ عام للفرس واليهود والانبياء والشام والعراق والروم وظهور الاسلام الى تفرع الدولة العباسية وظهور الدويلات كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية . واشتهر ايضاً معاصره مسكويه بكتاب تجارب الامم ويبدأ بالخليقة وينتهي بسنة ٣٦٩ وقد نشر منه هـ. ف. آمدروز جزئين مع الذيل للوزير ابي شجاع بعنوان The eclipse of the Abbasid Caliphate ووضع له العلامة الاستاذ مرجليوث مقدمة وفهرساً في كتاب خاص وهو كتاب نفيس يشتمل على فوائد تاريخية ثمينة لا يستغنى عنها

واشتهر عدد غير يسير في تدوين التواريخ المحلية كعزّ الدين المسبحي (٤٢٠=

١٠٢٩) بتاريخ مصر وابي بكر البغدادي (٤٦٣=١٠٧٠) بتاريخ بغداد. اما التواريخ الخاصة وهي تراجم الرجال فقد اجاد بها ابو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر فذكر فيها اخبار شعراء المئة الرابعة للهجرة وافرد باباً خاصاً لشعراء الموصل وآخر لشعراء الشام وآخر لشعراء البصرة الخ فاثنى عليهم دون الافادة عن تاريخهم

وذكرنا ايضاً ما كان من اشتغال اهل العصور العباسية في الفقه وعلوم الدين والتوسّع فيها وضبط قواعدها على اسس متينة وبراهين علمية استمدُّوها من انصبابهم على درس الفلسفة التي نفقت بضاعتها في هذا العصر بما كتبه الشيخ بن سينا(٤٢٨= ١٠٣٦) الـذي نال عند سادات الفرس نفوذاً عظيماً خاصّة بقانونهِ الطبي وبكتابه في الشفاء في الفلسفة وكتبهِ في علم النفس وفي المنطق وامتد نفوذه مع انه نُسب الى المروق عن الدين . ولهذا كانت اكثر ابواب الفقه وفروعه من ثمار عقول العرب واجتهادهم لا دخل فيهِ لامةٍ اخرى . وللمستعربين منهم لاسيما الفُرْس المجلدات الضخمة والكتب التي لا يحصى لها عدد واشتهر في هذا العصر ابو الحسن الماوردي الشافعي (٤٥٠=١٠٥٨) والظاهري بن حزم الاندلسي (٤٥٦=١٠٦٣) وخدم القشري (٤٣٧= ١٠٤٥) الفقه على مذهب الصوفية برسالته الشهيرة ثم الغزالي (٥٠٥=١١١١) في كتابهِ احياء علوم الدين وهو عبارة عن خلاصة كيمياء السعادة . وقد اهتمَّ مؤلفه في بسط الفكرة الصوفية وواجباتها ومفروضاتها العملية الى غير ذلك . وسعى ايضاً الى نشر مبادي الصوفية عبد القادر الجيلاني والسهروردي وابن العربي الاندلسي

الامارة العُقَيْلية

كان بنو عُقَيل رعايا لبني حمدان وعليهم اميرهم ابو الـذوّاد محمد بن المسيّب وقد اتينا على ذكر نسبه في الجزء الاول واسهبنا في تاريخ هذه الامارة . ولما تقوضت اركان الامارة الحمدانية مدّ ابو الذوّاد يده على ابي طاهر آخر الامراء الحمدانيين فاسره ثمَّ قتله مع ذويهِ واقبل الى الموصل (٣٨١=٩٩١) في ايام سلطنة بهاء الدولة البويهي وعلى هذا انتشبت الحرب بين بني عقيل وبين الجنود البويهية . فظفر البويهيون وخذل ابو ذواد ولم ينل منهم مطمعاً . وبعد مماتهِ خلفه في امارة القبيلة اخوه المقلّد وتمكّن هذا باصالة رايه ان يتقرب الى السلاطين البويهيين الذين كان

بيدهم يومئذٍ العقد والحلّ فضمن منهم الموصل بنحو مليونين من الدراهم . وولي ايضاً حماية غربي الفرات ولُقِّب بحسام الدولة وأُقطع ايضاً الكوفة وقصر شيرين على نهر حلوان والجامعَين (اسم الحلة قديماً)

ان العلوم ازهرت في الدولة العباسية بما بذله خلفاؤها وامراؤها واشرافها لحماية العلم في اقطارهم المترامية الاطراف اذ كانوا يشجعون رجاله بالالقاب والجوائز شأن الشعوب الراقية في عصرنا فان العلم لا يعيش الّا بجماةٍ من علية القوم يغارون عليهِ ويرغبون في نشرهِ . امّا رجال الامارة العقيلية فلم يسيروا على هذه الوتيرة اذ لم تسمح لهم الفتن والقلاقل بذلك بينما كان الخلفاء العباسيون وهم حينئذٍ حماة العلوم وانصارها قد تقلّص ظلّ نفوذهم بتفرّع الدولة وظهور امراء الاتراك والديلم وابتلاعهم اموال الامة وبذلها في غير وجوه الخير . فان من يتتبع احوال بلاد الموصل في عهد هذه الامارة التي دامت نحو مئة وثماني سنوات وبعدها في عهد الامراء السلاجقة الذين دام تسيطُرها عليها نحو اثنتين وثلاثين سنة لا يجد في كتب المؤرخين شيئاً كبيراً ام صغيراً عن الحياة العلمية بل كلما هنالك حروب وفتن نشأت مع نشوء هذه الامارة . فقد انتشبت الحرب بين المقلّد حسام الدولة وبين اخيهِ الحسن فكتب المقلد الى زوجته وهي في الحلة يشير اليها بان تهرب بولديه قرواش وبدران الى تكريت لئلا يصيبها ضرر من اخيهِ . وبعد هذه ثارت حروب شعواء بين المقلد وبين الديلم دامت تقريباً الى عهد وفاته (٣٩١=١٠٠٠) وكان المقلد حازماً شجاعاً وكان لهُ الظفر في اكثر الوقائع فقصده الكتّاب والمتصوّفون والاماثل وخدموه وعظم قدره واستفحل امره (ذيل تجارب الامم ٣: ٣٩٣) هذا كل ما قيل فيهِ

ثم خلفه ابنه قرواش وهو المعروف بمعتمد الدولة ولم تبطل الحروب في ايامه فقد حاربه الاتراك والديلم وخفاجة (قبيلة من عُقَيل) وجرت بينهُ وبين قبائل اسد حروب لدواعٍ سياسية . ثم نازعه على الامارة اخوه بدران وحاربهُ بجند من عقيل حتى استقرّ له الصلح على ان تعطى نصيبين لبدران

وكانت حملات الغزّ اشد وطأةً على العمران فقد اقبل الغزّ الى الموصل وعددهم نيفاً وثلاثون الفاً فاستولوا عليها في حوالي سنة ٤٣٣=١٠٤١ ونهبوها مراراً وعمل فيها كوكتاش احد امرائهم مذبحة عظيمة امتدت شظاياها الى الاطراف ودامت نحو

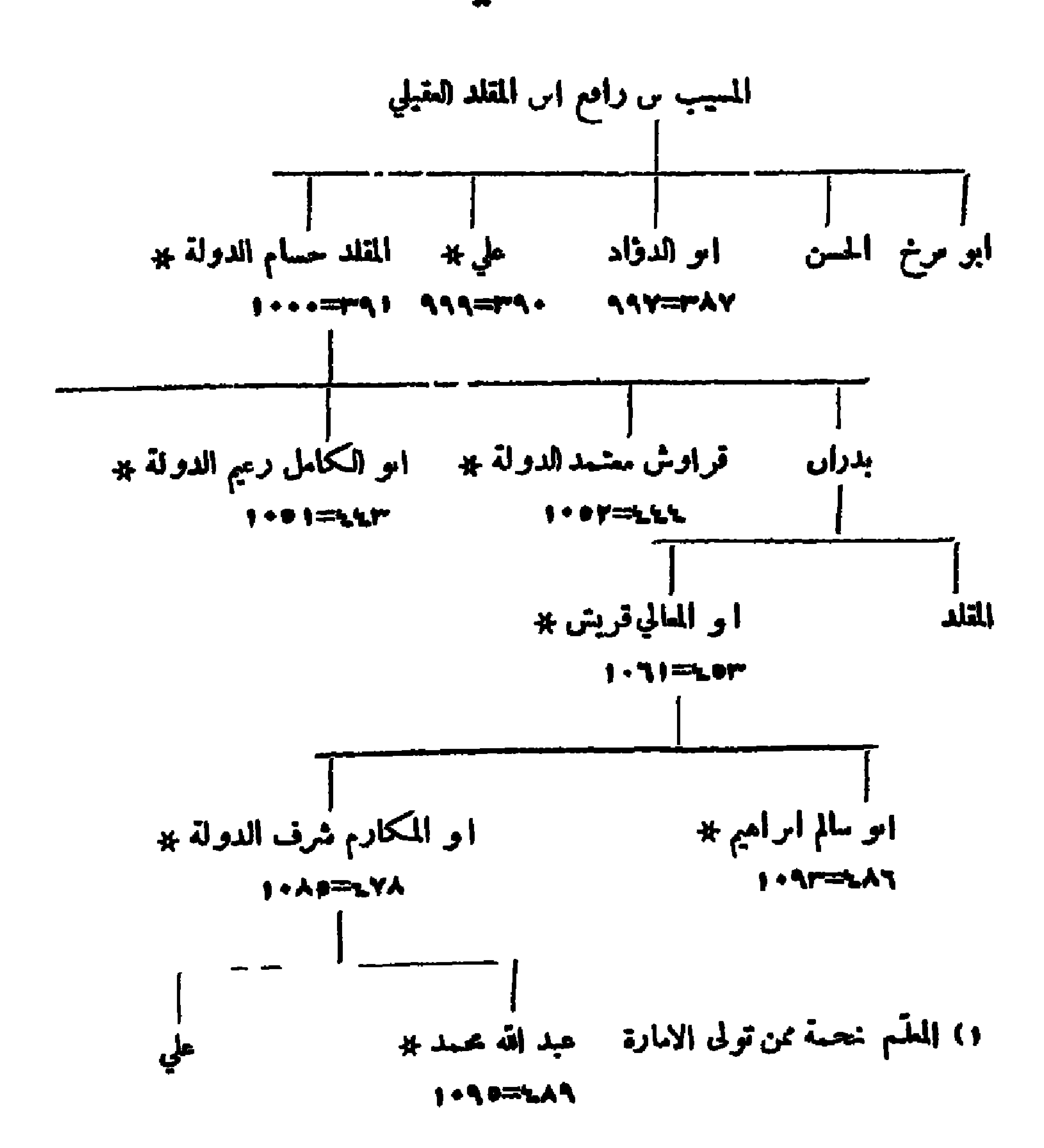
اثني عشر يوماً . ثم كانت بعد ذلك الفتن الكردية من القبـائل الحميدية والقبائل الهذبانية . وزادت الحالة سوءا فيا جرى من النزاع بين افراد البيت العقيلي على الامارة وقد ادى بهم النزاع الى حروب استغرقت تقريباً كل سني هذه الامارة

ولما دخل السلجوقيون بغداد وقضوا على سلطنة بني بويه في عهد الملك الرحيم آخر سلاطينهم (٤٥٠=١٠٥٨) استلم ازمة الامور طغرلبك اول الامراء السلجوقية . وجرى بعد ذلك ظهور ابي الحارث البساسيري فاستولى على الموصل وخطب فيها لخليفة مصر فانتقض الامن وعمّت الفوضى ولم يستقر الحال حتى تولى الامارة شرف الدولة العقيلي فـاحسن اليه الب ارسلان خليفة طغرلبك وزاد في اقطـاعه الانبار وهيت والبوازيج وحربي والسن . فكانت بلادهم من السندية الى منبج وفيها ديار ربيعـة وديار مضر . وملك شرف الدولة حلب واخذ الاتاوة من الروم وقصد دمشق وافتتحها وافتتح ايضاً حرّان

وهو وحدهُ من اهل هذا البيت شجع الشعراء بالعطايا والهدايا . فان الشاعر ابن حيوس الغَنَوي مات عنده وخلف اكثر من عشرة آلاف دينار . فحُمل ذلك الى خزانة شرف الدولة فردّه وقال: «لا يتحدث عني احد انني اعطيت شاعرًا مالًا ثم شرهتُ فيه فاخذتُه» . قال ابن خلكان : وكان شرف الدولة يصرف الجزية في جميع بلاده الى الطالبين لا يأخذ منها شيئاً (٢ : ١١٧) . وبعد وفاة شرف الدولة ضعف بنو عقيـل امام السلاجقة الطامعين في بلادهم فانفذوا الامير كربوغا فقبض على محمد بن شرف الدولة وقتله وافتتح الموصل سنة (٤٨٩=١٠٩٥) وملكها وخلفه فيها ستة امراء سلجوقيين كان آخرهم ابن البرسقي الصغير عماد الدين ومنهُ استلم الامارة على الموصل عماد الدين الاتابكي (٥٢١=١١٢٧) . ولم يُعرف عن احد امراء الموصل السلجوقيين انه ادنى عالماً او اهدى شاعرًا الّا السلطان مسعود بن محمد السلجوقي فـانه استوزر الكياوي مؤيد الدين الطغرائي (٥١٣=١١١٩) صاحب لامية العجم وصاحب الديوان الشهير ولقبه بالاستاذ

هذا وصف حالة الموصل في عهد هاتين الامارتين العربية والسلجوقية على تصحيح القول ان هذه الحالة كانت عامة لانتقاض امر الجند الاتراك والديلم وضعف الخلافة عن سدّ هذا الخرق

الجدول النسبي لبني عقيل (١



١) العلم نجمة لمن تولى الامارة

ادباء الموصل في هذا العصر

ان المشتهرين بعلم ام ادب في هـذا العصر قليلون وفيهم من بيت الامـارة ولكن لم يرد من شعرهم الا ابيات قليلة في حادثة اوردها ابن خلكان نقلا عن ابن شاهين وكان هذا يلازم قرواش ابن المقلد في اسفاره فنزلا في قصر مهجور بين سنجار

ونصيبين فكان على احد جدران القصر ابيات لسيف الدولة الحمداني وفي المعنى عينه ابيات لعدة الدولة بن ناصر الدولة الحمداني وتحتها مكتوب :

يا قصرُ ما فعل الأُلى ضُربت قبابهُمُ بقعرِكْ

وهي من نظم المقلد ابن المسيب فارتجل قرواش الابيات التالية وكتبها تحتها :

يا قصر ما صنع الكرا مُ الساكنون قديم عصرِكْ
عاصرتَهم فبددتَهم ساورتهم طرًّا بصبرِكْ
ولقد اثار تفجُّعي يا ابن المسيّب رقمُ سطرِكْ
وعلمت اني لاحقٌ بك دائب في قفْوِ اثرِكْ

وكان قرواش اديباً شاعرًا ظريفاً وله اشعار سائرة منها :

لله درّ النائبات فانها صدأ اللئام وصيقلُ الاحرار
ما كنتُ الّا زُبرةَ فطبعتَني سيفاً وأطلقَ صرفُهنّ غراري

ابن خلكان ٢ : ١١٤ فوات الوفيات ٢ : ١٣١

عمار بن علي (مبادئ القرن الخامس الهجري) من مشاهير الاخصائيين بامراض العيون قضى شطرًا من حياته في مصر على عهد الحاكم بامر الله الفاطمي . وله كتاب في امراض العين ومداواتها سماه « المنتخب »

بنو موصلايا (نسبة ارامية ومعناها الموصلي) لان اصلهم من الموصل اما منشأهم فكان في بغداد واشتهر من رجالهم :

١ً امين الدولة ابو سعد العلاء ابن الحسن بن وهب ابن الموصلايا (٤٩٧= ٣ ١١) كذا ورد نسبهم في خريدة القصر (Ms. de Paris 3326) وقال ابن خلكان : يكنى ابا سعيد العلاء ابن الحسين . ولد امين الدولة في بغداد سنة ٤١٢ وكان نصرانيًّا وتخرج بالاداب على اهل نحلته . ثم دخل في ديوان الانشاء في خدمة الخلفاء منذ ايام القائم بامر الله وناب في الوزارة وكانت خدمته خمساً وستين سنة .

وبقي نصرانياً في خدمته الخلفاء الى سنة ٤٨٤ ثم اسلم واضرَّ في آخر عمره فكان ابن اخته هبة الله يكتب الانشآات عنه ومدحها الاصفهاني حتى قال عنها «هما عينا الدولة واميناها لا يُبْرَم دونها امر. وكان (امين الدولة) كثير الصدقة والصلة ذكر عنه انه: «فرق في يوم من ايام الغلاء ثلاثين الف رطل خبزاً» ووصف ايضاً الاصفهاني كتابته واطرى حسن انشائه فقال: «كان امين الدولة بليغ الانشاء سديد الاراء . . . وكان نثره احسن من نظمه . . . على ان له مقاطعات مستعذبة اراها احلى من الاري وازين من الحلي وهي في اسلوب شعر الكتاب بعيدة عن التكلف في الصنعة ارق معنى من الدمعة واعذب لفظاً لمتكلم مستبشر الطلعة » فمن شعره في وصف المدامة (من الطويل) :

وكأس كساها الحسن ثوب ملاحةٍ   فحازت ضياءً مشرقاً يشبه الشمسا
اضاءت على كفّ المدير وما درى   وقد دجتِ الظلماء اصبح ام امسى

وله ابيات كثيرة وردت في كتاب خريدة القصر ونكت العميان للصفدي (طبعته الجديدة) وتاريخ ابن تغري بردي (يغلب ان يكون هذا الاسم تركياً واصله « تاكرى وبردى» ومعناه اعطى الله وهذا اسم كثر استعماله عند الاراميين «يابالاها»

امّا ترسّله فقد ورد منه مثال في تاريخ المجدل لابن ماري (ص١٣٣=١٣٥) وهو نسخة من كتاب كتبه باسم الخليفة القائم بامر الله الى البطريرك عبديشوع نذكر شيئاً منه « لعبد يشوع البطريرك . اما بعد فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ القديم لا عن وجود زمان . . . ولما أُنهي الى حضرة امير المؤمنين تميزك عن نظرائك وتحلّيك من السداد بما يستوجب معه من امثالك البالغة في وصفك واطرائك وتخصُّصك بالانحاء التي فتّ فيها شأو اقرانك وأفدتَ بها ما قصر معه مساجلك من ابناء جنسك ان يعدلك في ميزانك. وما عليه نحلتك من حاجتهم الى جاثاليق كافل بامورهم كافٍ في سياسة جمهورهم . . . فلم يصادفوا من هو بالرئاسة عليهم احقُّ واحرى . . . فاصاروك لهم راعياً ولتشييد نظامهم ملاحظاً واعياً وسألوا امضاء تنصيبك عليهم . . . فرأى امير المؤمنين الاجابة الى ما وجهته اليه فيه الرعية . . . مقتدياً فيما اسداه اليك واسناه من انعامه لديك بافعال الائمة الماضين والخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين مع

امثالك من الجثالقة الذين سبقوا وفي مقامك اتسقوا وأوعز ترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى في مدينة السلام والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طرًّا ولكل من تحويه ديار الاسلام من هاتين الطائفتين... وان يُمضَى تثقيفك لهم وامرك فيهم اسوةً بما جرى الامر عليهِ من كان قبلك بينهم... فقابل نعمة امير المؤمنين عندك بما يستوجب من شكر يبلغ فيهِ المدى الاقصى... عُرض هذا المنشور بحضرة سيدنا ومولانا الامام القائم بامر الله امير المؤمنين اعز الله انصاره وضاعف اقتداره وانفذه وامضاه وشرفه بالعلامة الطاهرة على اعلاه فليُعتمَد وليُعمَل بحسبه ومقتضاه ان شاء الله..»

وخلّف ابن موصلايا كتاباً في الترسل ذكره القلقشندي في صبح الاعشى(١٣: ٢٧٢)

٢ً ابو نصر تاج الرؤساء هبة الله بن حسن بن علي بن اخت امين الدولة السابق الذكر المعروف ايضاً بابن موصلايا (٤٩٨=١١٠٤) كانت ولادته سنة ٤٢٨ واسلم مع خاله ثم خلفه في ديوان الانشاء. قال الاصبهاني عنه: كتب بين يدي خاله في ديوان الانشاء في الايام القائمية والمقتدية والمستظهرية واسلم مع خاله على يد الإمام المقتدي وكان لما اضرّ خاله يكتب عنهُ. فلما توفي خاله رُدّ اليهِ ديوان الانشاء في الايام المستظهرية... وكان لا يقاربه احد في الانشاء والعبارة وذكر عنهُ ابن الاثير انهُ لُقب نظام الحضرتين. ووصفه ابن خلكان قال: «وكان فاضلًا لهُ معرفة بالادب والبلاغة والخط الحسن وكان ذا رسائل جيدة وهي مدوَّنة ايضاً ومشهورة» ومن شعرهِ الذي رواه لهُ عماد الدولة الاصبهاني نسخة ليدن (٨٨١: ٤٥-٤٦) في دالية الماء اي الناعورة (من السريع):

ومَيْتةٍ فيها حراكٌ اذا	قامت على منبرها خاطِبَهْ
ساعيةٍ في غير منفوعها	فهي اذًا عاملة ناصبهْ
ان وُطئت تحمل من وقتها	حين تُرى مجذوبةَ جاذبهْ
تمدّ غرثاها بريٍ اذا	اضحت بروقٌ للحيا كاذبهْ

وما عدا الاثنين اللذين ذكرناهما. قد ورد ذكر كاتب آخر بهذا الاسم وهو ابو

علي ابن الموصلايا جاء ذكره في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة قال عنهُ انهُ كان كاتباً للوزير ابي قاسم توفي في اواسط القرن الخامس الهجري وكان من متقدمي علوم الادب والكتابة . وفي المشرق (عدد ١٢ : ١٩٢٥) بحث في شعراء النصرانية بعد الاسلام للاب لويس شيخو اليسوعي ذُكرت فيهِ تراجم بني موصلايا جمعها المؤلف من شتات ما قاله المؤرخون عنهم

ابو الحسن علي بن حسن الخلعي او القرافي الموصلي(٤٩٢=١٠٩٨)نشأ في مصر واشتهر بالحديث والفقه على مذهب الشافعية وولي القضاء في ناحية من نواحي مصر ثم استقال وانزوى في القرّافة الصغرى بظاهر القاهرة ولهذا سمي بالقرافي ايضاً . قال ابن خلكان(١ : ٣٣٨) وقد أخرج لهُ ابو نصر احمد الشيرازي اجزاء من مسموعاته

ابو العلاء صاعد ابن الحسن بن عيسى الربعي (٤١٧=١٠٢٦) كان من ادباء الموصل الشهيرين ومن كبار اللغويين ودخل بغداد ثم رحل الى الاندلس في زمن هشام ابن الحكَم والتحق بخدمة منصور بن ابي عامر احد الولاة وقدم لهُ كتابه «الفصوص» الذي نحى فيه منحى القالي في اماليه . ثم ظهر للمنصور كذبُهُ في التنقُّل وعدم صدق مخبره فرمى بالكتاب في النهر لانه قيل لا صحة لما جاء فيه فقال بعض الشعراء :

قدغاص في البحر كتابُ الفُصوص وهكذا كل ثقيل يغوصْ

فاجابه صاعد :

عاد الى عنصره انما يخرج من قعر البحور الفصوصْ

الظافر بن جابر السكري (اواخر القرن الخامس الهجري) اقام مدةً في بغداد ثم سافر الى حلب حيث قضى بقية عمره وكان طبيباً شهيراً ولهُ اليد الطولى في العلوم الحكمية وفي النظم . ذُكر لهُ كتاب في الحيوان والغذاء ولهُ ايضاً شعر رائق

مشاهير الاطراف

البيت الشهرزوري ـــ سمي بالشهرزوري نسبةً الى شهر زور (بلـدة كبيرة معدودة من اعمال اربيل بناها زور بن الضحّاك وهي لفظة اعجمية معناها بلد زور . كذا ورد عنهـا في ابن خلكان ١ : ٤٢٢ س ١٤) وقد اقبل جدّ هـذا البيت الى الموصل وتوطنها واشتهر هو واولاده بالفضل والعلم وجالوا في ميادين السياسة فاحرزوا المناصب الرفيعة وتولّوا القضاء في الشام وحلب والموصل وتوصل بعضهم الى منصب الوزارة . فكان منهم في عصر بني عقيل ومنهم في العصر الاتابكي وسيرد ذكر كل منهم في محله

١ً ابو احمد القاسم الشهرزوري (٤٨٩=١٠٩٥) وهو جد البيت الشهرزوري وكان حاكماً في اربيل ثم في سنجار . قال ابن خلكان وذكره الكثيرون في تواريخهم منهم ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربيل وذكره الحافظ ابو سعد السمعاني في كتاب الذيل ثم ذكره في كتاب الانساب في نسبة الاربلي . ولم نجد لهُ اثراً سوى بيتين من الشعر وهما :

همّتي دونها السُّهى والزُّبانا قد علَتْ جهدَها فما تتدانى

فانا متعب مُعنًّى الى ان تتفانى الايام او نتفـانى

وكانت وفاته في الموصل

٢ً ابو محمّد عبـدالله ابن القاسم الشهرزوري الملقب بالمرتضى (٥١١=١١١٧) كانت ولادته في الموصل سنة (٤٦٥) وهو من اشهر رجـال البيت الشهرزوري في هذا العصر . اقام مدة في بغداد يشتغل بالحديث والفقه ثم رجع الى الموصل وتولى فيها القضاء ولهُ شعر رائق ومنهُ قصيدته البديعة على الطريقة الصوفية وتسمى بالموصلية وهي طويلة نذكر منها (من الرمل) :

لمعت نارُهم وقد عَسْعس الليـلُ وملّ الحادي وحار الدليلُ

فتأملتُها وفكري من البيــن عليلٌ ولحظُ عيني كليلُ

ومنها :

ثم مالوا الى السلام وقالوا ... خُلَّبٌ ما رأيت ام تخييلُ
فتجنّبتهم وملتُ اليها ... والهوى مركبي وشوقي الزميلُ
ومعي صاحب أتى يقتفي الآ ... ثار والحبُّ شرطةُ التطفيلُ
قلتُ من بالديار قالوا جريح ... واسيرٌ مكبَّلٌ وقتيلُ
ما الذي جئت تبتغي قلت ضيفٌ ... جاء يبغي القرى فاين النزولُ

ومنها :

فتعالت عن المنال وعزّت ... عن دنوٍ اليهِ وهو رسولُ
فوقفتُ كما عهدت حيارى ... كلُّ عزم من دونها مخذولُ
ندفع الوقت بالرجا وناهيــك بقلب غذاؤه التعليلُ
فاذا سوّلت ليَ النفسُ امرًا ... حيد عنهُ وقيل صبرٌ جميلُ
هذه حالنا وما وصل العلــمُ اليهِ وكلٌّ حالٍ تحولُ

توفي في الموصل ودفن في تربتهم

علماء الارامية

١ القس سبريشوع بن بولس الموصلي(١٠٠٢) كان من فحول الشعراء الاراميين الممتازين بعذوبة الالفاظ وجودة المعاني وكانت لهُ اليد الطولى في العلوم الدينية وفي

المذاهب الجدلية وذكره عمرُ الطيرهاني في كتاب المجدل. ومن شعره قصيدة ضافية الابيات نشرت في الكنز الثمين وقد ضمنها الشاعر ابتهالاً وتضرعاً خشوعياً الى العزة الالهية . وذكر له الاب لويس شيخو اليسوعي في كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية كتاباً يحتوي على جدالٍ جرى له مع علماء اليهود في امر السيد المسيح. وكتاباً في تأييد البدعة النسطورية ولكل منها نسخة في المكتبة الفاتيكانية (Vatic. 110)

٢ً ابو سعيد عبد يشوع بن بهريز (النصف الاول من القرن ال ١١ الميلادي) كان احد رهبان دير مار ايليا وصار مطراناً على الموصل وألّف كتاباً نفيساً في الشرائع والاحكام القضائية ثم صنف شرحاً في الخدم الكنسية

العصر الاتابكي

يبدأ هذا العصر بتولية عماد الدين زنكي على الموصل سنة (٥٢١=١١٢٧) وينتهي بهرب ولدي السلطان لؤلؤ بعد موته الى مصر سنة (٦٥٩=١٢٦٠)

لم يحدث تقدُّم خطير في صناعة الشعر في خلال القرون السبعة الاخيرة سوى ما اشتهر من الشعر التصوُّفي. وكان ابو حفص عمر ابن الفارض (٦٣٢=١٢٣٤) اول من نهج هذا النهج فاصبح الشعر التصوفي منذ عهده فرعاً من الفروع الشعرية المرعيَّة الجانب. اماَّ ما سبقه في الموضوع عينه فلم يكن يعدُّ حينئذٍ من الفنون الشعرية . واشتهرت ايضاً البديعيات في المدائح النبوية على مثال « بانت سعاد » لابن زهير وقد أفرغت قرائح الشعراء تلك المعاني في اجمل قوالب البلاغة والبيان. وانتقل في هذا العصر التوشيح وهو الفرع الاندلسي من الغرب الى الشرق وكان اوّل من اشتغل بهِ ابن سناء الملك معاصر صلاح الدين الايوبي

وما عدا ذلك كانت العامَّة لا تزال جاريةً على العادة في الانشاد والقصّ غير ان المتضلعين من اللغة لم يكترثوا لها لجريانها على السنة العامة ولهذا لم يذكر ابن الاثير في المثل السائر (بولاق ١٢٨٢) شيئاً من تلك الاغاني والاناشيد البغدادية التي كانت

تجري على السنة العامة خاصة في ليالي رمضان. ومن جملة تلك الفروع هي « المواليا » وقد احدثها الواسطيون فنظموا فيها الغزل والقريض وتناولها العبيد والغلمان لسهولتها فصاروا يتغنون بها في بساتين النخل وسقي الاراضي وكانوا يقولون في آخر كل صوت «يا مواليا» اشارة الى اسيادهم. ثم اخذها عنهم البغداديون وادخلوا عليها بعض الاصلاح حتى عُرفت بهم دون مخترعيها

وبعد هذا انتشر «الكان وكان» واحدثه البغداديون وسمي بهذا الاسم لانهم كانوا ينظمون به الحكايات والخرافات حتى ظهر ابن الجوزي (٥٩٧=١٢٠٠) وشمس الدين الكوفي فنظما فيها المواعظ والحكم ايضاً

ثم « القوما » واحسنه ما كان من اربعة اقفال ثلاثة متساوية في الوزن والقافية والرابع اطول منها وزناً وهو مهمل بغير قافية اخترعه البغداديون في الدولة العباسية برسم السحور في شهر رمضان. وسمي بهذا الاسم من قولهم «قوما للسَّحر قوما » ونظموا فيه الزهري والخمري والعقاب الخ. وكان اول من اخترعه ابو نقطة للخليفة الناصر وكان يعجبهُ ويطرب لهُ حتى جعل لابي نقطة وظيفةً عليهِ في كل سنة(خلاصة الاثر ١ : ١٠٩). وحاول ابن قزمان (٥٥٥=١١٦٠) مواطن عبادة بن ماء السماء ان يستحدث الزجل في اللغة العامية وهو الشكل السوقيّ المبتذل. الّا ان هذا الاسلوب لم يرُق لاهل العصر فلم يتأثرهُ الّا القليلون ومن اشهرهم فيهِ وفي الدوبيت والمواليا الحاجري الاربلي وسترد ترجمته

ولكن بعد مضي نحو خمسمائة سنة (١٠٩٨=١٦٨٧) استعمل يوسف الشربيني المصري اللغة العامة في كتابه « هزّ القحوف »وانتقد فيهِ عادات مواطنيهِ. وجرى اخيرًا استعمال اللغة العامية في الابحاث الادبية خاصة في القرن التاسع عشر وهي طريقة مستهجنة واكثر من استعمالها محمد بن عثمان جلال فكتب مواضيع مختلفة نبذها الجمهور لانها كانت عامية ولم تكن وطنية بل كانت مختارات مترجمة من روايات موليير الشاعر الفرنسي

واشتغلت المخيلة العربية في عدة روايات استفادت مبدأها من خياليات الشعوب البدوية وهي تماثل روايات الفروسية ومن هذا النمط هي السيرة العنترية وقد كملت

بشكلها الحاضر في عهد الوقائع الصليبيّة ثم سيرة ذي الهم وسيرة ابي زيد وبني هلال وسيف ذو اليزن والتاريخ الرواني في السلطان ظاهر بيبرس . وانتشر في مصر في عهد المماليك آخذًا من الشرق الاقصى نوعٌ آخر من الملاهي احرز رواجاً عند العامة في البلاد الاسلامية وهي مراسح الافياء (Shadow-play) غير ان ادباء ذاك العصر لم يعيروها اهتماماً حريًا بالذكر حتى ان المساعي التي بذلها الطبيب ابن دانيال الموصلي في لعب الافياء في اللغة والتمثيل لم تفلح . فأهمل هذا الفن حتى احياه ثانية السياح الاوربيون في القرن التاسع عشر

اما المعاجم التاريخية التي تبحث في الفنون الخاصة فليس لنا ما نذكره سوى تواريخ النحويين واللغويين واقدمها على ما نعرفه هو نزهة الالباء لكمال الدين الانباري (٥٧٧=١١٨١) وتواريخ الاطباء والطبيعيين والفلاسفة كمعجم ابن ابي اصيبعة (٦٦٨=١٢٦٩) ومعجم تلميذه ابن القف ومنها المعاجم الخاصة بتواريخ الاولياء والصالحين والمتصوفين كمعجم ابي نعيم او الشاعراني والروايات فيها تتشابه . ومنها ايضاً المعاجم التاريخية الواسعة في التراجم والسير العمومية وبدأ بها ياقوت الحموي الرومي (٦٢٦=١٢٢٨) في معجمه المسمى معجم الادباء او طبقات الادباء او ارشاد الالباء (١ ومنها ايضاً التواريخ الخاصة بالبلاد والمدن ووصفها كتاريخ الشام لابن عساكر (٥٧١=١١٧٥) وكتاب ابن بسام الشنتمري (٥٤٢=١١٤٧) وابن الخطيب لسان الدين وقد وصف هولاء المؤلفون حالات المدن والمجتمع الاسلامي وصفاً وافياً . ونشط بعض اهل هذا العصر الى تدوين اعمال الفاتحين والغزاة في كتب خاصة ولا تخلو كتبهم من الاغراق في المديح وتنميق الانشاء المسجّع كما فعل عماد الدين الاصبهاني (٥٩٧=١٢٠٠) في كتاب الفتح القدسي وقد دوّن فيه اعمال صلاح الدين الايوبي . ووجد له التاريخ متسعاً بالرَحلات الهامة التي قامت بها طائفة من السياح

(١) طبع هذا الكتاب الاستاذ مرحليوث المستشرق الانكليزي وتوقف عن طبع الجزء الاخير لنقص العبادلة اي المسمَّين بعبدالله وقد بلغ الاستاذ ان في الموصل منهُ نسخة كاملة فكتب يسأل عن ذلك . وبعد البحث والتنقيب عن هذه النسخة الموصلية لم اعثر على شيء منها . ولاهمية هذا الكتاب النفيس في الادب العربي ارجو اخواني الموصليين ان من وقف منهم على هذه النسخة ان يخبر بها الاستاذ خدمة لابناء العرب لان هذا المعجم نفيس لا يستغني عنهُ كتبة هذا العصر

العرب سواء كانت بقصد التجارة ام بقصد الابحاث العلمية واشهرهم في ذلك ابن جبير السائح الاندلسي (اواخر القرن السادس الهجري)

ولم يكن باقل من ذلك اشتغال اهل هذا العصر بالتآليف الدينية ومن اشهرهم فيها الزمخشري الفارسي (٥٣٨=١١٤٣) فانـهُ جمع في كتابـه الكشاف الشروح اللغوية الفلسفية والفقهية على اسلوب انتقادي ونسج على هذا المنوال فخرالدين الرازي (٦٠٦=١٢٠٩) فعارض بتأليفـهِ شرح الطبري الّا ان العامة انحـازت عنها جميعاً واعتمدوا في الغالب على البيضاوي (٦٨٥=١٢٨٦)

فتلك الابحاث الدينية المستغرقة العويصة زادت رغبتهم في طلب الفلسفـة التي كانت يومئذٍ قد انتشرت في المغرب الاسلامي كانتشارهـا في المشرق الاسلامي . فصار الاقبال عليها عظيماً وبالاخص لمّا نشطها كبار الامراء وقرّبوا اليهم الفـلاسفة مثل علي المرابطي وابن باجة تلميذ الفـارابي (٥٣٣=١١٣٨) فـامتاز الفلاسفة الاندلسيون بمعرفة العلوم العبرانية والمسيحية ونبغ فيهم ابن الطفيل (٥٨١=١١٨٥) واكتسب شهرة عظيمة بالروايات الفلسفيـة مضيفاً بذلك باباً جديـداً الى الاداب العربية . فان ابن سيناء مثّل ارتقاء العقل البشري الى الله بالاشياء المادية متخذاً شخصاً وهميًّا(حي بن يقظان) معتزلاً الهيئة البشرية ومتروياً في جزيرة قفراء حيث اخذ يرتقي من المخلوقات الى الخالق بطريقة الاستدلال والاستقراء . وشاعت في عصر القرامطة تعاليم الاشعري والغزّالي التي كانت الى حينذاك منبوذة لانها نزلت عند القوم منزلـة الكفر والمروق عن الدين . واشتهر ايضاً بالفلسفة ابن رشد (٥٩٥=١١٩٨) لـكنهُ لم يخلص من انتقاد الجمهور ومن غضب ولاة الامور فسيق الى النفي في ايامه الاخيرة لقوله بازلية العالم المادي

وفي هذه الآونة انتشرت في الاندلس المبادئ الصوفية على اثر الاسئـلة التي القاها فردريك الثاني على العلماء فيما يتعلق بالمذهب الصوفي فأوعز عبد الواحد الى ابن سبعين بالجواب . فاجاب عليها جواباً شافياً ودقق اراء الفلاسفة القـدماء والاحداث وكشف في ابحاثه عن حقيقة المذهب الصوفي

وبعد هذا العصر صُدمت المدنية العربية الاسلامية صدمة قوية في المشرق بالمغول وفي المغرب بالبربر واثرت تلك الصدمات تأثيراً عظيماً على العلم والادب . مع ذلك

فقد ثابر العرب على الاشتغال بالعلم وبالادب حتى ما بعد القرن السابع الهجري (القرن الـ١٣) وبرز فيهم قومٌ كالسيوطي والمرتضى والزبيدي وعبد القادر البغدادي وغيرهم من المؤلفين لكنهم لم يستحدثوا شيئاً جديداً لا في العلوم ولا في الادب

الملوك الاتابكيون ووزراؤهم

يرجع نسب الاتابكيين الى اصل سلجوقي اذ كان جدُّهم آقسنقر مملوكاً سلجوقياً للسلطان ملكشاه بن ارسلان السلجوقي. وقد ذكرنا في الجزء الاول كيفية استيلائهم على الموصل وتفاصيل حكمهم فيها ونوهنا بذكر اعمالهم وفتوحاتهم. ومما يجدر بنا ذكره ان هذه الشعوب الغريبة كالديلم والغز ومنهم السلاجقة افتتحوا بلاد العراق العربية وحكموا فيها زمناً ليس بيسير ولم يتوصلوا الى التأثير عليها كما اثر اليونان على شعوب ما بين النهرين بادابهم ولغتهم وكما اثر العرب على الامم القبطية والارامية باخلاقهم ولغتهم وادابهم. فالدولة الاتابكية التي دامت في الموصل نحو قرنٍ ونصف قرنٍ لم تُدخل شيئاً على اداب القوم وعلى لغتهم واخلاقهم بل هم انفسهم اضطروا الى ان يستعربوا فاصبحوا عرباً بلغتهم وعوائدهم وادابهم

انقسمت الدولة الاتابكية بعد موت عماد الدين الاول الى قسمين في الموصل وفي الشام فاصبحت حدودها تمتدُّ من تكريت الى لبنان ومن الموصل واربيل الى حدود اذربيجان. فقاد الاتابكة الجنود المنظمة واشتركوا بالحروب الصليبيّة وابلوا فيها بلاء حسناً واشتهر منهم في الحروب والفتوح عماد الدين الاول وابنه نور الدين صاحب حلب واطرى المؤرخون وقائعهم مع الاروام والباطنية ولهم ايضاً مع السلاطين السلجوقيين مواقف شهيرة حازوا الظفر في اكثرها

فلم تكن الموصل في عهدهم من حيث حالتها الادارية كما كانت في عهد بني حمدان وبني عُقيل بل كانت مستقلة من السلاجقة تشملها حسن الادارة وقد تعددت فيها معاهد العلم والمدارس ومشاريع الخير حتى اصبحت تُعدّ من العواصم الاسلامية الكبيرة فزارها الكبراء والعلماء والشعراء

فكان اول ما يفعله الاتابكي ان يؤسس باسمه مدرسة ويجهزها بالجرايات والاوقاف تخليداً لاعمالها. وتجد في وفيات الاعيان ادلة كثيرة في ذكر تلك المدارس كالمدرسة العتيقة التي اقامها سيف الدين غازي الاول ثم مدرسة عز الدين الاول وكانت مدرسة كبيرة اوقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية قال ابن خلكان: رأيت هذه المدرسة وهي من احسن المدارس وقبالتها مدرسة قل نظيرها شادها ارسلانشاه الاول للشافعية وكان قد انتقل الى مذهب الشافعي ولم يكن في بيته شافعي سواه. ثم مدرسة الملك القاهر وكانت مدرسة فخيمة وكانت تعرف بالمدرسة القاهرية. وما عدا ذلك وصف ابن جبير مدارس الموصل ومعاهدها العلمية والربط والجوامع التي شادها الاتابكية في الموصل واربل والشام ويدلنا على اهتمامهم بالمدارس اهتمامهم الخاص برجال العلم والادب واحسانهم اليهم حتى انهم كانوا يجيزون الشاعر على ابيات من الشعر كما اجاز سيف الدولة الاول حيص بيص الف دينار (المقدسي ١ :٦٥)

واوسع الاتابكة المجال لوزرائهم ليقتفوا باثارهم ومن اشهر هؤلاء الوزراء ضياء الدين ابن الكفرتوثي وابو الرضى بن صدقة وزين الدين كوكبوري وابنه مظفر الدين وقد غالى المؤرخون في وصف محامده وذكر مآثره. فانه بنى المدارس في اربل وفي الموصل وصرف عنايته الى اقامة المشاريع الخيرية وبنى اربع دور للزمنى والعميان ودارا للارامل واخرى للايتام واخرى للملاقيط واخرى لمضيف الغرباء ودارين للصوفية وكان هو نفسه يتفقد هذه الاعمال وشؤون النازلين فيها (ابن خلكان ٢ :٤٣٩)

ثم ابو منصور قايماز الملقب بمجاهد الدين الخادم وهذا ايضاً سعى بابتناء المدارس والمياتم ودور العجزة وكان مجد الدين ابو السعادات ابن الاثير صاحب جامع الاصول كاتباً بين يديه ومنشئاً عنه الى الملوك (ابن خلكان ١ :٤٢٦) ومن وزرائهم ايضاً جمال الدين بن علي الاصفهاني استوزره سيف الدين غازي الاول واخوه قطب الدين جاء في كتاب الروضتين: وعادت به الموصل قبلة الاقبال وكعبة الامال فانارت مطالع سعوده وسارت في الآفاق صنائع جوده وعمّر الحرمين الشريفين وزخرف الكعبة بالذهب وبنى مسجداً على جبل عرفات واجرى اليه الماء من نعمان بطريق من تحت الجبل وعمل درجاً يصعد بها الى الجبل وكان يتصدق كل يوم بمئة دينار

اميرية وبنى الربط للصوفية والمدارس في الموصل وسنجار ونصيبين فقصده العظماء والعلماء والصدور مثل صدر الدين الجحندي رئيس اصحاب الشافعي وابن الكافي قاضي قضاة همدان

ووقفت على بابه الشعراء وامتدحوه كالعماد الكاتب الاصبهاني والعرقلة واحمد ابن منير وابو المجد قسيم الحموي وحيص بيص . ثم تغير عليه قطب الدين بعمل الوشاة فزجّه في السجن وتوفي فيه فقال الحسن بن سعيد الشاتاني قصيدة منها :

سعوا بقصدك سرًّا فاستبتّ لهم ولو سعوا نحوه جهرًا لَما قدروا

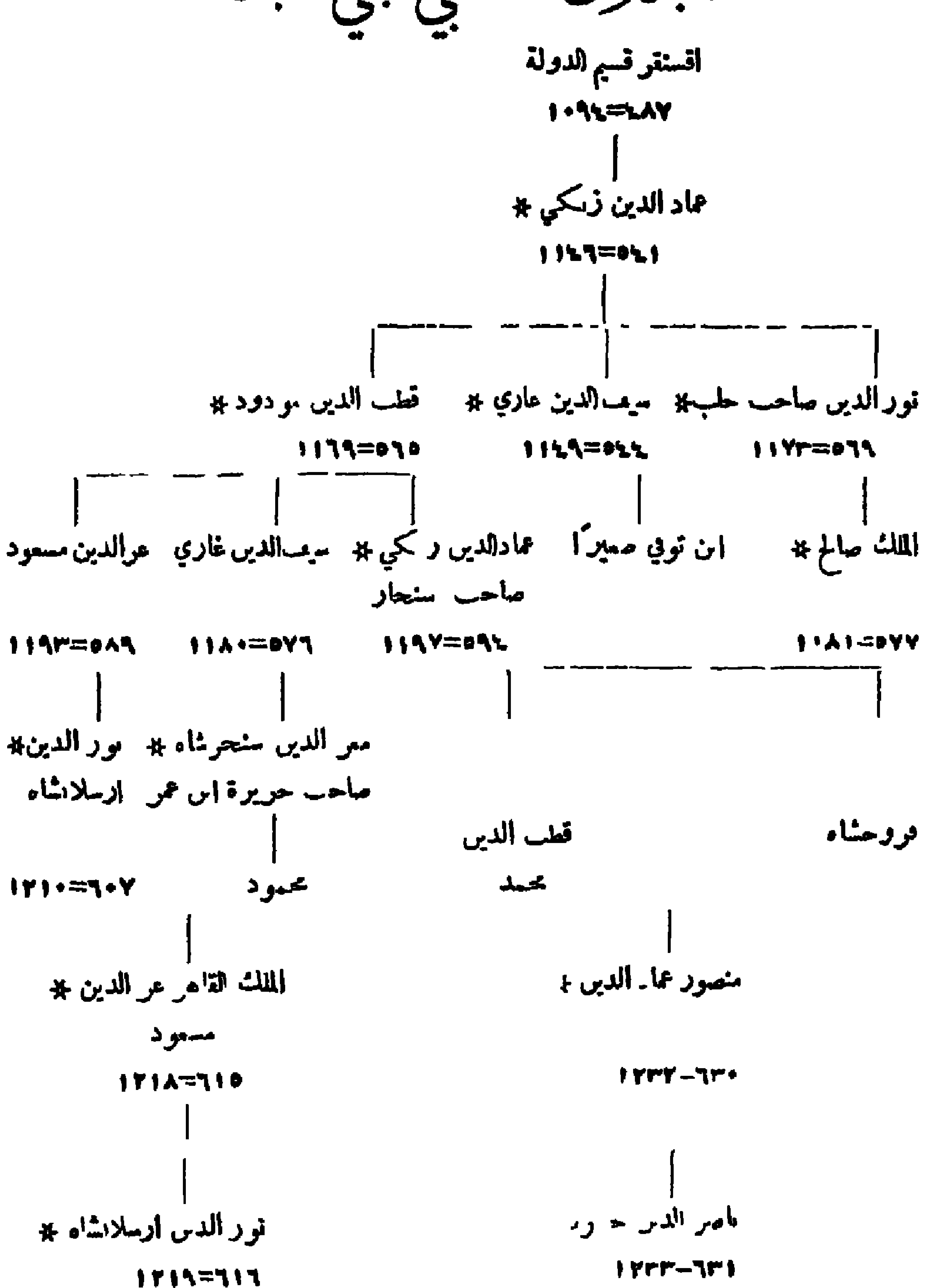
وورد ذكر ابنه ابي الحسن جلال الدين وفي وفيات الاعيان انه كان من الادباء الفضلاء البلغاء وله ديوان رسائل اجاد فيه جمعه له مجد الدين ابن الاثير وسماه كتاب الجواهر واللآلئ من المولوي الوزير الجلالي (٢ : ٧٣)

وكان بدر الدين لؤلؤ الذي خلف ناصر الدين محمود على سرير السلطنة يتأثر محامد البيت الاتابكي ويسير على خطواتهم في تعزيز مباني العلم وباسمه سميت المدرسة البدرية الشهيرة التي كان يلقي دروسه فيها كمال الدين بن منعة وكان مغرماً باهل العلم وكان لكثرة مجالسته لهم وخوضه في الاشعار والحكايات معهم يستنبط المعاني الحسنة ويحلّ الالغاز المشكلة مع انهُ كان امياً لا يقرأ ولا يكتب (الفخري ١٢) وكان يقضي معظم اوقات الراحة في سماع الشعراء والادباء . فاذا دخل شهر رمضان أحضرت له كتب التواريخ والسير وجلس الزين الكاتب وعز الدين المحدث يقرأان عليه احوال العالم (الفخري ٥)

وغريب ان يكون بدر الدين أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهو السلطان النافذ الكلمة المترعرع في قصور بني اتابك وهي يومئذٍ بؤرة الاداب . وقد وصفنا رغبة هولاء الملوك في العلم وشغفهم بالادب وهو نفسهُ كان شغوفاً بهِ ميالًا الى اهلهِ ورجالهِ كثير العطاء للمجيدين منهم فما هي منزلة قول معاصره ابن الطقطقى من الصدق في جهل هذا السلطان القراءة والكتابة مع استلامهِ مصاعب الوزارة وتدبير الشؤون واشتهاره بحسن الادارة والقيام باعمال الملك قبل جلوسه على العرش الاتابكي وبعده الّا ان يكون في قوله غلو في التعبير عن عدم تبريزه في الاداب والعلوم

ومن يدقق النظر في انتظام الحياة الفردية عند هولاء الملوك يلاحظ انهم كانوا قد سوّدوا الانتظام على سائر اعمالهم ومشاريعهم وكانوا قد عمموا قراءة الكتب الادبية والقاءها على مسامع الخواص والعوام في المنتديات والمجتمعات العمومية وهذا من اصدق الاساليب العصرية المتخذة في تعميم التهذيب والتعليم

الجدول النسبي لبني اتابك



عوامل النهضة في العصر الاتابكي

بذل الاتابكة مساعيهم في نشر العلم واقاموا المدارس في الموصل وفي مجاوراتها من البلاد الداخلة في حكمهم وسنورد اسماء بعض هذه المدارس وان كنا لا نستطيع تعيين مواقعها وانفقوا في سبيل انشائها المبالغ الطائلة. فرفعوا قدر المنتسبين الى العلم من نوابغ الشعر وغيرهم. فقد اورد لهم المؤرخون اعمالاً بهذا الصدد تدل على مزيد شغفهم واهتمامهم بالعلم واربابهِ فكانوا هم ورجال دولتهم يقرّبون اليهم العالم والشاعر ويعظمون منزلته وربما اقطعوه اقطاعاً هاماً اذا كان خبيراً بشؤون الادارة كما فعل بدر الدين لؤلؤ مع الحلاوي الشاعر وكان فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شروى نقير فرفع منزلتهُ واتخذه نديماً لهُ ثم اقطعهُ اقطاعاً وذلك لبيتين من الشعر ارتجلهما بحضوره. وكان هذا التقدير والاهتمام من اكبر عوامل التنشيط. ولهذا اصبح طالب العلم لا يكتفي بما يتلقاه من الدروس في مدرسة واحدة ام مدينة واحدة او على مدرّس واحد بل كان يتنقل من مدرسة الى اخرى ويتحمّل مشاقّ السفر الى حيث يؤمل ان يجد مدرسة ارقى او مدرّساً اوسع علماً واعظم شهرةً وربما كان يأخذ عن عدة مدرسين كل واحد منهم يختص بفن او يشتهر بعلم. من ذلك ان عز الدين ابن الاثير المؤرخ سمع في الموصل من ابي الفضل بن احمد الطوسي ومن امثالهِ ثم رحل الى بغداد مراراً وكانت المدرسة النظامية قد اشتهرت فيها يومئذ فاخذ عن شيوخها ثم سار الى الشام فالقدس ودرس على جماعة من العلماء وبعد هذا عاد الى الموصل وانقطع للتدريس والتصنيف

ولما كان التلميذ يأخذ نصيباً وافراً من علم او فنّ كان المدرّس يجهزه حينئذٍ بالشهادات المحتوية على التفاصيل الضرورية للدلالة على درجة الخرّيج ومقدرتهِ فيما اكتسبه منه. ولتلك الشهادات يومئذٍ تأثير عظيم على المجتمع ليس باقل من تأثيرها اليوم. فترى في حياة ابي المحاسن بن شدّاد اهمية تلك الشهادات العلمية فيما ذكره هو نفسه باعجاب واطناب عن الشهادات التي نالها من المدرسين العديدين الذين تخرج

عليهم (ابن خلكان ٢ : ٣٥٤) ولهذا كان في الموصل الاقبال عظيماً على اقتناء الكتب العلمية فقد جاء عن ابي الدرّ الياقوت الموصلي انهُ كان ينسخ الصحاح للجوهري ويبيع النسخة منهُ بمئة دينار

ومن يطالع الكامل والوفيات والروضتين يرى درجة اهتمام هذه الدولة بالمدارس وبالحركة الفكرية المنتشرة في بلادهم وهذه حالة لم تشاهدها الموصل في الزمان السابق . واشهر تلك المدارس على ما ذكرها ابن خلكان هي المدرسة السيفية لسيف الدين غازي والمدرسة العزّية لعزّ الدين والمدرسة النورية لنور الدين ارسلانشاه والمدرسة النفيسية والعلائية والقاهرية للملك القاهر والنظامية وهي غير المدرسة النظامية البغدادية ودرّس فيها غالباً رجال البيت الشهرزوري وخاصة منهم محيي الدين (ابن خلكان ١ : ٤٧٣) ثم المدرسة البدرية وكان فيها من المدرسين كمال الدين الشهرزوري والشيخ اثير الدين الابهري . ثم المدرسة الكمالية باسم المدرس فيها كمال الدين المذكور وسميت ايضاً الزينية باسم زين الدين كوكبوري

اما الدروس في هذه المدارس فكان اهمها الحديث والفقه والعلوم اللغوية من صرف ونحو وبيان وعروض الخ وكانوا يصرفون وقتاً جزيلاً في حفظ اشعار القدماء وهو الاسلوب السقيم الذي كان فيهِ ضياع الاوقات واستمرّ معمولاً بهِ حتى الازمنة المتأخرة . قال ضياء الدين ابن الاثير : كنت حفظت من الاشعار القديمة والحديثة ما لا احصيه كثرةً ثم اقتصرتُ بعد ذلك على شعر المتنبي وشعر الطائيَّين ابي تمام والبحتري فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت اكرر عليها الدرس مدة السنين حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار لي الادمان خلقاً وطبعاً

وكان يدرس فيها ما عدا علوم اللغة الحكمة والمنطق الطبيعي والالهي والطب والرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وانواع الحساب والجبر والمقابلة والموسيقي والمساحة والتاريخ واخبار العرب . فان كمال الدين بن منعة الاربلي كان يحسن هذه العلوم وكان يلقيها على الطلبة الموصليين في اشهر المدارس وكان يسمعه عدا التلامذة جماعة من المدرّسين ارباب الطيالس بل كان يقصده العلماء من الامصار ليأخذوا عنه مثل ثاذري الانطاكي من السريان المغاربة وكان عالماً شهيراً اقبل الى الموصل ودرس على كمال الدين ومن الذين درسوا عليهِ اثير الدين الابهري

وكان الناس يومئذٍ يشتغلون بتصانيفهِ ثم العماد ابو علي الصنهاجي المجاني وقد قال فيهِ:

كمالُ كمالُ الدين للعلم والعلى فهيهات ساعٍ في مساعيك يطمعُ

وفيهِ قال:

تجرُّ الموصل الاذيال فخراً على كل المنازل والرسومِ

(ابن العبري ٤٧٧ وابن خلكان ٢: ١٧٣)

وبذلك اكتسبت الموصل شهرة ذائعة فقصدها لا فقط الراغبون في العلم بل العلماء الاعلام ايضاً للاشتغال والتدريس كالشيخ ابي بكر بن سعدون القرطبي ودرَّس فيها نحو احدى عشرة سنة. وفي زمانهِ كان ابن الشيرجي يدرّس في الاتابكية القديمة وهي المدرسة السيفية وكان مشتهرًا بالحديث والفقه والاداب. ثم الشيخ ابو الفضل بن احمد الخطيب الطوسي المبرز في معرفة التاريخ والرواية حتى كان يُقصَد لها من الآفاق. ثم الحافظ سراج الدين الجياني المشتهر بمعرفة التاريخ وكان كل واحد منهم يدرس ما كان متخصصاً بهِ (ابن خلكان ٢: ٣٥٤) وبين هولاء المدرسين طائفة اشتهرت بالتصانيف التي اثنى عليها كتبة ذلك العصر كابن الدهان البغدادي الذي استوطن الموصل اخيراً وهو صاحب كتاب الفصول في القوافي وكأثير الدين الابهري صاحب التصانيف الشهيرة وابن هبل البغدادي وكان هذا طبيباً ماهرًا وشاعرًا بليغاً اتَّصل بخدمة السلطان لؤلؤ واقام يدرّس فيها حتى توفي (٦١٠=١٢١٣) ومن تآليفهِ كتاب المختار وكتاب الطب الجمالي. ثم شميم الحلي الشاعر البليغ وامثالهم الكثيرون من الذين ذكرهم ابن الاثير وابن خلكان وابن شاكر ونوهوا بذكر علومهم وادابهم وتصانيفهم. فاثرت تلك النهضة العلمية في العصر الاتابكي بزمن قصير بنبوغ عددٍ عديد من الشعراء والمصنفين كابي حفص عمر بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلي وهو غير ابن شحنة المؤرخ الحلبي وكان هذا من الشعراء البلغاء وامتدح صلاح الدين الايوبي بقصيدة شهيرة بلغت ابياتها مئة وثلاثة عشر بيتاً ذكر ابن خلكان شيئاً منها وهي (من الطويل):

سلام مشوق قد براه التشوق على جيرة الحيّ الذين تفرقوا
واني امرؤ أحببتكم لمكارم : سمعت بها والاذن كالعين تعشقُ
وقالت لي الآمال ان كنت لاحقاً بابناء ايّوب فانت الموفقُ

ومنهم ابو زكريا يحيى بن سعيد ومن شعره (من الوافر) :

وعهدي بالصبا زمناً وقدّي حكى الف ابن مقلة في الكتابِ
فصرت الآن منحنياً كاني افتش في التراب على شبابي

وابو المجد عماد الدين بن باطيش الموصلي ذكر له ابن خلكان «كتاب المغني على المهذب» ففسّر غريبه وتكلم على اسماء رجاله . ثم الكمال ابن الشعار معاصر ابن المستوفي الاربلي وذكر له كتاب عقود الجمان في التاريخ (ابن خلكان ٢ : ٣٥٧) وهو غير عقود الجمان لشمس الدين الشامي ثم الشيخ ابن الخباز المدرس في المدرسة السيفية (ابن خلكان ٢ : ٣٥٦) وابن ذهن الموصلي والشاعر ابن الاعرابي هولاء وغيرهم كثيرون سترد تراجم اشهرهم

وكانت هذه الحركة المباركة قد امتدت الى جميع البلاد التي كانت في حكم بني اتابك واهمها يومئذٍ اربل وسنجار وحلب . فكان في اربل من المدارس الشهيرة مدرسة القلعة التي اسسها الزيني نائب الموصل والمدرسة المظفرية باسم مظفر الدين كوكبوري ومدرسة الربض ودرس فيها الخضر الاربلي وابن اخيه عز الدين وسترد ترجمتها . اما في حلب فان نور الدين الاتابكي عمّر المدارس واشهرها المدرسة الرواحية واحسن الى العلماء والمدرسين كابي سعد شرف الدين الموصلي وموفق الدين ابن الصائغ الموصلي الاصل صاحب الشروح الكثيرة(٦٤٣=١٢٤٥) قال ابن خلكان (١ : ٢٢٥و٢ : ٣٤١) : وكانت حلب في ايامه مشحونة بالعلماء المشتغلين . واشتهر في سنجار يومئذٍ البهاء السنجاري وسترد ترجمته

علماء هذا العصر وادباؤهُ في الموصل

١ً ابو المحاسن بهاء الدين بن شداد(٦٣٢=١٢٣٤) كانت ولادته في الموصل سنة ٥٣٩ وبعد ما اخذ عن علمائها واشتغل بالتدريس في مدارسها سار الى بغداد وتفقه على اساتذتها وتعيّن معيدًا في المدرسة النظامية البغدادية ثم رجع الى وطنه الموصل سنة ٥٦٩=١١٧٣) ولبث يدرّس فيها حتى اعتزم على السياحة سنة ٥٨٣ وفي آخر سياحته دخل دمشق والتحق بخدمة صلاح الدين الايوبي . ولما توفي السلطان الايوبي سار الى حلب (٥٩١=١١٩٥) وولي القضاء فيها في عهد السلطانين الظاهر والعزيز فنال شهرة ذائعة وثروة طائلة واذ لم يكن لهُ وارث صرف ثروته على تأسيس المدارس في حلب لانها لم تكن قبل عهده قد تقدمت في العلم والاداب كتقدم اخواتها العواصم العربية وشهد بهذا ابن خلكان في ترجمته لهُ واسهب في ذكر محاسنهِ ومبراته . اما مؤلفاته فهي :

١ً تاريخ حلب منهُ نسخة خطية في بطرسبرج . ٢ً دلائل الاحكام في الفقه ومنهُ نسخة في باريس . ٣ً ملجأ الاحكام عند التباس الاحكام في المكتبة الخديوية ٤ً النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية وهي سيرة صلاح الدين الايوبي طبعت مرارًا منها طبعة A. Schultens في ليدن ١٧٥٥ ثم طبعة القاهرة ١٣١٧ ثمّ طبعة لندن مذيلة ١٨٩٧ ثم طبعة باريس ١٨٨٤ (ابن خلكان ٢ : ٣٥٤)

٢ً ابو الطيب احمد شرف الدين ابن الحلاوي(٦٥٦=١٢٥٨) كانت ولادتهُ في الموصل سنة ٦٠٣ ورغب في الادب منذ حداثتهُ فنبغ فيهِ وكان شعره رقيقاً مدح الخلفاء والملوك وكان اكثر شعره القريظي في مديح السلطان بدر الدين لؤلؤ فلم يكن ينادمه ولا يحضر مجلسهُ بل كان ينشده المدائح ايام المواسم والاعياد . ففي بعض الايام رآه السلطان في الصحراء في روضةٍ بعشبة وبين يديهِ برذون مريض يرعى فيها فجاء اليهِ ووقف عنده وسأله ان يقول شيئاً في برذونه فانشده على الفور (من المنسرح) :

أَصبح برذوني المرقّع يا للدّهر في حسرةٍ يكابدها
رأى حمير الشعير عابرةً عليهِ يوماً فظلّ ينشدها
قفا قليلًا بها عليّ فلا اقلّ من نظرةٍ أزوّدُها

فاعجبت السلطان بديهته وامر له بخمسين دينارًا وخمسين مكوكاً من الشعير وامره بملازمة مجلسه كسائر الندماء. واقطعه اقطاعاً وصار لا يصبر عنـهُ حتى انَّهُ استصحبه الى جبال همذان لما قصد الاجتماع بهولاكو وفي الطريق اصيب بمرض عضال فتوفي في سلماس. ولابن الحلاوي نظم رقيق ورد منه في فوات الوفيات (١ : ٦٩)

٣ً ابو الفرج عبدالله المعروف بابن الدهان (٥٨١=١١٨٥) نشأ في الموصل وتفقه في مدارسها وبرّز في العلوم الفقهية والنظم وغلب عليـهِ الشعر فـاشتهر بهِ فكان شاعرًا حسن السبك جميل المقصد ثم ضاقت به الحال في الموصل فقصـد الصالح بن رزيك الوزير المصري وامتدحه بقصيـدة بديعة ذكر منهـا ابن خلكان (١ : ٢٣٩ و ٢٥٧) وهاك شيء منها (من البسيط):

أما كفاك تلافي في تلافيكا ولست تنقم الّا فرطَ حبيكا
وفيم تغضب ان قال الوشاة سلا وأنت تعلم أَني لست اسلوكا
لا نلتُ وصلك ان كان الذي زعموا ولا شفى ظمإي جود ابن رزيكا

ثم عاد فدخل حمص وتولى التدريس فيها ولما قدمها صلاح الـدين الايوبي ونزل بظاهرها خرج اليهِ ابن الدهان وامتدحه بقصيدةٍ عينية (من الكامل):

قل للبخيلة بالسلام تورُّعاً كيف أُستبحتِ دمي ولم تتورعي

واقام في حمص حتى توفي. وذكرهُ عماد الدين في خريدة القصر واثنى عليهِ وقال فيه تتمة تشعر عن فصاحةٍ تامة وعقدة لسانه تبين عن فقه في القول:

وورد لهُ شعر رائق في وفيات الاعيان وذكر ان لهُ ديوان شعر صغيرًا ويغلب على الظن انهُ ضاع

٤ً ابو الحسن علي المعروف بالسائح الهروي(٦١١=١٢١٤)وسمي بالهروي نسبةً الى هراة احدى عواصم خراسان اذ كان اصلهُ منها . اما ولادته فكانت في الموصل ونشأ على حبّ الاسفار فطاف جميع البلاد التي امكنهُ الوصول اليها ولهذا اشتهر بالسائح ثم نزل حلب واقام فيها فتقدم عند الملك الظاهر الايوبي فبنى لهُ الظاهر مدرسة ولبث يدرّس فيها حتى توفي . و كان اديباً بليغاً ما مرّ بمكان في اسفاره الّا كتب على حائطهِ نظماً ام نثرًا بخط يده واشتهر بهذا حتى ضرب بهِ المثل فقال احدهم :

قد طبق الارض من سهلٍ ومن جبل كأنهُ خط ذاك السائح الهَروي

وكانت لهُ معرفة بعلم السيمياء ولهُ مصنفات اشهرها : ١ً الارشادات في بعض الزيارات منهُ نسخة خطية في خزانة الكتب الخديوية وتعرف برحلة ابي الحسن وفيها خاطرات رحلتهِ في الاقطار السورية والشامية والمصرية والعراقية والفارسية وفي كبريات مدن الجزيرة العربية . ٢ً كتاب الخطب الهروية في برلين . ٣ً التذكرة الهروية في الحيل الحربية وهو كتاب يشتمل على ذكر بعض فنون الحرب وضروب السياسة وواجبات رجال السيادة واولياء الامور منهُ نسخة في المكتبة الخديوية

البيت الشهرزوري

١ً ابو الفضل محمد كمال الدين ابن المرتضى (٥٧٢=١١٧٦) كانت ولادتهُ في الموصل سنة ٤٩٢ وقصد بغداد منذ حداثة سنه وتفقه على الميهني وعاد الى الموصل فسمع الحديث من ابن خميس الموصلي ثم تولى قضاء الموصل . وكان عماد الدين زنكي يركن اليهِ في الامور وينفذه في الشؤون الهامة الى بغداد ولما تولى سيف الدين غازي الاول ازداد بهِ ثقة ففوضه مع اخيهِ في امور الدولة كلها لكنه سرعان ما تغيّر عليهما

واستقدَم من الرحبة الشهرزوري ابن عم كمال الدين وولاه القضاء . ثم شفع فيهما الخليفة المقتفي فاطلق سبيلهما وبقيا مفسيين حتى تولى الاتابكي قطب الدين الاول فاحسن اليهما . وبعد هذا رحل كمال الدين الى الشام ودخل في خدمة نور الدين الاتابكي سنة ٥٥٠ وهناك ولي القضاء ثم الوزارة واقيم ابنهُ القاضي محيي الدين حاكمًا في حلب وصارت اليهِ امور الدولة في عهد نور الدين وصلاح الدين الايوبي

وكان كمال الدين خبيرًا بامور الادارة ومحسنًا اوقف اوقافًا كثيرة في الموصل ونصيبين والشام وكان ايضًا فقيهًا اديبًا شاعرًا لكننا لم نجد لـهُ تأليفًا ام اثرًا الَّا قليلًا من الشعر ومن نظمه قوله (من الكامل):

فلقد اتيتك والنجوم رواصدٌ والفجر وهمٌ في ضمير المشرقِ
وركبت في الاهوال كل عظيمةٍ شوقًا اليك لعلَّنا ان نلتقي

٢ً ابنه ابو حامد محيي الدين الشهرزوري (٥٨٦=١١٩٠) كانت ولادته في الموصل سنة ٥١٠ ولما شبّ سار الى بغداد فأخذ عن الشيخ ابن الرزاز واقام فيها حتى انهى دروسه . ثم قصد الشام وولي فيها القضاء نيابةً عن والده ثم عيّن حاكمًا في حلب وبعد وفاة ابيهِ تقدَّم عند الملك الصالح الاتابكي غاية التقدم ففوض اليهِ تدبير المملكة في حلب واستمرّ على ذلك حتى وشي به حسّاده الى الملك الصالح فاضطرّ الى ملازمة بيته ورأى اخيرًا من المصلحة ان يرجع الى وطنهِ فانتقل الى الموصل وتولى قضاءها ودرس في مدرسة والده وفي المدرسة النظامية . ووثق منه عز الدين مسعود الاول فسلمه مقاليد الامور

وكان محيي الدين كريمًا اثنى عليهِ ابن خلكان ونوه بذكر اعماله في الكرم والرحمة على الفقراء والرفق بالضعفاء واورد شيئًا من شعره ومنهُ هذان البيتان البليغان في وصف جرادة وهما (من الطويل):

لها فَخِذَا بكرٍ وساقا نعامةٍ وقادمتا نَسرٍ وجؤجؤُ ضيغمِ
حبتها افاعي الرمل بطنًا وانعمت عليها جيادُ الخيل بالرأس والفم

وتوفي في الموصل ودفن خارج باب الميدان قريباً من قضيب البان (ابن خلكان ١ : ٤٧٢و٤٧٣)

وما عدا المذكورين من البيت الشهرزوري كثيرون منهم اشتهروا بالقضاء والحكم وبالاداب والعلوم لم ترد تراجمهم تامة ولكن ذُكرت اسماؤهم استطرادًا كأبي احمد جلال الدين بن كمال الدين وابي طاهر تاج الدين اخي كمال الدين والشيخ ضياء الدين قاضي دمشق بن تاج الدين ثم بهاء الدين ابو الحسن عم كمال الدين وابنه نجم الدين ابو علي

بنو الاثير

كانوا من بيوتات الجزيرة العمرية وكان ابوهم عامل الاتابكيين فيها . ثم انتقل الى الموصل باولاده الثلاثة الذين نبغوا واشتهروا بالفقه والتاريخ والاداب والعلوم اللغوية فعُدّوا فيها من اشهر علماء العرب وادبائهم

١ً مجد الدين ابو السعادات المبارك(٦٠٦=١٢١٠) كان مولده في الجزيرة سنة ٥٤١ ثم اقبل به ابوه الى الموصل فعكف منذ نعومة اظفاره على العلوم ورحل الى بغداد فقرأ الفقه واخذ الحديث وعاد الى الموصل فاخذ اللغة وقواعدها عن ابن الدهان . ثم دخل في خدمة الامير مجاهد الدين قايماز نائب المملكة في عهد سيف الدولة غازي وخدم ايضاً في عهد خلفَيه مسعود بن مودود ونور الدين ارسلانشاه وتولى ديوان الرسائل وذكره اخوه في الكامل انهُ اخذ هذه الخدمة على عاتقه مرغماً في عهد نور الدين . ثمَّ عرض له مرض كفَّ يديهِ ورجليهِ عن العمل فتجنب الخدمة واقام في داره وانشأ رباطاً للصوفية في قرية من قرى الموصل تسمى « قصر حرب » واوقف عليهِ املاكه

قال ابن خلكان وتفرغ للتأليف مدة اعتزاله وكان عنده جماعة يعينونه وقد ذكر تصانيفه ياقوت : (ارشاد : طبعة الاستاذ مرجليوث) وبروكلمن في تاريخهِ ١ : ٣٥٧ وابن خلكان ١ : ٤٤١ وهي :

١ً جامع الاصول في حديث الرسول جمع فيهِ بين الصحاح الستة على وضع رزين الّا ان فيهِ زيادات كثيرة عليه وهو مرتب على الحروف الابجدية ومنهُ نسخة في المكتبة الخديوية . ٢ً كتاب النهاية في غريب الحديث طبع في طهران ١٢٦٩ وفي مصر ١٣١١ في اربع مجلدات . ٣ً كتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف . ٤ً في تفسير القرآن اخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري . ٥ً كتاب المصطفى والمختار في الادعية والاذكار . ٦ً كتاب البديع في شرح الفصول في النحو لابن دهان . ٧ً كتاب في صنعة الكتابة . ٨ً المرصع وفيهِ فوائد تاريخية ولغوية طبع في ويمار (١٨٩٦) . ٩ً ديوان الرسائل منهُ نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها من الخزائن . ١٠ً كتاب الشافي في شرح مسند الامام الشافعي . ولهُ ايضاً شعر رائق منهُ ما انشده للاتابك وقد زلت بهِ بغلتهُ (من السريع) :

ان زلت البغلة من تحته فان في زلّتها عذرا
حمَّلها من علمه شاهقاً ومن ندى راحتهِ بحرا

٢ً اخوهُ عز الدين ابو الحسن علي (٦٣٠=١٢٣٢) كانت ولادته في الجزيرة سنة ٥٥٥ ودرس في الموصل ثم في بغداد ورحل الى الديار السورية ولم يشتهر الّا بالعلم ونجد ترجمتهُ مطولة في ابن خلكان (١ : ٣٤٧) وتاريخ بروكلمن (١ : ٣٤٥) وقبره بظاهر الموصل خارج السور المتهدم بينهُ وبين مقام قضيب البان وقد بنيت فوقهُ قبة حقيرة ويا ليت ان البلدية تقيم لهُ ضريحاً فخماً فتنقله اليهِ كما نقلت رفات الشاعر الطائي ابي تمام الى حديقة البلدية اقتفاء باثار الامم المتمدنة التي تعظم بقايا علمائها وشعرائها المشاهير وقد ملأوا من تلك الابنية الاثرية التاريخيَّة المزينة شوارعهم وحدائقهم ومجتمعاتهم ليبهروا بها اعين الزائرين ويرغبوهم في قصد بلادهم طلباً للشهرة . ولا ينحصر هذا التكريم بنابغة التاريخ والادب بل يشترك فيهِ الشعب ايضاً بنظر الزائرين الاجانب اذ تتجلى بذلك المشاعر القومية خاصة اذا عرفنا ان عز الدين ابن الاثير هو اكثر اشتهارا من سائر المؤرخين القدماء وناهيك عن كتابه الكامل الذي هو اليوم مورد للعلماء ومرجع يرجعون اليهِ في الحقائق التاريخية

اما تآليفه فاشهرها: ١ً كتابهُ التاريخي الذائع الشهرة في الآفاق وهو كتاب الكامل في التاريخ . ٢ً تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل طبع في باريس في مجموعة المؤرخين العرب الصليبيين . ٣ً اسد الغابة في معرفة الصحابة وهو معجم على الابجدية في تراجم الصحابة طبع في القاهرة (١٢٨٠) . ٤ً مختصر كتاب الانساب للسمعاني باسم اللُباب وهذا المختصر لخصه السيوطي فسماه لب اللباب .éd. Veth 1840 . ٥ً تحفة العجائب في المكتبة العثمانية . واهمّ هذه الكتب هو الكامل في التاريخ فانه يبدأ من الخليقة وينتهي بسنة ٦٢٨ ويُعدّ عند علماء الشرق والغرب من اهم منابع التاريخ

٣ً اخوه ضياء الدين ابو الفتح نصر الله (٦٣٧=١٢٣٩) كانت ولادتهُ في الجزيرة سنة ٥٥٨ وتثقف في مدارس الموصل ورغب في الاشتغال بالسياسة خلافاً لاخيهِ المؤرخ الذي عاش متزوياً فتلقى الوظائف الهامة في الدولة الاتابكية والدولة الايوبية

فانه دخل في خدمة صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٧ ثم قلد وزارة ابنه الملك الافضل فلاذ ضياء الدين بالهزيمة الى مصر وكان شديد الخوف على حياتهِ من بعض خصومه . ولما استقرّ الافضل في سميساط عاد ضياء الدين الى خدمته ثم فارقه واتصل باخيه الظاهر صاحب حلب سنة ٦٠٧ ولم يطل مقامه عنده فغادر حلب مغتاظاً وعاد الى الموصل فسنجار فاربل واخيرًا استقرّ مقامه في الموصل فدخل في خدمة صاحبها ناصر الدين محمود واشتغل بديوان الانشاء وسافر آخر مرةٍ الى بغداد في مهمة للملك ناصر الدين وتوفي فيها . قال ابن خلكان : ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى

يُعدُّ ضياء الدين من اكبر المنشئين ولهُ المصنفات النفيسة في هذا الفن : ١ً المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر طبع في بولاق سنة ١٢٨٢ ولهذا المصنف اهمية عظمى في عالم الادب وقد انتقدهُ معاصره ابن ابي الحديد في كتابه الفلك الدائر على المثل السائر وآخذ فيهِ مؤلفهُ ومنهُ نسخة في ليدن . ٢ً كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وهو من احسن كتب الادب طبع في بيروت (١٢٨٩) . ٣ً الجامع الكبير في علم البيان ونسبه حاجي خليفة الى اخيهِ عزّ الدين المؤرخ . ٤ً البرهان ايضاً في

علم البيان منهُ نسخة في برلين . ٥ً رسالة الازهار في باريس . وذكر لهُ ايضاً ابن خلكان رسالة مليحة تتضمن فتح القدس وتكلف فيها الانشاء الانيق كمن يريد ان يمتحن خاطره ففضّلها صاحب تراجم الادباء على غيرها من الرسائل في هذا الباب (ابن خلكان ٢ : ١٦١و٣٩٥ وبروكلمن ١ : ٢٩٧)

٤ً الشرف محمد بن ضياء الدين ابن الاثير(٦٢٢=١٢٢٥)جاء في وفيات الاعيان عن ذكائهِ ونثره ونظمهِ الحسن وعن تصانيفهِ النافعة من مجاميع وغيرها وقال ايضاً : رأيت لهُ مجموعاً جمعه للملك الاشرف الايوبي وقد احسن فيهِ وذكر جملة من نظمه ونثره ورسائل اليهِ (٢ : ١٦١)

وعُرف باسم ابن الاثير كتبة أُخر منهم عماد الدين ابو الفداء اسماعيل المتوفى سنة ٦٩٩=١٢٩٩ طالع بروكلمن (١ : ٣٤١) وغولدزر : داخلية علم اللغة العربية (١ : ٧١)

ابو الحرم مكي الضرير الملقب بصائن الدين(٦٠٣=١٢٠٦)ولد في ماكسين(بلدة من اعمال الجزيرة على نهر الخابور)واضرّ وهو صغير ابن سبع او ثماني سنين وبعد وفاة ابيهِ تضجرت منه امه لضيق يدها ففارقها وجاء الى الموصل واشتغل بالادب زمناً ثم سار الى بغداد واجتمع بائمة الادب كابن الصغار وابن الانباري وابن الدهان ابي محمد وغيرهم وقرأ عليهم ثم عاد الى الموصل واقبل عليهِ الناس يأخذون عنه حتى ذاع صيته فقال ابن خلكان نقلاً عن ابن المستوفي(٢ : ١٢١) : انه جامع فنون الادب وحجة كلام العرب . وكان ابو الحزم شديد الولع بابي العلاء المعري ويطرب لسماع شعره فجرى في النظم على مناحيهِ ولم يصلنا من شعره الّا القليل . من ذلك قولهُ (من الطويل) :

على الباب عبد يسأل الاذن طالباً لهُ ادب لا ان نعماك تحجبُ
فان كان اذنٌ فهو كالخير يدخل عليك والّا فهو كالشرّ يذهبُ

محمد ابن الحسن الانصاري المعروف بابن الاردخل(٦٢٨=١٢٣٠) والأَرْدِخْلُ (ܐܪܕܝܟܠܐ) كلمة ارامية ومعناها المهندس والبناء . واورد معناها ابن شاكر قال

والاردخل هو المجيد في البناء. فلا يصح ما جاء في محيط المحيط في الإِرْدَخْل قال: كلمة سريانية ومعناها السمين والرجل الكريم

كانت ولادتهُ في الموصل (٥٧٧) درس فيها ونبغ خاصة في الادب فعُدَّ بين الشعراء المجيدين فاتخذه الملك الاتابكي ناصر الدين محمود نديماً له . ثم رحل الى ميافرقين وامتدح صاحبها الملك الاشرف مظفر الدين ابا الفتح موسى الايوبي (٥٩٨=٦٣٥) واقام عنده حتى توفي

ان ما وصلنا من شعر ابن الاردخل يُعدُّ قليلًا جدًّا نسبةً الى شهرتهِ وقد ورد شيء منه في الوفيات (٢ : ١٤١ و٣٣٩) وفوات الوفيات (٢ : ١٨٧) ومن شعره قولهُ (من الطويل) :

اقول وقد قالوا نراك مقطّباً اذا ما ادّعى ابن الهوى غير اهله
يحق لدود القزّ يقتل نفسه اذا جاء بيت العنكبوت بمثلهِ

وقال ايضاً (من الكامل):

ولقد رأيت على الاراك حمامةٍ تبكي فتسعدني على احزاني
تبكي على غصن واندبُ قامةً فجميعنا يبكي على الاغصانِ
صرع الزمان وحيدها فتعلّلَت من بعده بالنوح والاشجانِ
تخشى من الاوتار وهي مَرُوعة منها فلِمْ غنّت على العيدانِ

ابو سعد شرف الدين عبدالله بن ابي عصرون (٥٨٥=١١٨٩) كانت ولادتهُ في الموصل (٤٩٢) وقرأ على علمائها واشهرهم يومئذٍ المرتضى الشهرزوري وابن خميس. ثم رحل الى بغداد فواسط وقرأ الخلاف والاصول على نوابغ الرجال وبعد هذا عاد الى موطنه الموصل (سنة ٥٢٣=١١٢٨) وزاول مهنة التدريس فيها وفي سنجار نحو اثنتين وعشرين سنة ثم قصد حلب فالشام بعد استيلاء نور الدين الاتابكي عليها ودرس

في جامعها وقضى بقية حياته يتنقل بين حلب والشام واشتغل ايضاً في التأليف فصنف كتباً مذهبية ذكرها ابن خلكان (١ : ٢٥٥) فذاع صيتهُ واقبل الناس عليهِ وتقدم عند الملك الاتابكي فاكرمه وبنى له المدارس في حلب وحمص وحماة وبعلبك. ثم تولى القضاء في سنجار ونصيبين وحران واخيرًا في الشام عقيب انفصال الشهرزوري ثم مُني بالعمى فصنف عند ذلك كتاباً في جواز قضاء الاعمى وهذه تصانيفه كما وردت:

١ً صفوة المذاهب من نهاية المطلب في ٧ مجلدات . ٢ً كتاب الانتصار في اربع مجلدات . ٣ً كتاب المرشد في مجلدين . ٤ً كتاب الذريعة في معرفة الشريعة . ٥ً التيسير في الخلاف ٤ اجزاء . ٦ً مأخذ النظر . ٧ً مختصر في الفرائض . ٨ً الارشاد المعرب في نصرة المذهب ولم ينجز . وقد فتشنا على قدر الاستطاعة في كتب الاداب العربية فلم نعثر على شيء من هذه المصنفات ولا نعلم اذا كان شيء منها محفوظاً في مخازن الكتب الكبيرة

وكان ابن ابي عصرون شاعرًا بليغاً ورد لهُ شيء من الشعر في كتاب خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني وفي تأريخ دمشق لابن عساكر وفي ابن خلكان ومن نظمهِ قوله (من الطويل):

اؤمل وصلًا من حبيب وانني على ثقة عما قليل افارقُهْ

تجاري بنا خيل الحِمام كانما يسابقني نحو الردى واسابقهْ

فيا ليتنا متنا معاً ثم لم يذُقْ مرارة فقدي لا ولا انا ذائقهْ

ابو اسحق ظهير الدين قاضي السلامية (٦١٠=١٢١٣) تفقه في الموصل على ابن خميس ورحل الى بغداد وقرأ على طائفة من علمائها ثم ولي قضاء السلامية (١) واشتهر بالفقه والحديث والشعر . وقد ورد من شعره المجاني في خريدة القصر وفي وفيات

(١) بلدة على شاطي دجلة من الجانب الشرقي اسفل الموصل بينها مسافة يوم واحد وقد خربت السلامية القديمة التي كان ظهير الدين قاضيها وانشئت بالقرب منها بلدة اخرى سموها السلامية (ابن خلكان)

الاعيان(١ : ٧)من ذلك انهُ كان في البوازيج(Bawazij بليدة بقرب السلامية) وهجا هناك جماعة مع شيخهم المسمى مكي قال (من المتقارب) :

ألا قل لمكيٍّ قول النصوح فحقّ النصيحة ان تُستمَعْ
متى سمع الناس في دينهم بان الغنا سنّـة تتبعْ
وان يأكل المرء اكل البعير ويرقص في الجمع حتى يقعْ
وقالوا سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم الّا القُصَعْ

ابو الحسن مهذب الدين بن مسهر (٥٤٣=١١٤٨) كان شاعرًا رقيق النظم ذكر له المؤرخون ديوانًا كبيرًا في مجلدين. وكان يحسن سرقة الشعر فاذا اعجبه معنى لشاعر او بيت عمل عليهِ قصيدة وادعاه لنفسهِ . وعلى هذا امثلة كثيرة ذكرها عماد الدين الاصفهاني وابن خلكان (١ : ٣٦٣) ومن نظمه قصيدته (من الكامل) :

الوجد ما قد هيّج الطللانِ مني واذكرني حمام البانِ
انا والحمائم حيث تندب شجوَها فوق الاراكة سحرةً سيانِ
فانا المعنّى بالقدود امالها شرخ الشباب وهنّ بالاغصانِ

ومنها :

فافخر فانك من سلالة معشرٍ عقدوا عمائمهم على التيجانِ
كل الانام بنو أبٍ لكنما بالفضل تعرف قيمة الانسانِ

تاج الاسلام الجهني المعروف بابن خميس (٥٥٢=١١٥٧) كان من جهينة (قرية تجاور حمام العليل) ويُنسب الى بني كعب ولهذا سُمي ايضاً بالكعبي . اخذ الفقه عن ابي حامد الغزالي في بغداد وعن غيره وتولى القضاء في رحبة مالك بن طوق (١ ثم رجع الى الموصل وقضى فيها بقية حياته وصنف كتباً كثيرة وردت في وفيات الاعيان لكننا لم نعثر على باقية منها ومن تصانيفه :

١ً مناقب الابرار على اسلوب القشيري . ٢ً مناسك الحج . ٣ً اخبار المنامات . ٤ً تحريم الغيبة . ٥ً مربح الموضح . ٦ً منهج التوحيد

ابن حماد الموصلي (٥٧١=١١٧٥) وهو عبد الملك بن حماد بن دكين بن ابي بكر بن عبدالله بن حماد بن عبد المنعم ابن الفضل ن دكين بن حماد الكناني . كانت ولادتهُ في الموصل واجداده معروفون بامراء الجبل وكانوا من ذوي المناصب الرفيعة وهو على اثرهم تقلد المناصب والولايات الى عام ٥٥٥ فانهُ حجَّ في ذاك العام والتحق بالسيد احمد الرفاعي فتصوف وزهد وصحب الشيخ المذكور ثلاث سنواتٍ ثم عاد الى الموصل وفيها توفي ودفن في مشهد النبي جرجس

وكان جزيل الحرمة عند اهل الموصل لما شاع عنه من التقى والمناقب الجليلة وكان ايضاً شاعراً بليغ المنى ومن شعره ما انشده في مدح شيخه (من الطويل) :

ابرقٌ تراءى من معاريج واسطٍ ... ام الشمس مجلاةٌ بامّ عبيدةِ

ام النور نور ابن الرفاعيّ احمـد ... صباح المعالي ذي الصفات الحميدةِ

أجل هو هذا والذي فاق الضيا ... واتحف شيخي بالشؤون الوحيدةِ

لعمر العلا ما طاب لي غير ذكره ... وإن طال هجري بالفيافي البعيدةِ

تشاهـده عيني بمرآة همتي ... فاشهد أنواع الفيوض السعيدةِ

---

١) رحبة مدينة على ساحل الفرات بين بغداد والرقة تبعد عن الاولى نحو مئه فرسخ وعن الثانية عشرين فرسخاً وكان مالك بن طوق التغلبي احد رجال هارون الرشيد قد اسسها واشتهرت بمدارسها وعلمائها (ابن خلكان)

هو البدر والفجر المهلهل بالهدى　　هو البحر فياض المعاني السديدةِ
نؤمل من جدوى اياديهِ نفحةً　　فيتحفنا بالخارقات العديدةِ

(العقود الجوهرية لاحمد عزت باشا العمري ٤٠و٤١و١١٠)

البيت الاربلي

ويُعرف اهلهُ ببني منعة واشتهر منهم رجال اعلام اشتغلوا بالتدريس والتصنيف وانتفع بعلمهم الكثيرون وخلفوا آثارًا جليلة ضاع اكثرها واشهر بني منعة:

١ً جدهم ابو الفضل الشيخ يونس رضي الدين بن محمد بن منعــة (٥٧٦ = ١١٨٠) وبقيّة نسبه في ابن خلكان (٢: ٤٢٩) كان مولدهُ في اربل ثم قدم الموصل فاخذ الفقه عن ابن خميس الجهني وانحدر الى بغداد وقرأ على الشيخ ابن الرزاز مدرس النظامية. ثم عاد الى الموصل فقربه اليهِ الوزير زين الدين كوكبوري. فتصدر للافتــاء والتدريس وقصده الطلّاب واستمرّ على الاشتغال بالعلم حتى توفي ولم نقف على اثر لهُ نظماً كان ام نثرًا

٢ً ابنه ابو حامد عماد الدين (٦٠٨=١٢١١) ولد في اربل سنة ٥٣٥ ودرس في اول امره على ابيه في الموصل ثم توجه الى بغداد ودرس في النظامية على السديد. ولما عاد الى الموصل كان قد تفقه في العلوم فدرّس في اغلب مدارسها وعهدت اليــهِ الخطابة في الجامع المجاهدي الذي ابتناه مجاهد الدين قايماز وهو المعروف اليوم بالجامع الاحمر. فاحسن اليهِ نور الدين ارسلانشاه الاول وقربهُ اليهِ وانفذه عنــه رسولًا الى بغداد مرارًا وتقدم ايضاً عند الملك القاهر. وكانت لهُ شهرة ذائعة في بغــداد وفي الموصل وفي كثير من المدن الكبيرة فقصدهُ الفقهــاء وتخرج عليهِ خلق كثير وتولى القضاء في الموصل فاشتغل ايضاً بالتصنيف

قال ابن خلكان (١: ٤٧٦) ومن تصــانيفهِ: ١ً كتاب المحيط في الجمع بين

المهذب والوسيط . ٢ً شرح الوجيز في الفروع للغزالي . ٣ً وصنف جدلًا وتعليقة لكنه لم يتمها

٣ اخوه ابو الفتح موسى كمال الدين ابن الشيخ يونس رضي الدين (٦٣٩=١٢٤١) ولد في اربل سنة ٥٥١ واخذ الفقه عن ابيهِ ثم قصد بغداد واقام في المدرسة النظامية وهي يوم ذاك مطمح انظار طلاب العلوم فقرأ على اساتذتها السديد والشيرازي القزويني وغيرهما . ثم عاد الى موطنه الموصل وقد اقتبس العلوم بانواعها فترجمهُ معاصروه وقالوا انهُ جمع من الفنون ما لم يجمعه احد فاكبروهُ وعدُّوه نابغة الزمان وعالم العصر . وذكر ابن خلكان (٢ : ١٣٢) انهُ كان يدري اربعة وعشرين فنًا دراية متقنة . وقال ايضاً : وكان في كل فن من هذه الفنون كانهُ لا يعرف سواه لقوته فيهِ واختص بالمنطق والحكمة والطبيعي والالهي (الفلسفة النظرية والطبيعية) وفنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وانواع الحساب والجبر والمقابلة والمساحة . وكان متضلعاً من علوم اللغة والتفسير والحديث والتواريخ واخبار العرب واشعارهم

وقد عكف على الاشتغال بالتدريس ودرّس خاصة في المدرسة الكمالية وبعد وفاة اخيهِ عماد الدين تولى المدرسة العلائية ثم القاهرية ثم البدرية . ومع غزارة علمهِ لم يذكر لهُ احد المؤرخين تصنيفاً ام اثراً في النظم ام في النثر

وتوفي كمال الدين في الموصل ودُفن خارج باب العراق في تربتهم عند تربة غسان

٤ً ابو الفضل شرف الدين احمد بن كمال الدين المار ذكره (٦٢٢=١٢٢٥) ولد في الموصل سنة ٥٧٥ واخذ العلوم عن ابيهِ فنسج على منواله فيها وسافر الى اربل فتولى التدريس في المدرسة المظفرية نحو سبع سنوات ثم عاد الى الموصل وفُوّضت اليهِ المدرسة القاهرية واستمرّ يدرّس فيها الى حين وفاتهِ

واشتغل ايضاً بالتصنيف فشرح كتاب التنبيه في الفقه واختصر احياء علوم الدين للغزالي في مختصرين كبيرين (ابن خلكان ١ : ٣٢)

٥ً ابو يحيى حسام الدين المعروف بالحاجري (٦٣٢=١٢٣٤) كان اربني الجنس اربلي المولد والمنشأ . ولقب بالحاجري نسبة الى حاجر (بلدة في الحجاز) لا لانهُ كان منها

بل لانه كان كثير الكلام عنها في شعره من ذلك قوله :

لولاكِ لا ذكرتُ نجدًا بفمي   من اين انا وحاجر من أيّنا

وكان الحاجري جنديًّا من ابناء الاجناد ورغب منذ حداثتهِ في الشعر فاشتغل به .وشعره يتسم بالرقة والجودة وحسن المقصد واشتهر كثيرًا بالدوبيت والمواليا وكان وكان

ذكر ابن خلكان(١ :٣٩٨) انهُ رآهُ معتقلًا في قلعة خفتيد (قلعة شهيرة كانت في اربيل) ولم يذكر سبب اعتقاله فاكتفى بذكر ما كان يقوله من الشعر وهو سجين (من الكامل) :

قيد اكابده وسجن ضيّقٌ   يا ربّ شابَ من الهموم المَفرقُ

يا برقُ ان جئت الديار باربلٍ   وعلا عليك من التداني رونقُ

بلّغ تحية نازحٍ حسراتُهُ   ابدًا باذيال الصبا تتعلّقُ

وبعد خروجه من السجن اتصل بخدمة مظفر الدين كوكبوري ثم رحل عن اربل بعد وفاة مظفر الدين ولم يعد اليها حتى صارت في يد الخليفة المستنصر بالله وكان نائبه عليها الامير شمس الدين باتكين فاقام فيها حتى قتل . وللحاجري ديوان شعر تغلب عليهِ الرقة وفيهِ معان بليغة ويشتمل على الشعر والدوبيت والمواليا وكان وكان وقد جمعه الحسيني في دمشق ونسّقه في سبعة ابواب وطبع في مصر سنة ١٣٠٥ ولهُ ايضاً مسارح الغزلان الحاجرية منهُ نسخة في المكتب الهندي بلندن

٦ً ابو البركات شرف الدين المعروف بابن المستوفي الاربلي (٦٣٧=١٢٣٩) ولد في اربل ٥٦٤ وينتمي نسباً الى بيتٍ كبير كانت منهُ طائفة من الرؤساء والادباء . وكان يتقن معرفة الحديث وعلومه واسماء رجاله والادب واخبار العرب واشعارهم . وكان بارعاً في ضبط حساب الدواوين على الاوضاع المعتبرة عندهم فتولى الاستيفاء والاستيفاء يومئذٍ منزلة رفيعة في مناصب الدولة . ثم تولى الوزارة واستمرّ فيها حتى

توفي مظفر الدين وصارت اربيل الى الخليفة المستنصر فلازم المستوفي داره ثم انتقل الى الموصل بعد حملة التتر على اربل واقام فيها حتى توفي

ذُكرت له التصانيف التالية وهي : ١ً تاريخ اربل باربع مجلدات وقد احال عليه صاحب وفيات الاعيان في مواضع كثيرة. ٢ً كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام بعشرة مجلدات. ٣ً كتاب اثبات المحصّل في نسبة ابيات المفصّل في مجلدين وهي عبارة عن شروح الابيات التي استشهد بها الزمخشري في المفصّل. ٤ً كتاب سرّ الصنيعة. ٥ً ابو قماش جمع فيه ادباً كثيراً ونوادر وغيرها. ولم اعثر على شيء من بقايا هذه الكتب ولا بد ان يكون حظها حظ غيرها من الضياع

وكان شاعراً بليغاً ذُكر ان لهُ ديواناً وورد من نظمه في وفيات الاعيان. من ذلك ما كتبهُ وكان قد نُجرح ومُرّخ وقُمط بالقائف فتظلم الى الملك المظفر وانشد يقول (من الكامل):

يا ايها الملك الذي سطواته ... من فعلها يتعجب المرّيخُ

آيات جودك محكمٌ تنزيلها ... لا ناسخٌ فيها ولا منسوخُ

اشكو اليك وما بُليتُ بمثلها ... شنعاء ذكر حديثها تاريخُ

هي ليلة فيها وُلدتُ وشاهدي ... فيها ادّعيتُ القُمط والتمريخُ

واشتهر من اهل هـذا البيت عمّ المترجم صفي الدين ابن المبـارك قال ابن خلكان: وهذا نقل من الفارسية الى العربية كتاب نصيحة الملوك تصنيف ابي حامد الغزالي ولم يرد اسم هذا الكتاب بين تصانيف الغزالي وربما هو كتاب سر العـالمين وكشف ما في الدارين وقد وضعه الغزالي للملوك ليهتدوا الى سبل النجاح ويشتبـه اكثرية المحققين بصحته

٧ً ابو العباس احمد صلاح الدين القحطاني الاربلي (٦٣١=١٢٣٣) ولد في اربل سنة ٥٧٢ وكان من بيتٍ كبير وتقرب الى مظفر الدين كوكبوري فصار حاجباً لـهُ ثم تغير عليه مظفر الدين فاعتقله مدة ولمّا افرجَ عنهُ قصد الشام (٦٠٣) واتصل هناك

بخدمة الملك المغيث ابن العادل الايوبي فعظمت منزلتهُ عنده وجعله اميرًا ثم تغيَّر عليهِ واعتقله في قلعة القاهرة ولبث في الاعتقال نحو خمس سنوات ثم افرج عنهُ الملك الكامل وقربه اليهِ ثانية وما زال وافر الحرمة عالي المنزلة حتى كانت حملة هذا الملك الايوبي على بلاد الروم فاصيب المترجم بمرض عضال وتوفي فدفن في الرها

وكان صلاح الدين شهيرًا بعلوم الفقه وشاعرًا لا يُشقّ لهُ غبار ذكر ابن خلكان (١ : ٥٩) ان له ديوان شعر وديوان دوبيت ونقل عن ديوانهِ ابياتًا كثيرة منها قولهُ (من الكامل) :

واذا رأيتَ بنيك فاعلم انهم قطعوا اليك مسافة الآجالِ
وصل البنون الى محلّ ابيهمُ وتجهَّز الاباء للترحالِ

ومنها ايضاً ما كتبه الى الملك الكامل صاحب مصر ليصلح بينهُ وبين اخيهِ الملك الفائز قال (من البسيط) :

من شرط صاحب مصر أن يكون كما قد كان يوسف في الحسنى لاخوتهِ
آسوا فقابلهم بالعفو واقتصروا فبرَّهم وتولَّاهم برحمتهِ

بنو نصر الاربلة

١ً ابو العباس الخضر بن نصر الاربلي (٥٦٧=١١٧١) كانت ولادته في اربل ٤٧٨ وكان فاضلًا فقيهاً متضلعاً من علوم الدين. فبنى لهُ الامير الزيني نائب صاحب اربل مدرسة القلعة فاقام يدرس فيها وفي مدرسة الربض. قال ابن خلكان : ولهُ تصانيف حسان في التفسير والفقه ولهُ كتاب ذكر فيهِ ستًّا وعشرين خطبة للرسول. وتوفي في اربل ودفن فيها

٢ً عز الدين بن عقيل (٦١٩=١٢٢٢) وهو ابن اخي السابق الترجمة درس على

عمه ابي العباس وخلفه في التدريس في مدرسة القلعة ومدرسة الربض ثم سخط عليه الملك مظفر الدين كوكبوري واخرجه من اربل فانتقل بذويه الى الموصل فقرّر له صاحبها راتباً واقام فيها حتى توفي ودفن في تلّ التوبة

٣ ابنه شرف الدين محمد (٦٣٣=١٢٣٥) وكان شاعراً مجيداً ومن شعره ما كتبه في خروجهم من اربل وكان في تلك السنة ان الكرج خرجوا على مدينة مرند (في اذربيجان) فقتلوا من اهلها وسبوا واسروا فقال (من الخفيف) :

ان يكن اخرجوا النساء من الاو طان ظلماً واسرفوا في التعدّي
فلنا اسوة بمن جارت الكر جُ عليهم واخرجوا من مرَنَدِ

٤ ابو السعادات البهاء السنجاري(٦٢٢=١٢٢٥)ولد في سنجار ٥٣٣ وعكف على تحصيل العلوم فامتاز بالفقه والاداب وغلب عليه الشعر فاجاد فيه واشتهر به وخدم الملوك فاحرز جوائزهم وطاف البلاد وامتدح الكبراء . ذكر ابن خلكان انه وجد لهُ في دمشق ديواناً في مجلد كبير واورد لهُ ابياتاً كثيرة من نظمه (١ : ٦٩) منها ما قالهُ في مديح القاضي كمال الدين الشهرزوري (من الكامل) :

وهواك ما خطر السلوّ ببالهِ ولأنت اعلم في الغرام بحالهِ
ومتى وشى واشٍ اليك فانه سالٍ هواك فذاك من عذّالهِ
او ليس للكَلِف المعنّى شاهدٌ من حاله يغنيك عن تسآلهِ

ومنها :

يا للعجائب من اسير دأْبهُ يفدي الطليق بنفسهِ وبمالهِ
تسري النواظرُ في مراكب حسنه فتكاد تغرق في بحار جمالهِ

ومن نظمهِ ايضاً (من الوافر):

اذا حققتَ من خلٍ ودادًا   فزُرْه ولا تخف منه ملولا
وكن كالشمس تطلع كل يومٍ   ولا تكُ في زيارته هلالا

علماء الارامية

لم يشتهر في هذا القرن من ادباء الارامية الّا الشاعران الاربليان والمجيدان وهما:

١ً جيورجيس وردا الاربلي. عاش في النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي وكان فكهاً مائلًا الى اللهو والطرب. انشد الشعر البليغ والاغاني المطربة لكنهُ يؤَاخذ في شعره على استعماله كثيرًا من الالفاظ اليونانية وهذا خطأ كان فاشياً بين كتبة تلك العصور فيما اننا نجد اللغة الارامية غنية عن اللغات الغريبة بفصاحتها وكثرة مرادفاتها وغنى معاجمها اللغوية

ولجيورجيوس وردا ديوان شعر كبير منهُ نسخ عديدة في المكاتب الشرقية والغربية وتتنوّع المواضيع في قصائده فيصف في بعضها حصار اربل والجنود التترية وغير ذلك من الحوادث التاريخيّة الخطيرة. وقد خصص قسماً كبيرًا من قصائده في مديح السيدة العذراء فاجاد في هذا الباب وفاق من جاراهُ في هذا الميدان. ويستفاد من بعض قصائده ان تاريخ كتابتها كان بين سنة (١٢٢٤-١٢٢٨-١٢٣٥) وعني المستشرق هزيخ الالماني في طبع هذا الديوان النفيس مع ترجمتهِ الالمانية في لايبسيك سنة ١٩٠٤

٢ً خاميس القرداحي الاربلي الشاعر الشهير تلميذ وردا المتقدم ذكره عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي. والقرداحي كلمة ارامية (ܩܪܕܚܐ) ومعناها الحدّاد وفي هذا يقول في احدى قصائده من العجيب ان ابن الحدّاد اصبح

نساجاً ولم يكن لي نول ولا حفٌ

كان خاميس من بيتٍ عريق في الشرف والعلم . ومن اشهر رجال هذا البيت اوراهام القرداحي المعلم في مدرسة نصيبين الشهيرة . فسار خاميس على آثار اجداده ونبغ في الاداب الارامية واشتهر خاصة باشعارهِ السائرة بين الحسن والعذوبة والسهولة والحلاوة والجزالة . وهو عند الكثيرين اشهر من عبد يشوع الصوباوي صاحب الديوان المسمى «فردوس عدن» الذي جرى فيه على اساليب الشعر العربي في التوشيح واشكال البديع اللفظي . وقال بعض الفضلاء لله درُّ خاميس فانه لو لم يكن لهُ الّا قصيدة واحدة لكفته

ولخاميس ديوان نفيس جمع فيهِ شوارد اللغة الارامية لكنهُ لا يخلو ايضاً من الالفاظ اليونانية . ومن ديوانه نسخ خطية عديدة في مكاتب الشرق والغرب وشعره في الدين والنفس والتوبة وفيهِ ايضاً التقويات على شكل الشعر الصوفي والهجويات (يهجو مواطنيه الارابلة) والاخوانيات والخمريات والغزليات والرثاء . جاء في الكنز الثمين : وما عدا ديوانه يُقال ان له ايضاً رسالة صغيرة في صناعة انشاء المكاتيب لكننا لم نعثر عليها في كتب الادب

حالة العلم العامة في العصر المغولي

هو عصر القضاء المبرم على تلك الحركة المنتشرة يومئذٍ في القطر العراقي ويبدأ هذا العصر باستيلاء التتر على بغداد (٦٥٩=١٢٦٠) وينتهي بدخول بغداد والموصل وقسم من بلاد العراق والجزيرة في حوزة العثمانيين على عهد السلطان سليمان خان القانوني سنة (٩٤١=١٥٣٤)

وقد ادمجنا في هذا الفصل دولاً عديدة توالى حكمها على بلاد العراق بعد الدولة الايلخانية وهي الدولة الجلايرية وتليها الدولة التيمورية اي دولة تيمورلنك ثم الدولتان القره قويونلية والاققويونلية وبعدها الدولة الصفوية . وقد ذكرنا في الجزء الاول خلاصة من احوال هذهِ الدول

اما سبب اقتصارنا على البحث عن علومها وادابها في فصل واحد فهو مـا امره معلوم عن تداعي مشيدات العلم والعمران في عهد هذه الدُوَيلات الغريبة فان خمود العزائم وجمود تلك الحركة السابقة التي عرفناها فيما مرّ بنا من الدول الاسلاميـة لم يدع مجالًا رحباً للاشتغالات الذهنية. فلم يكن اذاً من البعيد انعوت الاداب العربية لان الذين تولوا سيادة البلاد بعد خلافة العباسيين كانوا غرباء وهم مغول فترکمـان فاعجام. ولم يتَّصف هولاء الفاتحون بالصفات التي كانت بارزة في الحكومات الوطنيَّة غالباً واشهرتلك الصفات هي حب العدل وحب العلم وناهيك عما في هاتين الشجرتين الخالدتين من اغصان واثمار دانيات القطوف على ان الفاتحين الغرباء لا يدخلون البلاد الّا ليجمعوا ثروةً او يقضوا وطرًا ومأرباً

ولا بد من القول ان القطرين الشقيقين الشامي وخاصة المصري قد حافظا على الارث الادبي الثمين وعلى اللغة العربية الممنعة بالدين في الدولة الايوبية وفي حكومتي المماليك البحرية والجراكسة. ولهذا فقد انتقلت الاداب والعلوم الى هـذين القطرين ونبغ فيها عدد كبير من العلماء والادباء الذين نسجوا على انوال الاسبقين. فان كتبة هذا العصر لم يستحدثوا في اللغة شيئاً جديدًا بل انصرفوا الى شرح كتب اسلافهم والتعليق عليها. ولا ننكر بان تلك الشروح كانت ولم تزل جزيلة الفائدة كالالفيـة لابن مالك (٦٧٢=١٢٧٣) ولسان العرب لابن مكرم (٧١١=١٣١١) والقاموس للفيروزابادي (٨١٧=١٤١٤). وكذا قل عن الشعر فـانه لم يطرأ عليهِ تحسن مـا لكنه بقي مرعي الجانب على حالته الاولى ثم زِيد عليـه ضرب عقيم فاسد ركيك العبارة محشّى بالفاظٍ مبتذلة من لغة العامة

واشتهر هذا الضرب عند المغربيين في تونس والجزائر ومراكش وسُميت تلـك القصائد بالاصمعيات او البدويات او الحورانيات. وذكر ابن خلدون من هذا الشعر في مقدمته (ص ٥٣٤) وذكر لنا ايضاً نوعاً آخر من الشعر وهو عروض البلد استحدثه ابن عمير الاندلسي نزيل فاس على شكل الموشح باللغـة الحضرية فانظمُ قطعـة عن طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب ومطلعها:

ابكاني بشاطي النهر نوح الحمامْ على البستان في الغصن قريب الصباحْ

وكفُّ السحر يمحو مداد الظلامْ وماء الندى يجري بثغر الاقاحْ

فالشعر وان كان رائجاً في هذا العصر كما يتضح لنا من ديوان سراج الدين وابن نباتة المصريين وصفي الدين الحلي وعلاء الدين الارديني شاعر الامير خايل الايوبي صاحب حصن كيفا (١ مع ذلك فقد اختلط في هذا العصر الشاعر والاديب بما عاناه بعض الادباء من الاشتغال بجمع الشعر وجعل اوضاع للانشاء مع ذكر ادواته وشروطه مثل كتاب صبح الاعشى للقلقشندي (٨٢١=١٤١٨) وبعضهم اختاروا قطعاً حكمية من نظم ونثر وزادوا عليها اخباراً ترجع الى تحسين المجالس والمنازل وما قيل في اقسام المنازل وآثاثها واسباب الانس وانواعه مثل مطالع البدور للبهائي (٨١٥=١٤١٢) او ما قيل في السياسة والسلطان او في العدل او في المعاشرة وامثال هذه من حالات الاجتماع مثل كتاب المستطرف للانشيهي

واشتغلت المخيلة بزيارة ثالثة على الاقاصيص الهندية البغدادية وهي زيادة مصرية من حكايات وهمية تمثل تصرف رجال الحكومة وتلمح في الغالب الى رجالها المجونيين. ولعبت هذه الاقاصيص المصرية دورها مدة طويلة فبينما نجد في الاقاصيص القديمة الآرية الارواح الصالحة والخبيثة تظهر بمظاهر بشرية لتناصر الابطال نجد في الاقاصيص المصرية قوة سرية تناط بالطلاسم وتؤتي حامليها سعادة ام شقاء كما يُلاحظ في «مصباح علاء الدين العجيب». ثم زيدت عليها تكملةً لالف ليلة وليلة حكاية عمر النعمان في الفروسية والنبل واسفار سندباد البحري وحوادثه وقد ذهب بعضهم الى انها كتبت في البصرة حوالي المئة الثالثة ثم قصص الوزراء السبعة والوزراء العشرة والاربعين وزيراً على اسلوب كليلة ودمنة وقصة احيقار هذه مع غيرها من الحكايات المجونية كحكاية العبد تودُّد وقد نُقلت الينا محملةً ومفردةً وافرغت في قالبها الحالي في اوائل حكم المماليك المصريين بعد تصحيح تدريجي طرأ عليها في اوقاتٍ مختلفة وبايدي عددٍ من القصّاص

وعكف بعضهم على تدوين التاريخ والاشتغال بهِ فان ابن حجر العسقلاني

---

١) وعرفنا ان من هذا الديوان نسخاً في لندرة وفي مكتبة اليسوعيين في بيروت ووجدنا منه نسخة كاملة ومعتنى بها في مكتبة المرحوم الحاج امين بك الجليلي في الموصل

(٨٥٢=١٤٤٨) جرى في معجمه الاصابة في تمييز الصحابة على اساليب ابن الاثير في كتابه اسد الغابة وعلى اساليب ابن سعد كاتب الواقدي في كتابه طبقات الصحابة والتابعين. ولاقى علم التقليد عناية واهتماماً زائداً فيما كتبوه لمدارس الشريعة وابقوه للخلف موضوع تصحيح تدريجي ولم يقتصروا على البحث في تواريخ السير بل جمعوا فيها ايضاً ضروب التقاليد من هام وغير هامّ واولهم في ذلك تاج الدين السبكي (٧٧١=١٣٦٩) وابراهيم بن فرحون (٧٩٩=١٣٩٦)

وظلّ المؤرخون لا يهتمون الّا بالحوادث المحلية وبذكر سير الرجال كل واحد في قطره فترى ان تدوين التاريخ الاندلسي الذي نال القدح المعلى فيما كتبه لسان الدين الخطيب (٧٧٦=١٣٧٤) وابو العباس المقري (١٠٤١=١٦٣١) لا يخرج عن دائرة معجم في سير الرجال فقط. وهكذا جرى الامر ايضاً في مصر وافريقية الشمالية كتاريخ الفتح لعبد الحكم والخطط لتقي الدين المقريزي (٨٤٥=١٤٤١) وجرى فيه مجرى طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة(٦٦٨=١٢٦٩)ووفيات الاعيان لابن خلكان فيجد المطالع في كتابه عدا التراجم موارد هامة لعلم الانساب ولمعرفة المؤلفين ومؤلفاتهم مع وصفها على شكل كتاب كشف الظنون. ثم كتاب الوافي في الوفيات للصفدي (٧٦٤=١٣٦٢) وفوات الوفيات لابن شاكر (٧٦٤=١٣٦١) ونحا منحاهم مؤلفون آخرون اختصت معاجمهم بقرون معينة كالدرر الناصعة في شعراء المئة السابعة ومن هذا القبيل كتاب ابن حجر للقرن الثامن والسخاوي للقرن التاسع والنهاني والبديني للقرنين التاسع والعشر والمحبي للقرن الحادي عشر. واحسن ابن الطقطقى صاحب الفخري في الاداب السلطانية في تقريره الحقيقة الجارحة مصوباً الى المؤلفين سهام انتقاده النافذ فعابهم على مراعاتهم ابواب الفصاحة والبلاغة اكثر من مراعاتهم مقاصد المؤرخ الهامة ثم انحى باللائمة على الساعين بتحفيظ المقامات التي تكثر فيها ابواب الحيل وطرق الاستجداء فتتسرب الى قلوب الشبان روح المخادعة والجبن وصغر النفس (الفخري ١١)

وازهر تدوين التاريخ في البلاد المغربية ايضاً لكن معظمه لم يخرج عن دائرة محصورة كما يظهر جلياً من الاثرين الهامين لابن سعيد وابن خلدون فانهما اهتما خاصة بنقل الحوادث العامة من مواردها . وزيادة على ذلك دوّن ابن سعيد ما رآه من حالة

دولة المماليك السائدين يومئذٍ في مصر وافاض في البحث عن افريقية الشمالية . اما ابن خلدون فانه كتب عن حالة العالم الاسلامي في عهد ظهور تيمور والقى نظرةً فلسفية في ماضي حياة الحكومات ومستقبلها فاحرز السباق في حلبة الانتقاد وكان هو احد اساطين التاريخ واول الباحثين في فلسفته

واشتهر في الرحلات ابن بطوطة من اهل القرن الثامن (الرابع عشر) فلم ينسج فقط على منوال سالفه ابن جبير بل انه نقل منهُ نصوصاً ظاهرة للعيان ومع ذلك فقد اجاد وفاق غيره في وصفه الهند والصين واسية الصغرى وسواحل البحر الاسود والقسطنطينية وبلاد السودان. ثم ظهر في المغرب عدة تصانيف ذات صلة كبرى بالاسفار الّا ان جميع تلك التصانيف واشهرها الرحلة العياشية لابي سالم العياشي (١٠٩٠=١٦٧٩) مسهبة مملة وفيها تفاصيل زائدة تفقد مطالعها فوائدها لاسيما في ذكر اسماء علماء تلك الجهات ولهذا فقد نضج اخيراً علم الجغرافيا عند علماء المغرب ومن اشهرهم فيها البكري والادريسي (معجم الادباء للحموي) ومن بعدهما ابو الفداء في وصفه الارض (رينود: المقدمة الجغرافية لابي الفدا باريس ١٨٤٨)

اما في العلوم الفقهية والفلسفية فلم يستحدث فيها المؤلفون من اهل هذا العصر شيئاً جديداً وكلما كتبوه يُعدُّ مقتبسات من المجلدات الضخمة التي خلفها لهم اجدادهم فصرفوا عنايتهم الى تطبيق تلك المبادي على الحياة العملية ولنا مثال على ذلك في تنبيه الشيرازي ومنهاج النوويني

غير انهُ اتسعت في هذا العصر علوم الطبيعة والحيوان وفنون الحرب والسياسة وضبط حساب الدواوين ومن هذا القبيل كتاب نزهة النفوس والافكار في معرفة النبات والاحجار لعبد الرحمن الاندلسي وكتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري وكتاب المجاهدين في العمل بالميادين للحسامي الطرابلسي منهُ نسخة في برلين وكتاب بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الامور وسائر الرعية لنجم الدين المصري في غوطا

العراق في حكم المغول

وصف المؤرخون حالة الادارة العباسية في آخر ايامها وألمحوا الى انهماك اولياء الامور بالملاهي بينما كان العدو يتجهز ويتحفز للوثوب فقال ابن الطقطقي وهو قريب عهدٍ بهذه الحوادث: كتب المستعصم الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منهُ جماعةً من ذوي الطرب وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو يطلب منهُ منجنيقات وآلات الحصار فقال بدر الدين: انظروا الى المطلوبين وابكوا على الاسلام (الفخري ٣٣)

كانت بلاد العراق على عهد الدولة المغولية والدول التركمانية واقعة تحت اثقال الحروب والفتن الاهلية وعرضة للمذابح والتخريب. فان السلطات المغولية وبعدها حملات تيمورلنك وبعدها القويونليون الفوضى ثم الصفويون الطامعون لم يهدأوا من الحروب اماً لمطمح عين واما لإكراه اهالي البلاد النافرين طبعاً من الحكم الغريب على الاذعان والرضوخ. وناهيك عما جرى من الحروب السجال بين المغول وبين المصريين واهل الشام وكانت الموصل حينئذٍ معسكرًا للجنود المغولية ودام الحال كذلك زمناً طويلاً

اما المذابح في بدء هذا العصر فكانت مريعة جدًا في بغداد والموصل بامارة سمدغو المغولي ثم في حلب ومجاوراتها مدة استيلائهم عليها فقد تلف عدد غير يسير من النفوس ولا ينكر ان فيما اورده المؤرخون شيئاً من الغلو في ذكرهم مدة دوام المذبحة وعدد القتلى فيها

فتلك الصرامة الوحشية تدل على مبلغ نقمة المغول على العرب وتلك النقمة البربرية ادت بهم الى تخريب آثارهم ومعاهدهم العلمية بعامل القسوة والبغضاء. فقد نهبت العساكر المغولية قصور الخلفاء والقوا في دجلة شيئاً كثيرًا من الكتب النفيسة وما بقي من اثار ونفائس نُقل من بلاد العراق بعد هدو تلك العاصفة ومنها عمل نصير الدين الطوسي خزانة الكتب العظيمة في مراغة وملأها من الكتب التي

نهبت من الشام وخاصة من العراق وقيل ان عددها بلغ نحو ٤٠٠،٠٠٠ مجلد (ابن شاكر ٢ : ١٤٩) . وترى في رسالةٍ كتبها احمد خان ثالث الملوك الايلخانية الى سيف الدين ابي مظفر قلاوون صاحب مصر دليلًا واضحاً على مبلغ التخريب الذي احدثهُ المغول في عمران العراق فانهُ بعد ما يدعوه الى طاعته يكشف لهُ عن مقاصده الخيرية بالدين واهله ومما يقول لهُ : لقد تقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس وعمارة بقاع البر والرُبط الدوارس . وهي رسالة طويلة وردت مع جوابها في مختصر الدول (ص ٥٠٦) وفيها تظهر رغبة هذا الملك في اصلاح المساجد وتجديد المدارس التي اخربها المغول تهدئةً لخواطر اهالي البلاد

اما ما جناه تيمورلنك على هذه البلاد فهو اكثر بكثير مما جاء عن المغول مع قصر مدة حكمه فيها فلا نرى اسمهُ الّا متبوعاً بكلمة قتلَ وضرب ودمَّر وقد ذكرنا في الجزء الاول شيئاً من مذابحه في بغداد والموصل ومجاوراتها . ثم ترك البلاد للقويونليين والصفويين خراباً على التقريب . وكانت هذه الدول مضعضعة الحال وايامها مملوءة بالفتن والمشاغب والحروب فلم تستطع ان تأتي في البلاد عملًا يذكر

مع ذلك فلا ننكر على بعض الملوك الايلخانية شيئاً من اهتمامهم بالعلوم وبمعاهدها اذ ان العلوم لم تضمحل تماماً في زمن المغول بعد استقرار امرهم . فقد ذكر المؤرخون عن هولاكو انه كان حكيماً ذا فهم ومعرفة يحبُّ الحكماء والعلماء (مختصر الدول ٤٩٧) وكان قد قرَّب اليهِ نصير الدين الطوسي الذي درس في الموصل على كمال الدين بن يونس الموصلي من بني منعة . وكان الطوسي عالمًا كبيرًا ذكر لهُ ابن شاكر مؤلفاتٍ عديدة في سائر العلوم وسعى بجعل مراغة مركزًا علميًا فشيد فيها خزائن الكتب وابتنى المراصد . وكان هولاكو في آخر ايامهِ قد سلَّم بيديه الاوقاف وفوَّضهُ ان يصرف منها على العلماء . قال ابن شاكر وكان للمسلمين به نفع عظيم خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم وكان يبرُّهم ويقضي اشغالهم ويحمي اوقافهم(٢ : ١٤٩) . وجاء عنهُ في التاريخ السرياني لابن العبري انهُ كان مقلدًا ادارة المدارس في بغداد وبلاد الموصل وكان يصرف من الاوقاف على المعلمين والطلبة(ص ٥٢٩)

وقد عرفنا رغبة احمد خان في اقامة المدارس الدوارس وتجديدها كما اذاعهُ في مرسومه . وبعده اصدر قازان خان سابع الملوك الايلخانية مرسوماً الى سائر الانحاء

مملكته بان تستأصل معابد الاوثان وان تشيد مكانها المدارس لابناء العرب(التاريخ السرياني لابن العبري ٥٩٥)وهو نفسه زار المدارس الكبيرة في بلاده(٦٩٨=١٢٩٨) من ذلك انه زار المدرسة المستنصرية في بغداد وكان قبل وروده اليها قد زُيِّنت وجلس المدرسون على سُدَدهم والفقهاء بين ايديهم وفي ايديهم اجزاء القرآن وهم يقرأون فيها. فاتفق ان الركاب السلطاني بدأ بالاجتياز على طائفة الشافعية ومدرّسها ابن العاقولي فقاموا له. فالتفت السلطان الى المدرس وعنَّفه لانهُ قام لهُ وترك كلام الله (الفخري ص ٢٣)

ومن المحقق ايضاً ان العلم كان يسير سيرًا حسناً في عهد سلطنة محمد خدابنده اذ كان ولاة الامور ينشطون العلماء على الاشتغال والتبريز فان ابن الطقطقى اقبل في هذا العصر الى الموصل وقدَّم كتابهُ الفخري في الاداب السلطانية لعاملها فخر الدين ابن عيسى وفيهِ يصف شيئاً من العلوم التي كانت تُدرس في مدارس الموصل. فانهُ بعد ما ذكر العلوم عند الفرس وهي الآداب اللغوية والتواريخ والهندسة وما اشبه ذكر ايضاً ما كثر استعمالهُ من العلوم عند العرب واشهرها يومئذٍ العلوم اللسانية ونفقت عندهم دروس اخرى وهي علم السياسة والحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج ثمّ الطبّ لحفظ الابدان والنجوم لاختيار الاوقات وما عدا ذلك من العلوم والاداب فكاسد عندهم الّا في الموصل فكانت العلوم اللسانيّة والاداب العربية نافقة دارجة (ص ١٣) لكنهُ انتقدهم على اساليبهم في التعليم ورغبتهم في تحفُّظ المقامات كما ذكرناه. ثم انتقدهم ايضاً على ولعهم في حفظ الحماسة وهي لا تفيد اكثر من الترغيب في الشجاعة والضيافة ولهذا دعاهم الى حفظ كتابه «الاداب السلطانيّة» اذ يستفاد منهُ عدا الخصال الحميدة القواعد السياسية ايضاً ففيه ما في الحماسة وليس في الحماسة ما فيه (ص ١٠)

وربّما دامت هذه الحالة حتى آخر الملوك الايلخانية اعني الى سلطنة ابي سعيد بن خدابنده فان السائح الطنجي الذي زار الموصل في ايامه وصف اتساعها وعمارتها وزخرفة جوامعها وحسن ابنيتها ومدارسها ومساجدها وصفاً مفصلاً كما ذكره ابن جبير

ولم تفد هذهِ الحركة فائدة تذكر لانها كانت قصيرة الامد وغير متصلة بعهد الحكومات التالية فلم نجد عدداً كبيرًا من العلماء والادباء الذين نبغوا في العراق

خاصة في الموصل اما الذين نذكرهم في هذا العصر فهم من المتوفين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري او هم من بقايا العصر الاتابكي

علماء العصر المغولي

١ً ابو الحسن علي بن عدلان المسمى عفيف الدين(٦٦٦=١٢٦٧) كانت ولادته في الموصل سنة ٥٨٣ وكان ناثرًا بليغاً وشاعرًا مجيدًا واشتغل خاصة في حل الالغاز فذكر له ابن شاكر (٢: ٥٩) تصانيف منها كتاب عقلة المجتاز في حل الالغاز ومصنفاً آخر في حل المترجم قدمه للملك الاشرف الايوبي واثبت له شيئاً من نظمه من ذلك جوابه لناصر الدين ابن النقيب على لغزه في السيف قال (من الرمل):

ناصر الدين الـذي فا ق جميع الناس فضلا

ان تسلني عن رفيقٍ لك نُجلي حين يجلى

هو أنثى في زمانٍ ويُرى في ذاك فحلا

يشرب الماء ولا يأ كلُ الّا اللحم اكلا

والندى يؤذيه والنا رُ لهُ إلفٌ فيصلى

مُحْرم في كل وقت ما رآهُ الناس حلا

اعجميٌ وفصيحٌ جمع الوصفين كلّا

ولَموعٌ برقه الخلّـب لا يمطر وبلا

وهو مثل الناس في النشأة مذ قد صار طفلا

ويرى شَرخا وشيخا بعد ما قد كان كهلا

٢ً شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي (٧١٠=١٣١٠) نزل القاهرة وكان فيها كحالاً وشاعراً بليغاً وراجزاً بارعاً. فشعره سهل المتناول وفيه اللطائف الحسنة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة وشبهه الصفدي بابن سكرة الهاشمي وبابن الحجاج وهما من شعراء المجون لكثرة احماضه ومجونه

جاء في فوات الوفيات انهُ توفي سنة ٧٠٨ وهذا خطأ اذ قد ورد في ترجمتهِ ان الشيخ فتح الدين بن سيد الناس (٦٦١=٧٣٤) رآه في مصر وكان لهُ شأن معه والاصح ان ابن دانيال توفي سنة ٧١٠ كذا جاء عنه في كتاب كشف الظنون

ومن آثاره الادبية كتاب طيف الخيال وهو رواية هزلية تمثيلية فيُعدُّ ابن دانيال من اول المشتغلين بهذا الفن الادبي ولو لم يضمّنها مجوناً وخلاعةً والفاظاً بذيئة لعُدَّت فريدةً في بابها ومنها نسخة في الخزانة التيمورية في مئةٍ وعشرين صفحة. ومن شعره قولهُ يصف فقره وشقاء حاله (من الكامل) :

اصبحتُ أفقر من يروح ويغتدي ... ما في يدي من فاقةٍ إلّا يدي

في منزلٍ لم يحوِ غيري قاعداً ... فاذا رقدتُ رقدتُ غير ممدَّدِ

لم يبقَ فيهِ سوى رسوم حصيرةٍ ... ومخدَّة كانت لامّ المهتدي

ملقى على طرَّاحةٍ في حشوها ... قملٌ كمثل السمسم المتبدّدِ

والفار يركض كالخيول تسابقت ... من كل جرداء الاديم واجردِ

هذا ولي ثوب تراه مرقَّعاً ... من كل لون مثل ريش الهدهدِ

وقال ايضاً وقد ابطلت المسكرات في ايام الملك منصور حسام الدين لاجين من دولة الاتراك الظلامات (من الكامل) :

احذر نديمي ان تذوق المسكرا ... او أن تحاول قطّ أمراً منكرا

لا تشرب الصهباء صرفاً قرقفاً ... وتزور من تهواه إلّا في الكرى

انا ناصحٌ لك إن قبلتَ نصيحتي ... إشرب اذا ما رمت سكرًا سكّرا
والرأي عندي تركُ عقلك سالمًا ... من أن تراهُ بالمدام تغيّرا
ذي دولة المنصور لاجين الذي ... قهر الملوك وكان سلطان الورى
إياك تأكل اخضرًا في عصره ... يا ذا الفقير يصير جسمك أحمرا
والمزرَ يا مسعود دَعه جانباً ... واشرب من اللّبن المخيض مبكّرا

ولهُ في فوات الوفيات (٢: ١٩) ابيات كثيرة وقصائد رائعة واكثرها في المجون

٣ً تاج الدين ابو القاسم ابن الشيخ رضي الدين الشهرزوري المار ذكره (٦٧١=١٢٧٢) كان مولده في الموصل واشتهر كاجداده الشهرزوريين في العلم والادب فذكر لهُ ابن خلكان آثارًا منها اختصارهُ كتاب الوجيز للغزالي اختصارًا حسناً وسماهُ التعجيز في اختصار الوجيز ومن الاصل نسختان في باريس وفي المكتبة الخديوية. وعليهِ ما عدا هذا الشرح شروح اخرى عديدة لم تطبع. واختصر ايضاً كتاب المحصول في اصول الفقه لفخر الدين الرازي واختصر ايضاً طريقة ركن الدين الطاوسي في الخلاف ولم يرد لهُ ما عدا هذه الاختصارات نثر ام نظم

٤ً محمد شهاب الدين بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري (٦٧٥=١٢٧٦) وذكر ابن خلكان نسبه: شهاب الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف بن سالم المعروف بابن التلعفري. وكانت ولادتهُ في الموصل سنة ٥٩٣ واشتغل بالادب حتى برز فيهِ فقصد الملوك والاعيان وتقرب اليهم وامتدح خاصة الملك الاشرف موسى الايوبي واحرز بذلك شهرة وموقعاً هاماً عند الكبراء لكنهُ فقد مركزه هذا بما ابتلي بهِ من الخلاعة والتولع بالمقامرة فكان يُتلف فيهِ ما يُعطى حتى طرده الملك الاشرف فسار الى حلب ومدح العزيز غياث الدين فوصله بالهدايا لكنهُ ما زال سالكاً مسلكه الاول فنودي بجانب من قامر الشهاب التلعفري قُطعت يده. ولما ضاقت بهِ الارض على رحبها سار الى دمشق ولم يزل يستجدي ويقامر حتى بقي في اتُون حمّام. ثم التحق بخدمة صاحب حماة ونادمه فحسنت حاله واقام عنده حتى توفي

وكان التلعفري من شعراء عصره المجيدين فان شعره رقيق جيد ولهُ ديوان طبع في بيروت سنة ١٣١٠ وتجد لهُ اشعارًا كثيرة في وفيات الاعيان (٢ : ٣٣٨) وفوات الوفيات(٢ : ٢٧٧ وما يلي) واكثرها غزل ومن شعره قوله في الشيب(من الكامل) :

يا شيبُ كيف وما انقضى زمن الصبا عاجلتَ مني اللمَّة السوداء
لا تعجلنَّ فوا الذي جعل الدجى من ليل طُرَّتيَ البهيم ضياء
لو انَّها يوم الحساب صحيفتي ما سرَّ قلبي كونُها بيضاء

ومنهُ هذه الموشحة (من الرمل) :

ليس يروي ما بقلبي مِن ظما غير برقٍ لائحٍ من أضمِ
ان تبدَّى لك بانُ الاجرعِ واثيلاتُ النقا من لعلعِ
يا خليلي قف على الدار معي وتأمل كم بها من مصرعِ
واحترز واحذر فأحداق الدُّمى كم اراقت في رباها من دم
حظُّ قلبي في الغرام الولهُ فعذولي فيهِ مالي ولهُ
حسبيَ الليلُ فما اطولهُ لم يزل آخره اوَّلهُ
في هوى اهيفَ معسول اللمى ريقهُ كم قد شفى من ألمِ
سائلي عن احمد مما حوى من خلال هي للداء دوا
ما سواه وهو يا صاح سوى ناشرٍ من كل فنٍّ ما انطوى
بحر اداب وفضل قد طما فاُخشَ من آذيه الملتطمِ
شاعر ابدع في اشعاره ومتى انكرتَ قولي بادرهِ

لو جرى مهيار في مضماره والخوارزميُّ في آثارهِ
قلت عودا وارجعا من انتما ذا امرؤُ القيس اليهِ ينتمي

٥ً موفق الدين ابو العباس احمد بن يوسف الموصلي الشيباني المعروف بالكواشي (٦٨٠=١٢٨١) لم نقف على زمن ولادته ولا على ترجمته. وقد عرفنا من مخطوطات الموصل ان لهُ تفسيرًا للقرآن في مجلدين سماه (التبصرة) ومنهُ في جامع الباشا في الموصل نسخة خطية تاريخها ١١٠٧ هجرية ويقال ايضاً ان منهُ نسخة اخرى في الموصل

٦ً محمد بن ابي بكر الموصلي المعروف بابن حماد ولا بد انهُ يتصل نسباً بعبد الملك ابن حماد المار ذكره (٧٥٠=١٣٤٩) نزل البصرة وفيها توفي. ومن آثارهِ كتاب روضة الاعيان في اخبار مشاهير الزمان بدأ فيهِ بظهور الاسلام فالراشدين فالامويين فالعباسيين فالفاطميين وفيهِ ابواب لآل النبي والشعراء والادباء والقواد وغيرهم ومنه نسخة في الخزانة التيمورية

الاربليّون

١ً ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد البرمكي الشافعي (٦٨١=١٢٨٢) ولد في اربل ١١ ربيع الثاني (٦٠٨=٢٣ ايلول ١٢١١) وينتمي الى بيتٍ كبير ومن تصفح كتابه وفيات الاعيان يعلم شيئاً كثيرًا من احواله واطواره. فقد ذكر فيهِ عن نفسه انه سمع صحيح البخاري سنة ٦٢١ في اربل على الشيخ الصالح بن هبة الله وذكر عن والده انهُ كان يتولى التدريس في مدرسة الملك المعظم حتى توفي وذكر ايضاً انهُ بارح اربل سنة ٦٢٦ ودخل حلب في آخر السنة المذكورة وذكر ايضاً عن تنقله بين الشام ومصر واورد عن بعض احواله مع السلطان بيبرس في آخر كتابه

انتقل من الشام الى القاهرة (٦٣٦=١٢٣٨) وناب في قضائها عن يوسف ابن الحسن السنجاري. ثم قصد الشام سنة (٦٥٩=١٢٦١) وتولى فيها القضاء مدة ولما أُقيل

عاد الى القاهرة وتولى التدريس في مدرستها الفخرية واستمرّ على ذلك نحو سبع سنوات ثم استعاد مركزه السابق لكنهُ اضاعه ثانية في محرّم (٦٨٠ ايار ١٢٨١) وكان لما توفي مدرساً في المدرسة الامينيَّة

كان ابن خلكان ناثرًا وناظماً حسن السبك بليغ المعنى لكنهُ اشتهر غالباً بكتابه النفيس « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » بدأ بتأليفه في القاهرة سنة (٦٤٥=١٢٥٦) ثم انشغل عنهُ مدة مكوثهِ في الشام وكان الفراغ منهُ في ١٢ جمادى الثاني (٦٧٢=٤ كانون الثاني ١٢٧٤) وما زالت النسخة بخط المؤلف محفوظة في المتحف البريطاني ومنهُ نسخة اخرى بخط المؤلف في المكتبة الخديوية. ولهذا الكتاب فضل عظيم على الاداب العربية فقد استقى الباحثون من مواردهِ اهمّ منابع الانساب والسير والتواريخ الادبية واقبلوا على درسهِ بحرص واهتمام فنقلوهُ الى اللغات: وقد طبعهُ وستنفلد في غوتنغن (١٨٣٥=١٨٤٣) وطبعه في باريس م. ج دي سلان (١٨٣٨=١٨٤٢) وترجم الى التركية وطبع في القسطنطينية ١٢٨٠ وترجمهُ الى الانكليزية دي سلان في اربع مجلدات وطبع في لندن وباريس(١٨٤٣=١٨٧١)وتكرَّر طبعهُ في مصر

ولابن خلكان نظم رقيق اورد منهُ صاحب فوات الوفيات (١ : ٥٥) وهو كثير المجون والاحماض ومن شعره قولهُ (من الخفيف):

اي ليلٍ على المحب اطالَهْ　　سائق الظعن يوم زمَّ جمالَهْ

يزجر العيس طاوياً يقطع المهـمه عسفاً سهوله ورمالَهْ

ايها السائق المجدُّ ترفَّقْ　　بالمطايا فقد سئمنَ الرحالَهْ

وأَنِخها هنيهةً وأَرِحها　　قد براها فرط السرى والكلالَهْ

لا تُطِلْ سيرَها العنيف فقد برّحتَ بالصب في سراها الاطالَهْ

قد تركتم وراءكم حلف وجدٍ　　بادياً في محلّكم أطلالَهْ

وقال ايضاً (من الكامل) :

يا ربِّ ان العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك مابدا من عيبهِ
فلقد أتاك وما لهُ من شافعٍ لذنوبه فاقبل شفاعة شيبـهِ

٢ً وذكر لابن خلكان اخ اسمهُ محمد بهاء الدين توفي سنة ٦٨٣=١٢٨٤ كان قاضياً في بعلبك واليهِ يُنسب في الغالب كتاب التاريخ الاكبر في طبقات العلماء واخبارهم . كذا اثبتهُ الباحثون في قوائم الكتب ومنهُ نسخة في مكتبة اوكسفورد

٣ً بهاء الدين ابن الامير فخر الدين والي اربل (٦٩٢=١٢٩٢) كان منشئاً بارعاً وجاء في فوات الوفيات (٢ : ٦٦) انهُ كان كاتباً عند متولي اربيل (من صلايا) وربما هو موصلايا من احفاد بني موصلايا المار ذكرهم . وخـدم ايضاً في ديوان الانشاء ايام علاء الدين صاحب الديوان وكان هذا قابضاً على زمام الحكم خاصةً في عهد ابافـا خان (١٢٦٤—١٢٨٢) (مختصر الدول ٤٩٧)

ولما تولى الوزارة المغولية سعد الدولة اليهودي في عهد ارغون خـان (١٢٨٤= ١٢٩١) وآل اليهِ الحل والابرام (طالع الجزء الاول ٢٤٣) اضطرّ بهاء الـدين الى الخروج من بغداد . قال صاحب فوات الوفيات (٢ : ٦٦) وفتر سوقه في دولة اليهود وتراجع بعدهم وسَلِم ولم يُنكب . ومن هذا يظهر انه نُكب في وزارة سعد الدولة حتى اضطر الى الانزواء . وقد ذُكر لبهاء الدين مصنفات ادبية مقامات ورسالة الطيف الشهيرة وقد تكون هذه الرسالة على غط طيف الخيال لابن دانيال الموصلي . واورد لهُ ابن شاكر شيئاً من شعره الغزلي والمجوني

٤ً محمد بن احمد ابن الظهير الاربلي الشهير بمجد الدين (٦٩٧=١٢٩٧) كانت ولادتهُ في اربل سنة ٦٠٢ وقرأ في بغداد على ابن الخازن وفي دمشق على السخاوي . ثم عاد الى اربل ودرس في المدرسة القيازية وتفقه عليهِ كثيرون كابن الخباز والشيخ جمال الدين الفخفازي وصار عمدة حتى روى عنهُ الكثيرون . منهم ابو الحسن اليونينيّ

وكان ايضاً من اعيان شيوخ الادب ومن فحول المتأخرين في الشعر . ذكر صاحب فوات الوفيات (٢ : ١٧٥) ان لهُ ديوان شعر في مجلدين وفي آخر ايامه رجع الى دمشق

وفيها توفي. وشعره رقيق بليغ منهُ قصيدتهُ الطويلة التي انشدهـا يتشوق الى دمشق (من الطويل) :

لعلَّ سنى برق الحِمى يتألقُ على النأي أم طيفٌ لاسماءَ يطرقُ
فلا نارها تبدو لمرتقب ولا وُعود الاماني الكواذب تصدقُ
وعلَّ الرياحَ الموج تهدي لنازحٍ عن الشامَ عرفاً كاللطيمَة يعبقُ
دِيارٌ قضينا العيش فيها منعَّماً وأيامنا تحنو علينا وتشفقُ

ومنها :

حدائقها من ريّها ذات بهجةٍ بها الراح والريحان والورد محدقُ
اذا ما تغنّت في ذرى الدوح وُرْقُها غدا كل عودٍ منهُ كالعود يخفقُ
وان جشت أنهارَها نسمَةُ الصبا تسلسل فيها ماؤُها وهو مطلقُ

ومنها :

أجيرانَنا بالغوطتين عليكم سلام مَشُوق قد براه التشوّقُ
فيا ليت شعري هل تلوح لمقلتي منازل ظبي باللقاء محقّقُ
وهل شائم برقَ الثنيَّة ناظري على القرب يخفي تارة ثم يخفقُ
وهل زمني بالصالحية عائد يبلغني اقصى المنى ويحققُ

٦ً امين الدولة الاربلي الصوفي (٦٧٠=١٢٧١) نزل مصر وتقرب الى الناصر ابن العزيز وكان من اعيان شعراء عصره ولم نعثر على شيء من اثاره سوى ما اثبتهُ لهُ صاحب فوات الوفيات (٢: ٥٧) وهي قصيدة ضافية طويلة ضمن كل بيتٍ من ابياتها شكلًا من اشكال البديع

٧ً ابو العزّ يوسف ابن النفيس الاربلي المعروف بشيطان الشام(٦٨٨=١٢٨٩) كانت ولادتهُ في اربل وقضى معظم حياتهِ في الشام ثم عاد الى الموصل وفيها توفي. وكان شاعرًا مجيدًا رثى ابا البركات ابن المستوفي بقصيدة ورد منها في وفيات الاعيان ١ : ٤٤٤ (من الوافر) :

أبا البركات لو درَتِ المنايا بانك فردُ عصرك لم تُصِبكا
كفى الاسلامَ رِزءًا فقدُ شخص عليهِ باعين الثقلَين يبكي

علماء الارامية

صليبا بن يوحنا الموصلي من كتبة النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادي وقد اختصر كتاب المجدل عن المتن لمؤلفه ماري بن سليمان ومختصره يؤثَرَ بكثير على مختصر عَمْرو بن متى الطيرهاني . ومنهُ نسختان خطيتان احداهما في مكتبة الفاتيكان وتاريخها (١٦٤٣ يونانية ١٣٣٢) ميلادية والاخرى في متحف بورجيا وقال عنها دوقال انها اليوم في مكتبة الفاتيكان . وطبع هذا الكتاب النفيس الاب جسمندي اليسوعي في رومية سنة ١٨٩٧

وذكر الاب شيخو اليسوعي في كتابهِ المخطوطات العربية (ص١٣٦) ان لصليبا في مكتبة باريس (M^S 207) مجادلة بين ايشوع الراهب ورأس الجالوت رئيس اليهود في امر سيدنا المسيح وكان لما كتبها في مدينة حلب الماغوسة (قبرس) سنة ١٣٣٠ ولهُ ايضاً في مكتبة الفاتيكان (Bibl. O: III, 559-9) تعريب كتاب الاقرار والامانة على معتقد السريان المشارقة لمؤلفه ميخائيل اسقف آمد وميافرقين . وذكر لهُ السيد المطران برصوم في كتابهِ تاريخ دير الزعفران رسالة البرهان والارشاد وحدها في احدى مكاتب بيوت الموصل

٢ً يوحنا الموصلي المتوفى ١٢٧٠ ميلادية وهو احد رهبان دير مار ميخائيل بجوار الموصل وكان هذا شاعرًا ظريفًا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ولهُ اشعار رائقة

في الاخلاق والتقوى وبعضهــا في الالغــاز جُمعت في ديوان سمي الحسن السلوك (ܫܘܦܪ ܕܘܒܪ̈ܐ) وقد طبع هذا الديوان السيد ايليا ملوس في رومية سنة ١٨٦٨ واضاف اليهِ النــاشر اثنتين وعشرين قصيــدة من شعر داود بن بولس من شعراء السريان الارثذوكسيين وثلاث قصائد من نظم عبد يشوع الصوباوي وقصيدتين من نظم امام الشعر الارامي القديس افرام النصيبيني وغير ذلك ممــا يُنسب الى شعراء مجهولين ويا ليت لو ان هذا الديوان طُبع على حدة من غير ان يُضاف شيء اليهِ ليبقى خاصاً بهذا الشاعر البليغ

ولم نقف على تفصيلات اكثر من هذه عن يوحنا الموصلي. افلا يمكن ان يكون هو يوحنا الطريد الذي جدّد الحياة الرهبانية في دير مار ميخائيل ؟ (طالع عنهُ الجزء الاول حاشية ص ٩٣)

٣ جبرائيل الموصلي المتوفى سنة ١٣٠٠ ميلادية كان عالماً فاضلاً وشاعراً مجيداً لكنهُ يعاب على شعرهِ لاستعماله فيه كلمات يونانية. وكان يحسن اللغة اليونانيّة فعكف على مطالعة فلاسفة اليونان حتى نبغ في الفلسفة وكان فيها فريد عصره الّا انهُ غلب عليهِ الشعر فاجاد فيهِ. وقد نشر لهُ القرداحي (في الكنز الثمين ص ١٠٧) قصيدة طويلة تكلم الشاعر فيها عن مواضيع مختلفــة فذكر خلق العــالم وظهور المسيح وتبشير الحواريين ثم قصص الاباء وائمة العلماء الذين اشتهروا في النصرانية

العصر التركي

يبدأ هذا العصر بدخول اهمّ بلاد العراق والجزيرة في حوزة العثمانيين الاتراك اي من سنة ٩٤١=١٥٣٤ ويــدور البحث فيهِ عن العلوم العربية خاصة في مبادئهِ واواسطه حيث لم ينشأ فنّ جديد ولم تتّسع نطق العلوم. واذا سلمنا بوجود طائفــة حسنة من اهلهِ صنفوا وألفوا فهم لم يستجــدوا شيئاً ولم يعملوا اكثر من ان يشتغلوا على مصنفات وآثار الاقــدمين ولم يتوسعوا في علم اكثر مما توسع فيــهِ الاسلاف. فعنايتهم كانت مقتصرة على شرحٍ ام تذييل وربما اكثر من ذلك بشيء قليل

الّا انه لما كانت البلاد العربية قد دخل اكثرها في حكم التعريب وتحت تأثير اللغات الغربية فقد ألجأتهم الحاجة الى ايجاد بحث جديد في اللغة هو بحث في الالفاظ الدخيلة على اللغة ولم يكن هذا الّا بعد استيلاء المغول والاعجام والاتراك. فدرسوا هذه المواضيع ووضعوا لها كتباً خاصة. من ذلك كتاب قصد السبيل بما في اللغة العربية من الدخيل للمحبي الشامي (١١١١=١٦٩٩) على شكل معجم لغوي وصل فيه المؤلف الى حرف الميم ومنهُ نسخة خطية في الخزانة التيمورية

وما سوى هذا فقد اشتغلوا ايضاً في الكتب الدينية والفلسفية والطبيعيّة والسياسية واشتهر في هذه التصانيف كثيرون من مصر وسوريا والشام والمغرب. امّا العراقيون فقد اشتهرت طائفة منهم في تدوين التاريخ وفي الاداب من نظم ونثر. لكن تلك قصائدهم الرقيقة وتلك تصانيفهم لم تكن كافية لتضمن للشرق نجاحاً باهرًا في هذا العصر الذي بدأ فيهِ الغرب يحمل حملاتهِ الشديدة على الطبيعة ليسترقّها ويسخّرها لامره. فانه بينما كان الشرقيّ ثمــلًا ببيت من الشعر المجوني ام الخمري ام الفخري ام الحكمي كان الغربي واقفاً تجاه الطبيعة يكشف اسرارها بصبر وثبـاتٍ عجيبين. ومن تلك الاكتشافات حينئذٍ المجاهر والكهرباء والقوة البخارية الى غير ذلك

غالى شعراء هذا العصر في تنميق العبارة واستعمال كلمات غير مأنوسة واهتموا كثيرًا بأشكال البديع من تورية وجناس دون المعاني البليغة والافكار السامية فعاد الكثيرون منهم الى ذكر الطلول والعيس والقلوص والظبي والدموع والنـار المتقدة طي الجوانح وذلك على اسلوبٍ واحد تقريباً معنًى ومبنًى. وكان الشعر قد اصبح عند اكثرهم صناعة للتكسّب والتعيش فاكثروا استعماله في المديح على طريقة واحـدة في الاستهلال بالغزل وذكر بنت الحان ووصف الحسناء الخيالية وملاحتها والتوغـل في المجون وكان هذا الاسلوب كثير الاستعمال عند شعراء هذا العصر خيالًا لا حقيقةً لان معظمهم لم يكن التغزّل وادمان الخمرة من شيمتهم بل كانوا اهل زهد وطريقة. وقد لاحظتُ ان شعراء الموصل نحوا هذا المنحى ولم يكونوا في شيء من ذلك وانما جروا على طريقة كانت يومئذٍ متبعة في الشعر. فان محمد بن مصطفى الغلامي صاحب الشمامة نظم قصيدة خمرية غزلية وانفذها الى حسن عبد البـاقي بن ابي بكر الشاعر الموصلي واعتذر عن اسلوبهِ فيها فقال: «اني وان شببتُ بالخمرة والمحبوب. . . فمعتقدٌ

بان من أخذ كأس خمر فكانما قبض على جمر لاهب ، او اهوى الى ذوائب معشوق فكانما القى نفسهُ بين الحيات والعقارب، ولكن سلكتُ جادّة سلكها اكثر فضلاء هذا الفنّ فنسأل ربنا ان يقينا سوء الظنّ» اه فلم تكن غزلياتهم وخمرياتهم وغرامياتهم الّا من باب الخيال على مذهب ذاك العصر في الشعر اذ قد جرى فيهِ على هذه القاعدة اغلبية المدّاح في جمعية رواق الشوام بالازهر حيث كان الشعراء يتنافسون بهذا أيّما تنافس

ولكثرة ولع الشاعر في صناعته اخذ يصرف قريحتهُ واوقاتهُ في معاناة التاريخ الشعري على ما فيهِ من وعورة المسلك . والظاهر ان التاريخ الشعري لم يُستعمل الّا فيما بعد القرن العاشر الهجري. فكان الواحد منهم يُقدم على انشاء قصيدة كاملة ويضمّن كل شطر من ابياتها تاريخاً كما فعل النحلاوي بقصيدةٍ مدح بها الشيخ عبد الغني النابلسي سنة ١١٣٦ وعثمان بكتاش الموصلي مدح الوزير علي باشا والي بغداد بقصيدة تقع في تسعةٍ وعشرين بيتاً ضمن كل شطر منها تاريخ سنة ١١٩٠ هجرية وسنذكر شيئاً منها في ترجمتهِ. ورغماً عن صعوبة هذا الفنّ فقد كثر استعمالهُ وشاع عند الشعراء كما شاع ايضاً اللغز الشعري وهو ان يلاغز الشاعر في نظمهِ الى موضوع يذكر صفاتهِ الفارقة ام خواصهُ كلّها على سبيل التجريد العلمي بحيث لا يبقى لطالب حلّهِ الّا ان يهتدي اليهِ بقليل من إعمال الفكر. فاحسن اللغز الشعري ما كان اكثر انطباقاً في صفاتهِ على الموضوع. وقد نظم فيهِ كثيرون من شعراء الموصل من اهل هذا العصر حتى كانوا يتراسلون بالالغاز. ومن اشهرهم يحيى بن فخر الدين المفتي الحسيني وقاسم بن محمّد حسن وقاسم الرامي وسترد الاشارة الى ذلك في تراجمهم ويُعدّ نظمهم فيهِ انموذجاً في الشعر .

اما في تدوين التاريخ فقد اشتغل كثيرون وكتبوا في التواريخ العمومية مثل كتاب الروض الباسم للاسحاقي (١٠٣٢=١٦٢٢) وكتاب نفح الطيب للمقري (١٠٤١=١٦٣١) وكتاب سراج الملوك ومنهاج السلوك ليحيى الجليلي الموصلي (١١٩٨=١٧٨٣) ولكنها كلها مستقاة من كتب الاسلاف. وجمعوا ايضاً ما كتبهُ الاقدمون من التراجم فجعلوها في مجلد واحد مثل كتاب التذكرة للفيومي وقد جمع فيهِ تراجم الشعراء للخفاجي والفارسكوري (في برلين) ومنهم افردوا كتاباً خاصاً في

ترجمة واحد مثل كتاب انسان العيون في سيرة الامين والمأمون ويُعرف ايضاً بالسيرة الحلبية لنور الدين الحلبي وكتاب مطمح الواجد في ترجمة الوالد الماجد وكتاب العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية لاحمد عزت باشا العمري الموصلي. ومنهم كتبوا تاريخ قطر ام مدينة مثل كتاب درّ الحبب في تاريخ اعيان حلب لابن الحنبلي (٩٧١=١٥٦٣) ومنهل الاولياء ومشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدباء لمحمد امين العمري (١٢٠٣=١٧٨٨) وكتب بعضهم في السير والتراجم كل في العصر الذي عاش فيهِ كالمحبي للقرن الحادي عشر والمرادي للقرن الثاني عشر وياسين العمري للقرن الثالث عشر. ومن هذه التواريخ ما سُميت بالاسماء مثل كتاب السيف المهند فيمن اسمه احمد وقرة العينين فيمن اسمهُ الحسن والحسين . وصنف البعض كتبهم على طريقة الحوادث اليومية من ذلك كتاب الحوادث اليومية في تاريخ احد عشر والف ومية لابن كنان الدمشقي(١١٥٣=١٧٤٠).ودونت في هذا العصر الكتب التي تختص بالمؤلفين والتصانيف . من ذلك كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة (١٠٦٨=١٦٥٧) وقد سعى ان يجمع فيهِ الارث الادبي الى حد زمانه

وكتب الكثيرون ايضاً رحلاتهم واكثرهم من اهل مصر وسورية والشام وقليلون من اهل العراق مثل جمال الدين السويدي البغدادي (١١٧٤=١٧٦٠) صاحب النفحة المسكية في الرحلة المكية منهُ نسخة في المتحف البريطاني. ثم الخوري الياس الكلداني الموصلي صاحب الرحلة الى اميركا (١٠٧٩ـ١٠٩٥=١٦٦٨ـ ١٦٨٣) وقد طبعت هذه الرحلة في بيروت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٠٩٦

مدارس الموصل في هذا العصر

ان الانقلابات السياسية الاخيرة في الموصل وتنقّل حكمها من دولة الى اخرى لم يفسح مجالًا للعلم اذ كانت تلك الدولة الفاتحة عبارة عن قبائل تشنُّ الغارات للنهب والسلب ثم ينتقض امرها. فلم يبق اثر لنهضة العلم التي رأيناها في العصر الاتابكي سوى بعض المدارس الصغيرة التي كانت تضمُّ اليها عددًا نزرًا من الطلبة

ولهذا لم نصادف احداً من المبرزين في ذاك العهد او ربما وُجد ولم تدون اخباره
فقد انقضى النصف الثاني من القرن العاشر الهجري والنصف الاول من القرن الحادي عشر والعثمانيون منصرفون عن كل امر الى دفع غارات الاعجام الطامعين فكانت بينهم حروب سجال اهمها واقعة مراد خان الثالث (٩٩٠=١٥٨٢) ثم حرب مراد خان الرابع مع الشاه سام ميرزا عند ابواب بغداد (١٠٤٨=١٦٣٨) وظلت عوامل الشحناء والعداء ثائرة فيما بين الدولتين الى ما بعد القرن الحادي عشر وكانت آخر نتائجها واقعة طهماسب الشهيرة

فهذه الحالة المضطربة كانت من اهم عوامل تأخر المدارس والعلم ومما يؤخذ بنظر الاعتبار ان الاتراك العثمانيين لم يكونوا يهتمون بتهذيب ابناء العرب اذ كانوا يعدونهم يومئذٍ اقلَّ منهم درجةً واحط قدراً ومنزلة فهل تلك شنشنة المسيطرين ؟ فان لمصطفى بن علي الغلامي قصيدة وردت في الشمامة يصف بها تلك الحالة منها قوله :

ما قولكم يا علما أذرنهْ   في زمن لا يشبه الازمنهْ
قد دثر الارض بازباده   واغمر الجدران والمأذنهْ
ترعد من انفاسه ركبتي   ويقشعرّ الجلد منه سنهْ
هذا وذو كركين او ثالث   يقول بو قيش صار جوقدرينهْ

ومنها :

والترك ان تدنو لهم يبعدوا   يصيحوا في غلمانهم «قاوسنه»
«بو كيديدن جرّار حزايتمور   وان تجاسرت يقول « اودسنهْ »
بك اولور ابناى عرب يوزي پيس   الله بلا ويرسون وقد صنصنهْ
وان اعزّوك بالفاظهم   كانت وربّ البيتِ مستهجنهْ

والعلم والفضل غدا كاسدًا فكم غدا للدكّ واللعنهْ
ما ابن سينا عند ذي دولةٍ الّا حمار قام في المتبنهْ
يا ليتنا مُتنا قُبَيل الاذى وقَبل هذا الذل والمسكنهْ

ومع ذلك فقد عُرف في هذا العهد من المدارس المدرسة اليونسية وكان يدرّس فيها مراد بن عثمان العمري ثم المدرسة الجرجسية وكان المدرس فيها محمود بن عبدالله الحنفي وكان يختلف اليها الطلبة الذين لم يشتهر احد منهم ودروسهم لا تتعدى الدروس الفقهية فقط

اما في مبدأ القرن الثاني عشر (النصف الاول من القرن ال ١٨) فنرى الاقبال على العلم اكثر مما في القرن المنصرم واشتهر يومئذٍ في التدريس الشيخ عبدالله الرتبكي المعروف بالمدرس والشيخ يوسف النائب والشيخ جرجس بن درويش وكانوا يدرسون زيادة على علوم الفقه واللغة شيئاً من علم الحساب لا تتعدى المعلومات فيه ما يقتضيه درس الفرائض . واننا نجد عددًا غير يسير من الادباء والعلماء المشتهرين وما زالت بعض آثارهم الباقية تدل على نبوغهم في العلم والادب. وزاد هذه الحركة نشاطاً عهد تولي الجليليين الذي بدا سنة (١١٣٩=١٧٢٦) فانهم اسّسوا المدارس والتف حولهم الشعراء والادباء فشجعوهم بالجوائز والعطايا ويدلنا على ذلك كثرة الشعراء في زمانهم واشعارهم لا يحصيها عدّ باقية الى هذا اليوم

فلما كان النصف الثاني من القرن الثاني عشر (النصف الثاني من القرن ال ١٨) توسع المدرسون في الدروس فكانوا يلقون دروس المنطق والتاريخ والاسطرلاب والزيج والهيئة واشتهر يومئذٍ في التدريس الحاج محمد العبدلي والسيد موسى الحداد والشيخ جرجس الاربلي وملا سليم الواعظ وملا اسماعيل بن ابي جحش وهو شهير جدًا . وسمقت الهمة بالكثيرين الى ان يرحلوا الى البلاد البعيدة كالشام والقسطنطينية للاخذ عن مشاهير الاقطار فاتسع نطاق العلم وكثر عدد الراغبين فيه فنبت في ربوع الخضراء عدد عديد من العلماء والادباء الذين تدل آثارهم وتصانيفهم على طول باعهم ومبلغ علمهم

وكانت اهم كتب التدريس المعوّل عليها يومئذٍ بعض الشروح كشرح الشمسية المطول وشرح الهداية وبعض شروح الدواوين الادبيـة وشروح الفرائض وعلم الحساب في رسالة الحساب للبهائي الى غير ذلك

وفي مبادئ القرن الثالث عشر الهجري (النصف الاول من القرن ال ١٩) كان للعلم في هذه البلاد قدم راسخ بفضل المدرسة التي اسسهـا داود باشا الكرجي في بغداد وكان الطلبة يؤمونها من انحاء العراق فاكمل الكثيرون من فضلاء الموصـل تحصيلهم فيها . وسعى ايضاً بنشر العلم بعض رجال البيوتات الحسيبـة كالسويديين والآلوسيين في بغداد والحسينيّين والعمريين في الموصل فانهم خدموا العلم خـدماً جليلة بتصانيفهم وتدريساتهم التي اتت بفوائد جمة . وازداد العلم نشاطاً في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري والنصف الثاني منهُ بطبع الكتب الادبيـة والتاريخيَّة القديمة كالاغاني وامثال الميـداني واحياء علوم الـدين للغزالي والخطط للمقريزي ونشرها في البلاد العربية

وكان بعد هذا العصر ان الحكومة العثمانية اسّست المدارس الابتدائية والاعدادية الّا ان جميع تلك العلوم العقلية والادبية مهما كانت راقية ومنتشرة لم تضمن سعـادة البلاد اذ كان ينقصها اساس العمران القائم بعلم الاقتصاد وبالصناعات الفنية المتقدمة تدريجاً الى الكمال . فان علم الكلام بانواعـه من منظوم ومنثور معتبراً مع العلوم العقلية والنقليَّة هو بعض سرّ النجاح الذي لا يتم الّا بتوطيد اركان الاقتصـاد في سائر ابوابه من تجارة وصناعة وفلاحة واستثمار الخ

ادباء هذا العصر

يشتمل هذا الفصل على تراجم الاعلام الذين اشتهروا في الموصـل في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري والنصف الاول من القرن الثـاني عشر الهجري والنصف الثاني منهُ ثم النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري والنصف الثاني

منهُ وينتهي بالنصف الاول من القرن الرابع عشر في ترجمة الادباء الذين توفوا في العهد التركي وفيهِ نهاية هذا الفصل

اما علماء وادباء النصف الثاني من القرن العاشر الهجري الذي يبدأ فيهِ عصرنا التركي وبعده النصف الاوَّل من القرن الحادي عشر الهجري فلم نعثر على احد منهم ولم نعلم هل اشتهر في الموصل اديب ام عالم في هذين النصفين ولم تدون ترجمتهُ وآثاره. فاننا تصفحنا خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر وهو المعجم التاريخي المشتمل على نحو ١٣٠٠ ترجمة مع غيره من كتب التراجم والسير فلم نجد الّا ما سيأتي ذكره في النصف الثاني من القرن الحادي عشر

النصف الثاني من القرن ال ١١ الهجري

١ً محمود بن عبدالله الحنفي الوصلي(١٠٨٢=١٦٧١) ولد في الموصل ولم نقف على سنة ولادته ولا نعلم اين تلقى العلوم اذ لم يرد في ترجمته اسماء العلماء الذين اخذ عنهم في الموصل. فكلما ذكره الحبي عنهُ انهُ نشأ في الموصل ورحل في حداثتهِ الى حلب واقام فيها زمناً يأخذ عن النجم الحلفاوي وابراهيم الكردي وابي الوفاء العرضي والجمال البابولي. ولما اجازوه عاد الى الموصل ومكث فيها مدة ثم رحل الى الديار الرومية واستقرت قدمه في القسطنطينيَّة عاصمة العثمانيين وواجه عظماءها وعلماءها وأجيز منهم ووُلّي افتاء الموصل فرجع اليها واشتغل ايضاً باقراء العلوم فتخرج عليهِ جماعة من اهلها. ثم حج سنة ١٠٨١=١٦٧٠ ولما رجع من الحج توفي في حلب ودفن فيها

كان المترجم رئيساً شهيرًا عند الخاص والعام واشتهر خاصة بالعلوم الفقهية حتى كانت المسائل العويصة ترد عليهِ فيجيب عنها جواباً شافياً وقد ذُكر ان لهُ تصانيف في الفقه ولكنها لا تتعدى التعليق والتذييل من ذلك حاشية على (التلويح) ثم حاشية اخرى على انوار التنزيل واسرار التأويل البيضاوي

وكان ايضاً متضلعاً من اللغتين التركية والفارسية وشاعرًا مطبوعاً حسن النظم لكننا لم نجد شيئاً من نظمهِ الا ما جاء في خلاصة الاثر اذ لم نعثر لهُ على ترجمة اخرى. وقد اجاز في ابياته الشيخ مصطفى بن فتح الله فقال على الفور (من الكامل):

إني أجزتُ المصطفى الفتحيْ بما أرويهِ عن أشياخ أهل الموصلِ
ومحققي اهل العراق وجلّقِ والروم والشهباء أكرم منزلِ
وبكل ما ألفته ونظمتهُ ونقاتهُ عن كل عذب المنهلِ
وبما يطول إذا ذكرتُ جميعه بل بعضهُ فكفايتي بالافضلِ
أعني البخاريَّ الصحيح ومسلماً وبقية الستّ الشَّهيرة فانقلِ
عن شيخنا العرضيّ وهو ابو الوفا عن عالم الشهبا الامام الافضلِ
عُمَر ابيهِ عن ابيهِ ذوي التقى عبد لوهاب عن الشيخ الولي
زكَريّنا عن حافظ الدنيا شها ب الدين احمد بن سيدنا علي
العسقلانيْ الحافظ الحبر الذي يُنهى اليهِ كل ذي سند علي
وجميع ما يرويه في فهرسته أطلبهُ فيهِ تجدهُ ثمة وأدعُ لي

وفي هذه الابيات القليلة تظهر شاعرية قائلها بما فيه من متانة اللفظ وجزالتـه وسلاسة التعبير ورصانة الكتابة من غير ان يشوبها التكلف فهو شاعر شيخ ينبـذ الخيال جانباً وينطق بما علق في ذهنه من الحقائق الناصعة فكانك به يلقي على تلميذه ابياته الجارية على شفتيه جري الماء المنسجم . وقد يؤاخذ على استعماله جواز تسكين الياء المتحركة في موضعين الفتحيْ والعسقلانيْ . (منية الاثر ٤ : ٣١٩)

٢ مراد بن عثمان بن عليّ العمري (١٠٩١=١٦٨٠) لم نجد لهُ ترجمة مطولة سوى ما ترجمهُ به محمد امين العمري في كتاب منهل الاولياء (النسخة التي بيدنا ص ١٤١) وقد اقتصر فقال فيهِ : كان مدرساً في الحضرة اليونسية وخطيب جامعها وكانت لـهُ اليد الطولى في علمي المعقول والمنقول وكانت اليهِ الرياسة في الموصـل وهو مرجع الفضلاء وكان عارفاً بعدة لغات عدا العربية وهي التركية والفارسية والكردية ولم يذكر لهُ من الشعر الّا اربعة ابيات فقط

علماء الارامية

١ً اسرائيل الالقوشي (من اهل القرن السابع عشر المسيحي) كان شاعرًا اراميًا مجيدًا وهو من الشعراء الذين اكثروا من استعمال القافية في الشعر الارامي أخذًا عن الشعر العربي

واغلب شعر اسرائيل في المواضيع الدينيَّة وفي الرثاء وله ايضاً بعض الاشعار في الارامية الدارجة المعروفة بالسورث وقد رأينا منها في مكتبة دير السيدة بجوار القوش ويذكر في احدى هذه القصائد انهُ نظمها في سنة ١٩٢٢ يونانيــة اي في نحو ١٦١١ مسيحية وكان حين كتبها قد بلغ السبعين من عمره وفيها ينظر الى مــاضيه ويبكي على السنين الطوال التي مرَّت مرَّ السحاب من غير ان يجرَّ مغنماً لآخرته

واورد القرداحي في الكنز الثمين (١٩و١٠٠) شيئاً من قصائده ولكنــهُ لم يصب في جعله وفاة اسرائيل في بعض شهور سنة ٧٩٣ فخطَّأه دوڤال بهذا وانَّما لم يستطع ان يعين لنا سنة وفاته (الاداب السريانية ص ١٨ حاشية ١)

٢ً آدم العقراوي لم نقف على سنة وفاتهِ ولكن ثبت لدينا انهُ كان رئيساً على دير ربان هرمزد بجانب القوش سنة ١٦١٠=١٠١٩ هجرية وذلك من احدى مخطوطات دير السيدة. وكان اديباً فاضلًا وشاعرًا بليغاً في اللغة الارامية فاجتمع عليهِ كثيرون واخذوا عنهُ وانتفعوا بهِ ولــهُ شعر رائق لطيف منه قصيدته التي يقرظ بهــا ربان هرمزد الفارسي وقد استعمل فيها ست قوافٍ في كل بيت من وزن نرسي وقد أثبت القرداحي هذه القصيدة في الكنز الثمين

وانكر دوڤال على القرداحي تعيين وفاة آدم في بعض شهور سنة ٧٩٠ مسيحية لكنهُ لم يستطع ايضاً تعيين السنة بالضبط. اما تصانيفه فمنها كتاب في العقائد الدينيَّة فُقد الاصل الارامي وكان احد رفيقيه المارونيين اسحق الشدراوي ويوحنا الحصروني قد ترجمهُ الى اللاتينية ومنها نقله الى الارامية شموئيل جميل سنة ١٨٨٤ ورأينا نسختهُ في مكتبة دير السيدة

٣ً القسّ الياس ابن القس حنا الموصلي ـــ لم اعثر على سنة وفاته قيل انهُ كان ينتمي الى بيت عمون وسافر الى اميريكا بين سنة ١٦٦٨ وسنة ١٦٨٣ وكتب رحلتهُ بالعربية وربما هو من اول الراحلين الشرقيين الى القارة الجديدة فدوّن مشاهداته ومرئياته وذكر زيادة على ذلك مختصر تاريخ اكتشاف اميريكا وشيئاً من اخبار شعوبها وحكوماتها

وقد نشر الاب انطون رباط اليسوعي هذه الرحلة الجزيلة الفائدة تباعاً في المشرق في سنتها الثامنة ١٩٠٥ عن نسخة فريدة في مكتبة مطرانية السريان في حلب ثم اضاف عليها شروحاً وفهارس وطبعها على حدة سنة ١٩٠٦

النصف الاول من القرن ال ١٢ الهجري

١ً الشيخ يوسف النائب ـــ لم اقف على سنة وفاته بالضبط ولكن ثبت لدينا انهُ عاهد في آخر حياته محمد الغلامي صاحب الشمامة المتوفي ١١٧٦ هجرية وقد سمى هذا نفسه تلميذاً له اذ كان قد قرأ عليه العلوم وهو ابن العشرين من عمره بينما ان الشيخ المذكور لم يبدأ بالقاء الدروس الّا بعد اعتزاله منصب القضاء في الموصل وكان حينئذٍ قد طعن في السنّ وهاك نص عبارة المترجم «استاذي (الشيخ يوسف النائب) الذي هتفت بي فوائده بالاسراع، ونادتني موائد فضله أن أقبل فما بقي من العلم الّا آكله والوداع . . . عالم درسَتْ بعده معالم الدروس، وطمست آثار الفضل فما امتدت كف لانقاذها من ذاك الطموس . . . تولى نيابة القضاء مدة مديدة، ومكث ينسخ في صدور السجلات حججاً عديدة ، الى ان قاربت ان تطوي الايام صحيفة اجله طي السجلّ للكتاب، فترك مجلس الحكم ورضي من الغنيمة بالاياب، . فلازم كِسْرَ بيتهِ واكبّ على مطالعة العلم ومدارسته فلم تترك بابه الطلبة وزاحموه على ذلك النفيس ومنافسته وكان طلبي عليه في تلك الايام وغصن عمري وريق . وقدّ شبابي رشيق أعدّ من الطلبة بعثرات وانا في ثاني العشرات» اه ومما مرّ يستفاد انه تعاطى التدريس في شيخوخته بعد اعتزاله من القضاء وكان احد تلاميذه صاحب الشمامة يومئذٍ ابن العشرين من عمره فمن المتحمل القريب انه توفي في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة استدلالًا من وفاة تلميذه الغلامي في سنة ١١٧٦

وكان المترجَم كردي الاصل درس على اشياخه الاكراد ثم على ياسين افندي المفتي عالم ذاك العصر فاستخلصه هذا لنفسه لما شام في مطلعه ذكاء واستعدادًا فزوجه كريمته ثم ولّاهُ نيابة القضاء وكانت اليه المدرسة الجرجيسية . واعتزل القضاء في آخر حياته على اثر فتنة ثارت في الموصل فاقبل عليهِ طلبة العلم للدرس عليهِ كما ذكرناه سابقاً وكان له وقوف تام على دقائق الفقه والاداب والفرائض والحساب فانتفع بهِ خلق كثير .

وكان شاعرًا رقيقاً على ما يظهر من نظمه الذي رواهُ صاحب الشمامة ومنهُ قولهُ في الاستغاثة والمناجاة (من البسيط) :

يا ربّ يا رافع السبع الطباق بلا علاقة وبلا عمد ولا طنُبِ

ادعوباسمائك الحسنى واهتف بالا م فلاك والعرش والكرسي والحجبِ

وبالسماء وما تحويهِ من ملَك وما تنزَّل من وحي ومن كتبِ

بالنيرَين وبالآيات اجمعها وبالنجوم وما ترميهِ من شهبِ

بالرعد بالبرق بالامطار اذ هطلت بالريح من حيث ما هبَّت مع السحبِ

بالمرسلين وما دانوا وما شرعوا بما اتى ومضى من عابد ونبي

بالاولياء وبالابدال والنقبا بكل قطبٍ وغوثٍ عاليَ الرتبِ

بالعارفين وما قد أُلهموا حكماً بما افادوهُ من علمٍ ومن ادبِ

بما على الارض من سهلٍ ومن جبل مشرَّف طيّبِ الارجاء والشُعَبِ

فرّج الاهي كربي عاجلًا فلقد ضاق الخناق وبلّغني بهم اربي

الملا جرجيس بن درويش (١١٤٠=١٧٢٧) ترجمهُ صاحب منهل الاولياء وصاحب شمامة ولم يذكرا شيئاً عن حياتهِ سوىما وصفاه به من صناعة الادب فاطرياه على رقة شعره وشغفه بالغزل واجادتهِ في التاريخ الشعري فقد كانت لهُ اليد الطولى في نظم

التاريخ بسرعةٍ مع حسن السبك وجودة المعنى · واثنى المرادي ايضاً في سلك الدرر (٢ : ٧) على فصاحتهِ وبلاغتهِ ولطيف محاضرته ومناظرته وذكر عن مجونـهِ في الشعر وسرعة خاطرهِ في انشاء التاريخ حتى قال : وربما طُلب منهُ التاريخ باسم معيَّن فيقول الشرط فلا يخطئ العدد · وقد فضلهُ صاحب الشمامة على اغلب معاصريه الشعراء وذكر لهُ ديوان شعر لم نقف لهُ على اثر

وسافر الى حلب واجتمع بادبائها وتطارح مع فضلائها ثم عاد الى الموصل وتوفي في السنة التي ذكرناها وقال المرادي بل توفي في سنة ١١٤١

وفي شعره العاتبات المرقصة والمجون والخمريات والمديح والاخوانيات الى غير ذلك فمن اخوانياته قولهُ (من الكامل) :

تاقَ الغريبُ لعودةٍ وايابِ وصبا لجمع الشمل بالاحبابِ

وغدا يحنُّ الى اللقاء تشوقاً لقديم أنس محاضر الاصحابِ

اخواني اني لا أضيـع عهودهم ويعزُّ عنهم ان تشطَّ ركابي

من كلّ مطبوع الخصال مهذّب اهل الوفاء مُعارك الادابِ

اني امروءٌ والله ما ذُكر الحمى الا وأسكرني بغير شرابِ

ومن خمرياته قولهُ وقد مزج فيها الوصفيات (من الخفيف) :

خلياني من ذكر زيد وعمرو واسقياني صرفاً بكـاسات خمرِ

وصلاتي كؤوسها من غَبوقي بصَبوحي اذا تشعشع فـجري

وأقيما لـدى المعرّض عني عند من حرّم المدامة عذري

لائمي في هوى عتيقـة دنٍّ دع ملامي فلستَ حامل وزري

لا ولا عـاطيـاً حساب ذنوبي وآثامي ولا ضجيعي بقبري

فاترك العذل والملام ودعني من زخاريف ليس بالسمع تعري

لستُ صابٍ لما اشرتَ واذني عن سماع الملام صمَّت بوقرِ

ومنها :

كم ليال قطعتها بهناء وسرورٍ تُعَدُّ بالف شهرِ

وبعد دفع ملامة وردّ مذمّة تخلص الشاعر الى وصف محاسن الطبيعة التي تُهيب بهِ الى معاقرة بنت الحان فقال :

واوان ربيعنا في اعتدال وعيون السحاب بالدمع تذري
وكأن الاوراق في كل صبحٍ قطعٌ رُصّعت بلؤلؤ قطرِ
في ربى روضةٍ كأن ثراها نُقشَت في حلى لجينٍ وتبرِ
بين آسٍ ونرجس وورود وأفاح وياسمين ونسري
فتراها مثل العرائس تجلى بثياب خضرٍ وحمرٍ وصفرِ
كلّما هبت الصبا لك اهدت من شذا روضها روائح نشرِ
وغصون الاشجار في اعتناق مُتقن الظل والجداولُ تجري
صدّحت فوقها بلابل دوحٍ بلغاتٍ لها وغرّد قمري
فرتعنا هناك حتى اذا ما اقبل الليل مثل امواج بحرِ
واستنارت نجومهُ واسترنا برداء الظلام اجمل سترِ
جُليت بيننا عروسة كرم فاستَشَاطت وقالت العقلُ مهري
عتقت في انائها حيث قالت انا من عصر آدم كان عصري
فخلعنا العقول فيها وقانا ليسَ تغلو بمهرِ عذراء بكرِ

ووفت في زجاجة فظننّاً ان في جوفها تلألؤ جمرِ
شعشعت في رؤوسها حين صُفّت كمصابيحٍ او كواكبِ زُهْرِ

ومنها :

يا لها من لهو ليالٍ تقضّت فتراني لمّا تمرّ بفكري
اسكب الدّمع من جفوني نجيعاً حيث اني ولعتها منذ صغري
فعلى ما قُطعتُ من طيب عيش وعلى ما بقيتُ ابكيك عمري

عند هذا الحد من ذكر الماضي يقف الشاعر وهو يسكب الدمع على زمن الصبا متشوقاً الى بنت الحان فهل كان حقيقة مدمناً على شربها ام انهُ جرى في ذلك مجرى الشعراء في الخيال والمجون ؟ وقد لا يبعد انهُ كان مدمناً عليها استناداً الى نكتة له جاءت في منهل الاولياء وهو انهُ صلى يوماً بعلي افندي العمري المفتي وبجماعته وبعد الصلوة قيل للمفتي : ان الامام سكران فقال للجماعة . اعيدوا صلاتكم فاجاب المترجم فوراً : اية صلاة صليتها بكم منذ اربعين سنة وانا غير سكران ؟

وبعد ما استعاد ذكر ايام الشباب النضير اخذ ينشد نادباً الماضين الى عالم الابدية من اصحابه الذين تركوهُ بين قوم من اهل المكر والخداع فيرفع شكواه الى الاجيال قائلاً :

تباً لدهرٍ اذ اتى بزمانٍ ذل فيهِ العزيز بل بئسَ عصري
زمن يرفع النواقص قدرًا وباهل الذكاء والعرق يزري
كلّما قدّر الاله علينا فعلى رغمنا المقدّر يجري
مرّ اهل الوفاء واستودعوني بين قوم ذوي خداعٍ ومكرِ
ان فعلت الجميل لاقيتُ شرّاً او اردتُ الوفا جُزيت بغدرِ

ولهُ في الحكميات ابيات بليغة منها (من الطويل) :

يقولون ان الـدهر يرفع ناقصاً ويخفض فيهِ وافر العقل اكملُ

فقلت نعم للـدّهر ميزان اهلـه بهِ النقص يعلو والكوامل تسفلُ

ومن نكتهِ قولهُ يؤرخ مولودًا :

أرّختُ ميلاد طفل هزليـة سوف تروى

فإقرأ واضحك وأرّخ قد خلّف الكلب جروا

وله في الترسل قدم راسخة ولكنه على اسلوب عصره في الاسهاب والاكثار من التشبيهات من ذلك ما كتبه يهني بعض الاعيان برجوعه الى منصبه الذي كان قد عزل منه :

واهتزت القلوب وقرت العيون ، ورجع فلك السعد الى حركته بعد ان كان قد جنح الى السكون، واعتدل قوس معدل نصف النهار، وظهر مركز القطب الثابت لما افل السيار، وبزغت شمس الفضل من شرف بروجها، واينعت دوحة العلم اذ غرست في مروجها، ورجعت الى مصادرها مشتقات الافعال، والحقت بالسالم الصحيح بعد تجرد منيفة بنائها من الاعلال، فهنأك الله بما اعطاك وبارك لك فيما خولك بهِ واولاك، ورفع بالابتداء تمييز نصبك باضافة الخفض لمن عاداك ... ولعمري انهُ (المنصب) منكم الجزء الذي لا يتجزأ، في الجوهر الفرد الذي اورث من حاول انقسامه مللاً وعجزاً، اذ تلك قضية كانت موضوعة في الصغرى تقبولها التغيير والانتقال ، محمولة في الكبرى للزوم عموم سلبها الى خصوص نتيجة الكمال ....

فترى الفرق ظاهراً بين نظمه وترسله في المعنى والمبنى ففي شعرهِ وصف الخمرة واجاد في وصفها وفي ابتكار المعنى اذ سماها عروسة كم تأبى ان تزف الا بصداقِ هو عقول شاربيها وقد اجاد ايضاً باستعماله في نظمهِ انواع البيان واشكال البديع واجمله الجناس التام في [illegible] آدم كان عصري ، فحماسته الشعرية الوضوح والتنبيه والسهولة [illegible] السجع فلا يخلو من الوحشية والاسهاب الممل

في التشبيهات حتى اصبح مرامه غامضاً وكلامهُ جافًّا يابساً وكأنهُ اراد ان يجعل صحيفتهُ التقريظية موسوعة من المنطق وعلم اللغة وعلم الفلك فجعل رجوع ممدوحه الى منصبه كعودة الفلك الى حركته الطبيعية بعد سكونه وهذه حالة يستحيل وقوعها . وكنّى برفع ونصب وخفض عن دعائه لهُ بالنصر وقهر الاعداء وغالى حتى خرج عن باب الجد الى الغلو المردود اذ جعل المنصب جزءاً من جوهره فلا يمكن قطعه منه . ثم نسج من الفاظٍ منطقية جملًا بعيدة المرمى كانها احاجٍ . ولهُ في الشمامة (النسخة التي بيدنا ص ١٦٧) وفي منهل الاولياء (ص ١٨٧) غير ذلك من نظم ونثر

عبد الباقي بن مراد العمري (١١٠٩=١٦٩٧) وهو اخو عليّ ابي الفضائل السابق الترجمة لم نقف على زمن ولده اما سنة وفاته فهي كما ذكرنا على ما ظن صاحب منهل الاولياء

كان عبد الباقي اديباً فاضلًا وشاعرًا مجيدًا جمع بين جودة المعنى وحسن السبك . قرأ العلوم على شيوخ الموصل ودرّس وحدّث ولهُ سفرات الى القسطنطينيّة اجتمع بعلمائها واخذ عنهم وتخرج عليهِ في الديار الرومية اناس كثيرون وتولى في الموصل تدريس المدرسة اليونسية وولي ايضاً اقضية عديدة في اماكن مختلفة

وجاء عنهُ في منهل الاولياء انهُ رحل الى القسطنطينية وحين نزوله الى البرّ في اسكدار في المرفأ صادفه السلطان احمد خان الثالث وهو متنكر بزي درويش فلما رآهُ تفرس فيهِ النجابة فخاطبه بقوله :

فيما اقتحامك لجَّ البحر تركبه وانت يكفيك منه مصّة الوشلِ

فاجابهُ عبد الباقي على الفور من قول الطغرائي :

اريد بسطة كفٍّ استعين بها على قضاء حقوق في الملا قِبَلي

فاستحسن السلطان منهُ ذلك وقضى لهُ حاجته . وجاء في التراجم الفاروقية ان هذهِ الحادثة جرت لاخيهِ علي ابي الفضائل وهو الاصح فان السلطان احمد خان الثالث جلس على عرش السلطنة العثمانية سنة (١١١٥ــ١١٤٣) اي بعد وفاة المذكور عبد الباقي بنحو ست سنوات

ولعبد الباقي نظم نفيس لم يطبع شيء منه. ويكثر في شعره الغزل والمجون واهمّ قصائده في المديح وفي العتاب وفيها ايضاً المراسلات الشعرية الرقيقة ويتّسم شعره بالمتانة والسهولة مع حسن التشبيه وربما مزج في القصيدة الواحدة المديحية المعاني الخمرية والغزلية من ذلك قصيدتهُ التي انشدها في مديح قاضي قضاة القسطنطينيّة وقد اغرق في التغزل في مطلعها ثم قال (من المنسرح):

طاب لنا الوقت في الربيع على مطارفٍ حاكها ندى السحبِ

راحٌ تسلّي الهموم قد عُصرت من عهد اخنوخَ سالفَ الحقبِ

لو نطقت اخبرت بما فعلت من قِدَم العصر في بني الادبِ

كأنها في الكؤوس فكرُ فتًى متّقد الذهن زائد اللهبِ

ومنها:

وغنِّ لي يا همومُ فافترقي ويا خطوب الزمان فاضطربي

وادعُ لقاضي القضاة تاج ذوي م العلم وعز الزمان والشهبِ

وتقع هذه القصيدة العصماء في ٣٣ بيتاً ولولا كثرة الاحماض فيها لاوردناها كلها لرقتها ورشاقتها وبلاغة معانيها المبتكرة. او لم يبدع في تشبيه الخمرة الصافية في كأسها بفكر فتى يتقد ذكاء ومضاء؟

وابدع ايضاً في باب العتاب وشعرهُ فيهِ بليغ رقيق فهو يشفُّ عما في نفسهِ من ألم حاصل من الانفعالات. واحسن الشعر ما كُتب بعد انفعال نفسي ففيهِ من العذوبة والرقة ما لا يوجد في شعر تكلّفه قائله كابراز عواطف الحب لغير محبوب ونسج عبارات المديح لغير ممدوح تلك جناية على الشعر وفيها ذهاب رونقه وزوال سلامته واستخدامه لغير ما وضع له فان احسن الشعر ما كان وليد الشعور. قال واجاد في قوله مستقبحاً نقض الوداد واصفاً اهل من نكث العهود (من الخفيف):

أبمرّ الغدا وكرّ المساء عرف الخلّ كيف رفض الوفاء

لست من هؤلاء بالصدّ قوماً واثقاً لا ولست من هؤلاء

فعلى مَ اتخذتَ جهدكَ في نقـــض ودادٍ ونكث عهد الاخاء

ولمَ اخترتَ ما يشتّت شملاً كان مستجمعاً على الآلاء

ويح قوم صاغوا احاديث سوء قد عُزلن من حيّز الاصغاء

ووشوا فارتضوا النميمةَ فخراً ربّ فخرٍ يكون شرّ الجزاء

أخليلي فيمَ استماعــكَ لهوا بل وفيمَ ارتضعتَ ثدي الثواء

وبما كان ذا التجافي وقُل لي لِمْ نبذت الوداد نبذ العراء

ازمان مضى ونحن رضيعا لبن الود مثل دهر العفــاء

...

فئة الشعر بين أسرٍ وسجنٍ في قيود الحجى وظلم الذكاء

فالى الله أشتكي جور دَهرٍ علّمتني صروفهُ بالقضــاء

أنا في معشرٍ تعاطوا كؤوس الـــجهل فاسترفعوا على العلماء

جهلوا جهلهم فظنّوه علماً ورقوا رتبةً على الجوزاء

ذهبَ العلم مثل ما ذهبَ الدهــرُ ذويه وغاب بعد الضياء

...

هــذه نفثة اليراع نحتها بنت فكرٍ اتت على استحياء

وله قصيدة يمدح بها قاضي القضاة في القسطنطينية وهذا مطلعها (من الكامل):

يا قلبُ ما لك والهوى دع حبهنّ وذكرهنّهْ

لو ان سَحبــاناً وعى الفاظهُ لعلّتــه أنّهْ

او ان قيساً عــاين الـــتقرير مــا آوته فطنَهْ

وكذا جميلٌ لو رآهُ لقال دع وحديث بثنَهْ
وكُثَيِّر ومطاله في دين عزّةَ ما عهدنَهْ

وهي طويلة تقع في ٣٥ بيتاً . وله قصيدة اخرى ضافية في مديح قاضي عسكر الروم وهذا مطلعها (من الخفيف) :

كيف حال امرئٍ يبان شجيّا ساهر الطَّرْف لا يزال بكيّا
مولع القلب ليس ينفكُّ يملي صُحُف البين بكرةً وعشيّا
وتردّى ردا السقام واضحى شوقه في طوى الضلوع وريّا

وتقع هذه القصيدة في ٣٤ بيتاً وله ايضاً مراسلات شعرية مع الشيخ مصطفى الغلامي ومع غيره من الادباء وقد ورد بعضها في الشامة وهذه منها (من الخفيف) .

ايها الكامل الاديب ومن ليسَ لهُ في القريض خلٌّ يوازي
ما انا من يُسَفسط القول جهلًا بالمعاني ولا انا منك هازي
لا ولا منشد القوافي ابتغاءً للمعالي او طالباً للبرازِ
ليس كل المقال مثلك درًّا وبليغاً وكل ما طار بازي

ومن مراسلاته ايضاً قوله :

يا اخا ودي ومن في فنّنا انمى وازكى
أرسِل النظم سريعاً مثل هاتيك وتلكا
فوحقِّ البيت والركنِ ومن اعطى وابكى
انه ابن نهادي ليس في الغابر صكا
فهما كالعسجد المسبوك فوق العاج سبكا

وله غير ذلك من قصائد وابيات يكثر في اغلبها الغزل والمجون والدعابة فلا يعاب فيها الّا على المجنة في اللفظ ونقص الرزانة ومخالفة الوزن في بعض الابيات وربما ذلك من خطأ النساخ. وجاء في منهل الاولياء ان له نثرًا متوسطاً اقلَّ رقة من شعره لكننا لم نعثر على شيء منه

مراد بن علي ابي الفضائل العمري (١١٢٩ = ١٧١٦) لم نجد شيئاً كثيرًا من اخبارهِ سوى ما جاء عنه في الشمامة باسلوبها الانشائي الخيالي المملو من الاستعارة والتشابيه المتماثلة فاشارت الى عبقريته في الشعر واجادته في المنثور . توفي وهو في ريعان الشباب كنطوق عبارة المسجّع: «هذا الفاضل لاقى الايام وهي عجوز شمطاء وهو شابٌ، قد التثم بسواد عارضيه لما تنقبت له بخطوبها باحذر نقاب، فلم يرض ان تضحك عليهِ كما ضحكت على من في خدمتها شاب، فاغمد سيف تلك الطلعة في صندوق الرمس باحفظ قراب» فانهُ وقعت وحشة بينهُ وبين والده فاضطرّ الى الرحيل الى بلاد الروم حيث كان الطاعون فاشئاً عائثاً فاصيب بهِ ومات

اما شعره فجيد يسير بين الضبط والرقة والعذوبة ولكننا لسوء الحظ لم نجد لهُ الّا قصيدة واحدة نذكر منها ما يلي (من الكامل):

في روضة عبث النسيم بطيبها فتفتحت عن نورها الاكمامُ
صدحت بلابلها على اغصانها فنمت بطيب سماعها الاجسامُ
في ساعةٍ سمح الزمان بصفوها وتفضلت بصفائها الايامُ

ومنها:

والكأس في يده تدار وبيننا عَتْب بهِ لصدا القلوب رِهامُ
من خمرةٍ مثل الشموس وكأسُها بدرٌ عليهِ من الحُباب غمامُ
ولمزجها تبدُو نجوم سمائها من فوقها أَنّى يكون ظلامُ
حلّت لنا وحلَت فليس لشربها إثمٌ ولا عنها يُقال حرامُ

لقد تداول الشعراء تشبيه الخمر بالشمس والكأس بالبدر والحباب بالنجوم وقد وردت هذه التشابيه في البيتين الخامس والسادس ولكن لم يتطرق احدهم الى تشبيه الحباب بالغمام مع ما فيهِ من حسن المقابلة البديعة حيث يتم تشبيه الكأس بالبدر والحباب بالغمام وهو معنى لم يسبقه اليهِ غيره. وحسبنا بهذه الابيات القليلة دليلاً ساطعاً على نبوغ قائلها فيُعدّ بها من اعلام الشعراء في عصرهِ

الشيخ مصطفى بن علي الغلامي النجمي (١١٣٠=١٧١٧) كذا وردت في منهل الاولياء سنة وفاته. وسمي بالنجمي نسبة الى قبيلة بني نجمة من زبيد وكان عالماً في فقه الشافعية وحواشيه واصوله واماماً مبرزًا بالاداب العربية وبباقي العلوم العقلية فانه قرأ على شيوخ الموصل وسافر الى القسطنطينيَّة طلباً للعلم كما ذكر عنه ابنه في الشمامة حيث قال: «لفظته بلاد العرب الى الروم فتلقتهُ اكابر علماء تلك البلاد فابدع بينهم واعرب وكان يومئذٍ محطّ رحال الفضائل في القسطنطينيّة ابو بكر رئيس كتّابها... وقد امتدحه الغلامي بارجوزةٍ مطلعها:

بُشراي اني امدح الرئيسا مدحاً حوى الترصيع والتجنيسا

فانزله الرئيس في داره واحلّه في محل انسه وما زال يتعاطى معه كؤوس العلوم العقلية والنقلية مدة اقامته في القسطنطينيَّة حتى ازعجه الى الاياب حبّ الوطن... فشدّ للرحيل عزم المطيَّة.. ولم يزل في الحدباء نديماً كريماً لاعيانها وجليساً انيساً لوزرائها وحكامها...»

ثم انهُ سافر ثانية الى القسطنطينية واخذ معه ديوانهُ الحافل بالقصائد الرشيقة والابيات الرقيقة وهناك وافته المنية فتلف الديوان مع ما تلف لهُ من المتروكات ولهذا لم يبقَ من شعرهِ الّا النزر الذي ورد في الشمامة (ص ٧٧) مع ابيات زهيدة جاءت في منهل الاولياء (ص ١٦١). وشعرهُ الباقي عبارة عن قصيدة هزلية هجائية هجا بها الامراء الاتراك وقد ذكرنا شيئاً منها فيما مرّ من الكلام وقصيدتين رائية فغائية في مدح شيخ الاسلام فيض الله وما عداهما فله ايضاً مراسلات ومكاتبات شعرية مع الشاعر عبد الباقي العمري وفيها تجد دليلاً كافياً على ظرفه وادبه ونوادرهِ

وهذا شيء من قصيدته الرائية وهي تقع في ٤٠ بيتاً قال (من الطويل):

الا أيهذا العيس مهلًا لك الاجر ويا حادياً رفقاً فيؤلمها الزجر
اذا ما أحسَّت ان للدار حثها ترامت فلا صدّ القتاد ولا الوعر

ثم يعمد الى التظلم من زمان جفا عليهِ في كساد بضاعة الادب فظل القلب يهفو بهِ الى آمال بعيدة المنال. ثم يتخلص الى المديح برشاقة وقد ابدع فيما اودع شكواهُ من بلاغة ورقة وعذوبة فقال:

زمان نأى بي عن دياري .وخلّتي فأنزلني بعدًا فأنزل بي الضرُّ
غريبُ ديار فاقد العز فانطوى على محنٍ قد جاد فيها لهُ القفرُ
تجافت جنوبي عن مضاجع غربتي فضاقت بيَ الآمال والمال والصدرُ
ابيت وحيدًا ليس الّا مؤانسي اماني يُدنيها فيبعدها الفكرُ
فلاالفضل يُفضي بي الى اوسع الغنى ولا المجد يجدي لاولا ينفع الشعرُ
كأنّ اعترى للنحو محوٌ فلا يُرى بايامنا زيدٌ يصول ولا عمرو
ولا للمعاني من مُعانٍ وقد غدت رسوماً غدت للقصر اخلقّها الحصرُ
كأنّ لساناً للقريض وقد غدا قريضاً فلا يعروه خبنٌ ولا بترُ
كأنْ قضايا الاوّلين توهُّمٌ ولم يجرِ في شيءٍ دليلٌ ولا فكرُ
كأنّ مقولات الحكيم حكايةٌ على إثمهِ قد جاء منها لهُ أزرُ
كأنْ لم يكن للنجم مرصادُ اوّلٍ ولا الفلك الاقصى لهُ السير والقسرُ
كأنْ لم تُحِطْ اشكالهم بخطوطهم ولا كعبُ مضروبٍ ولا الجبر والجذرْ
كأنّ تقاويم الدراري تدارست فلا رُبع قوسٍ يُعتنى لا ولا الوترُ
كأنّ بهذا الدهر لم يأتِ ماجدٌ ولا حاتمٌ قد كان كلّا ولا صخرُ

كأن لم يكن في الناس مجد تؤمّه … بنوه ولا مدح يحلّ ولا فخرُ
فما الفضل الّا ملبس كان نسجه … دِمَقساً يزين العين اسجافُهُ حمرُ
ولا العلم الّا ان تكون مجملا … تحيط بك الخدام بين الورى عشرُ
فيا دهرُ ما كبرى الاساءة هذه … ولاما يرى خطبٌ احاط بهِ العصرُ
ألا انما الكبرى اذا لم يكن لنا … اخو نصرةٍ يُلقى بهِ الفتحُ والنصرُ

وهنا يجد حسن التخلص الى المديح فيقول :

وكيف وفيضُ الله قد جاء للورى … مغيثاً فيا بشرى ويا حبّذا الفخرُ

اما قصيدتهُ الثانية فتتع في نحو ١٥ بيتاً وهذا مطلعها (من الطويل) :

رويدًا رفاقي فالمسير تكلّف … فذي ارض قسطنطين بالفضل تُعرفُ

ونكتفي بما ذكرنا دليلًا على طول باع المترجم في الادب

علي المفتي ابو الفضائل بن مراد العمري (١١٤٧=١٧٣٤) كانت ولادتهُ في الموصل سنة (١٠٦٠=١٦٥٠) وصارت اليهِ الرياسة فيها وولي افتاءها وتدريس المدرسة اليونسية ومكث كذلك مدة طويلة فاقبلت عليهِ الدنيا وكثرت ثروته واقطاعه وكان خيّرًا كثير الضيافة قيل انهُ اضاف سبعة من الامراء بجنودهم . وولي ايضاً افتاء بغداد مدة سنتين ونيف ورحل مرارًا الى القسطنطينيّة فاحرز شهرة عظيمة بسعة علومه وبراعة ادبه فاطرى الادباء مجلسهُ الغاصّ بالعلماء حتى قالوا : ان من كان يحضر مجلسهُ كان يستغني عن القراءة والدرس . وقال صاحب الشمامة : « لعمري ما تعلمنا طرفاً من الادب الّا من اقرانه، ولا فهمنا اشارات مُلَحه الّا من جهابذة زمانهِ، وردت الى زلال فواضله اهل الفضل . . . فقضى اوقاتهُ بمباحثة المسائل ، واجرى نهر علمه من غير نهر للسائل . . »

وذكر لهُ من المصنفات شرح الفقه الاكبر للامام ابي حنيفة وشرح كتاب الآثار لمحمد ابن الحسن ونيل ثلاث ذيولًا وتعليقات على كل فنّ . اما شعره فلم اعثر

منهُ الّا على قصيدتين في الشهادة احداهما شينية غزلية تقع في ٢١ بيتاً والثانية سينية مديحية تقع في ٢٩ بيتاً. فمن الشينية قولهُ (من الكامل):

اخذ الزمان عليَّ فيهِ لشقوتي عهد المحبّة مذ نشأتُ ومذ نشا
فكأنما الدنيا جلتهُ لاهلها وسقتهُ من خمر الملاحة فانتشا

واستهل سينيته بالغزل حتى انتهى بهِ الى الوصف وذكر الازهار فقال (من الكامل):

لم أنسَ اذ زارت بروضٍ دوحها كُسيت بوقع الطل حلّة سندسِ
فبدت بها الاشجار شبه عرائس تحكي ببهجتها الجواري الكُنَّسِ
رقصت بلابلها على اغصانها طرباً لبهجةِ وردها المتورّسِ
فالياسَمين معانق قضبانها قد قلّدتهُ حمائلا من حِندسِ
اما الشقيق فشُقّقت اطواقها والخال في فيهِ كمسكٍ انفسِ
والاقحوانُ الثغرُ منهُ باسمٌ فلذاك قد غضّت عيون النرجسِ
يختال في قصب الزبرجد مادحاً والرأس منهُ مائلٌ بتنكسِ
والوُرْق تشدو والغصون رواقصٌ والسُّحبُ تبدي القطر عند تنفسِ
فاشرب معتّقة الدِّنان شمولة تذَر الهموم صحيفة المتلمّسِ

...

هذا هو العيش الهنيُّ فَفُزْ بهِ والجأ بخطبك للمحلّ الاقدسِ
مولاي فيضَ الله انتَ مؤمَّلي من جودك الطامي بكاسي أحتسي

تأثر فيها بشعراء عصره المدّاح وكنى بحسن الوجه وبجمال القد عن الجمال الادبي الاخلاقي ثم انتقل والطريق وعرة الى الروضة الغنّاء فوصف ما شاهده فيها من اشجار

ثامرة وورودٍ عاطرة ومرماه في هذا الوصف الخيالي تقرير محاسن ممدوحهِ ثم قال بيتهُ الخمري البليغ :

فـاشرب معتّقة الدنان شمولة   تذَر الهموم صحيفة المتلمّسِ

وقد خرج فيهِ عن مضرب المثل من حكاية المتلمّس مع النعمان بن المنــذر الى التلميح بان الخمرة تمزّق الهموم شذَر مذر والاصل في هذا المثل ان يقال عن الساعي الى حتفهِ بظلفه . وهنا اشار الشاعر الى ان محاسن ممدوحهِ تفعل فعل الخمرة في تمزيق الهموم كما مُزّقت صحيفة المتلمّس . ولم اجد لهُ ما عدا هاتين القصيــدتين اثرًا آخر . وأخباره في منهل الاولياء ١٤٢ والشمامة ٢٨ وسلك الدرر(٣: ٢٣١)

عثمان الخطيب ابن الشيخ يوسف . ذكر المرادي انهُ توفي سنة ١١٤٤=١٧٣١ ثم خالف قولهُ بقولهِ انهُ حجّ مع الشيخ عبدالله المدرس سنة(١١٤٧=١٧٣٤)والاصح انهُ توفي في نهاية عقد الاربعين بعد الثة

كان والده مشتهرًا بالصلاح والورع وذا طريقةٍ ومريــدين فنشأ عثمان على مـا شاهدهُ في ابيهِ من التقوى وقد ترجمهُ الكثيرون ممن عاصروهُ او عاشوا بعد عصرهِ بزمن قصيرٍ فاثنوا على زهده وفضلـهِ بانشائهم المسجع المحشى بابواب البيـان بحيث تتشابه المعاني وتتدانى التعابير فلا يستطيع المدقق ان يستفيد من المترجمين العديدين اكثر مما يستفيده من المترجم الواحد

قال فيهِ صاحب الروض: «فارس ميدان رهان الاذهـان ، العابث بانواع المعاني والبيان،نتيجة الاعصار،وشهاب جميع الامصار ، سراج الزوايا ، ونفائس الخبايا،الزند القادح،والنسيم الطيب البارح، . . .»وجاء عنه في الشمامة«زهرة حديقة الزمان،ونادرة منحة الاحسان، . . . كبدر بزغ في فلك الاطلس رقيق حواشي الطبع،وحيق في ملح النظم والسجع . . .»

كان ذا طريقة نقشندية ولهُ حرمة وهيبة عند الخاص والعام وكان عالمًا فاضــلًا واديباً بليغاً واثارهُ العديدة وقصائده الرقيقة تدل على طول باعه في العلم والادب . ذكر المرادي انهُ في حجهِ جمع ديوانه وكتبه . وقد ورد ايضاً ذكر ديوانه في الشمامة

ولم نعثر لهُ الّا على قصائده في سلك الدرر (٣: ١٧٠) وفي الشامة (ص ١٠٧) وفي العقود الجوهرية (ص ٣٥)

وتجد في شعره المراثي والمديح لآل البيت والتقويات وفيهِ المربعات والمخمسات ويتسم شعره بالبساطة وسلاسة التعبير مع الضبط والانسجام وتتجلى غالباً ميولهُ في شعرهِ انهُ كان متوغلاً في التصوف شديد الحب كثير التهجد فتبدو عباراته خالية من التكلف والتصنع. فمن مدائحه الرقيقة قولهُ في زكريا (من الخفيف):

سر بنا صاح راشدًا مهدياً وتهيّا وناد بالركب هيّا

ثقْ بوعد الاله فهو كريم انهُ كان وعدهُ مأتيًا

وتقدّسْ عن السوى وتطهر واذكر الله بكرةً وعشيّا

خفف السير يا حبيبي وانزل في مقام الخليل وامكث مليًا

قف وسلّم وحيّه فهو حيٌّ واذا حلّ ضيفهُ الحيَّ حيّا

قبِّل الارض عندهُ واتلُ جهرًا ذكر مولاك عبده زكريّا

خاف من بعدهِ ضلال الموالي فدعا ربّهُ ونادى خفيّا

وهنَ العظمُ وامتلا الراس شيباً يا إلاهي فمنك هب لي وليّا

يرث العلم والنبوة مني ولدى ربهِ يكون رضيّا

فاستجاب الدعا وبشره مَن لم يزل محسناً جوادًا غنيّا

بغلامٍ كبدرِ تمٍّ ولم يجعل بديع السما ليحيى سميّا

وهي طويلة بـ ٢٥ بيتاً. اما الرثاء فقد ابدع فيهِ وزينهُ باشكال البديع المعنوي الراجعة الى تحريك العواطف واثارة كوامن الاشجان والاحزان. ومن مرثياته قصيدته العصماء وهي تقع في ٤٣ بيتاً كلها جيدة رثى بها ابا عبدالله الحسين ابن الامام علي قال (من الكامل):

قد فرَّ مني الصبر بل كرَّ البلا حزناً على البدر الشهيد بكربلا
وجدي يزيد وحرقتي لا تنطفي لولا النحيبُ قضيت نحبي اوّلا
لا استطيع الصبر عن اهل الصبا والقلب عنهم قطُّ يوماً ما سلا
ايطيب عيشي بعد فقد حُسَينهم كلّا ولا طاب الزمان ولا حلا
اسفي على ريحانةٍ للمصطفى كم شمّها والثغرُ منها قُبّلا

ومنها :

يا عينِ جودي بالدموع على الذي لفراقهِ بكت السموات العُلى
يا نفسِ نوحي واملأي بنواحكِ كل النواحي لا تخصّي الموصلا
يا قلب زدت على الحجارة قسوةً ان لم تكن متقطعاً متبلبلا
يا جفن زدت على التقاطع جفوةً ان لم تكن طول المدى متبلّلا

واجاد ايضاً في باب المديح المستهلّ بالغزل من ذلك قولهُ في مديح السيد احمد ذي اللثامين بقصيدة اليها منتهى البلاغة وهذا بعضها (من الخفيف) :

يا اخا العذل كفَّ عني الملاما واهدِ غيري وخلّني مستهاما
ان ترى العشق يا عذولي ضلالا او ترى الشوق يا جهولُ حراما
انا ديني هو الغرام وقد كنت محبًّا وما بلغت الفطاما
كيف اسلو احبةً سلبوني وسبوني وقد سقوني مداما

وهي طويلة ولهُ قصيدة ضافية في مدح الشيخ احمد الرفاعي وابيات اخرى في الشمامة وسلك الدرر والعقود الجوهرية ووجدنا لهُ ايضاً قصيدة ابتهالية في الموصليات عمر العمري. كذا ورد اسمهُ في الشمامة(ص ٢٣٨) ولا اعلم اذا كان حقيقة

ينتسب الى هذا البيت فقد سمعت من احد الافاضل العمرية في الموصل انهُ لم يُسمَّ احد في شجرتهم بهذا الاسم اكراماً لجدهم الامام عمر بن الخطاب

ولم اعثر في ترجمته على سنة وفاته ولا على شيء من اخباره سوى ما ذكرهُ الغلامي عن شعره وادبه ويظهر من هذه الترجمة ان عمر المذكور عاش بعيداً عن كاتب الشمامة اي انه عاش بزمن ليس بيسير ولهذا عانى اتعاباً في البحث عن آثارهِ فلم يهتدِ الى الشيء الكثير منها ولم يثبت لهُ الَّا قصيدة واحدة تقع في ٣٧ بيتاً انتهى فيها بمديح صاحب الرسالة الاسلامية وهذا منها (من البسيط):

سل النسيم من الزوراء حين سرى ... وهبَّ منها على اطلالنا سحرا
هل عندهُ خبرٌ من اهل كاظمةٍ ... ام حمَّلوه الى مشتاقهم خبرا
فان مررت عليهم واجتمعتَ بهم ... وجاء ذكري لديهم والحديث جرى
واستخبروك وقالوا هل مررتَ بهِ ... ما حالهُ بعدنا هل ذاب ام صبرا
بالغ بشوقي وسقمي ثم قُل لهمو ... قد اضمحلَّ من البلوى فليس يُرى

ومنها:

يا سادتي ايّ فعل قد هُجِرت بهِ ... واي ذنب من المملوك قد صدرا
ان كان في سوء ادابي مؤاخذتي ... هَبُوا اسأت ولكن جئت معتذرا
فسامحوا انتمُو اهل السماح ومن ... اذا هفونا فانتم خير من سترا
قالوا اصطبر وتسلَّ عن محبتهم ... فقلت عندي مُحال «نال من صبرا»
دع يا عذولي ملامي قد توبخني ... الله يبليك حتى تعرف الخبرا
لو تلتقي ما الاقي كنتَ معتذرًا ... من الملام وتدري حال من هُجرا

فتح الله بن موسى بن علي بن قاسم العمري (١١٠٧=١٦٩٥). كان عالماً فقيهاً

تولى القضاء في الموصل وفي البصرة وكان كاتباً بليغاً وصفهُ صاحب الروض « بفارس شجرة البلاغة ويقتنص شوارد الفصاحة . . . العالم الذي هصر افنـان العلوم ببنانهِ ، والحبر الذي انطق السنة الاقلام من معجزات بيانه» لكننا لم نعثر لهُ على نظم ام نثر

عبد الرحمان الموصلي الشيباني(١١١٨=١٧٠٦) . كان شاعرًا مجيدًا ولهُ ديوان لم يطبع ومنهُ نسختان في برلين وفي غوطا

فخري الموصلي(١١٣٢ = ١٧١٩) . لم نقف على نسبه فقد ذكره المرادي (٤ : ٣) واكتفى بتقريض نظمه ونثره من غير ان يورد شيئاً منه قـال وكان شاعراً بليغاً في العربية والتركية والفارسيَّة

عبد الباقي بن احمد التاجر الموصلي الشافعي (١١٣٧=١٧٢٤) . كانت ولادته في الموصل سنة ١٠٩٣ ونشأ فيها واشتغل اولًا بالتجارة ثم انصرف عنهـا الى العلم فقرأ على الشيخ اسماعيل بن ابي جحش الموصلي وعلى غيره من فحول ذلك العصر فنبغ في العلوم وحاز شهرة ذائعة كما وصفه عصام الدين العمري في كتـابهِ الروض النضر . وذُكر له في سلك الدرر تآليف عديدة وتعليقـات مفيدة منها منظومة في النحو (٢ : ٢٣٠)

الشيخ اسماعيل بن ابي جحش(١١٤٠=١٧٢٧) . اشتهر بالزهد وبتدريس العلوم وقرأ عليه كثيرون من فضلاء الموصل ولم يترك له اثرًا

علي ابن الحاج يونس الجليلي(١١٤٧=١٧٣٤) . جدَّ في طلب العلم ودرس على محمد العبدلي واشتهر اخيرًا بالادب فكان شاعرًا رقيقاً الّا اني لم اعثر لهُ على اكثر من هذين البيتين وكفى بهما دليلًا على طول باعه في النظم قال (من البسيط) :

بادرْ الى صالح الاعمال مفتكرًا قبل الفوات فدنيانا هي العـدمُ
دع التلذُّذ فيهـا انـهِ سفهٌ لا خير في لذَّةٍ من بعـدها ندمُ

باسيليوس اسحق جبير الموصلي(١١٣٤=١٧٢١) . ولد في الموصل عام ١٦٢٩ ميلادية وأُرسل الى رومية حيث اكمل دروسه الابتدائية والعالية واقام في القسطنطينية نحو ثلاث سنوات وقضى حياته يتنقل بين سوريا والجزيرة

كان يتقن العربية والسريانية والتركية والايطالية واللاتينيَّة فترجم كتباً كثيرة الى العربيَّة ومن تعريباته الخلاصة اللاهوتيَّة والفلسفية لمار توما الاكويني في خمسة مجلدات وفلسفة ارسطو والَّف كتاب نور المبتدئين وهو قواعد اللغة الارامية والى الان لم يطبع شيء من تعريباته ام تصانيفه وما زالت مخطوطة في بعض المكاتب

جيورجيس الالقوشي(١١١٢=١٧٠٠). كان شاعرًا مجيدًا ومتضلعاً من اللغة الارامية وكان ايضاً يحسن معرفة اللغة العربيَّة ولهذا فقد ادخل على الشعر الارامي فنوناً كثيرة من فنون الشعر العربي. وله قصائد عديدة مبعثرة لو جمعت لكان منها ديوان نفيس وقد طبع منها القرداحي في الكنز الثمين (ص ١٣٠) قصيدة تاريخية طويلة في اسفار مار توما رسول الهند

النصف الثاني من القرن الـ١٢ الهجري

وفيه نرى الحركة الفكرية آخذة بالانتشار اكثر منها في النصفين الماضيين فقد نضجت فيه مجددًا علوم الاداب العربيَّة ونبغ عدد لا يستهان به من السبَّاقين في ميدان التصنيف والنظم والنثر ولا نرتاب في ان هذا النجاح كان من نتيجة اهتمام بعض القائمين بادارة البلاد وبفضل اهل العلم الذين بذلوا عنايتهم بالمدارس وصرفوا اوقاتهم في التدريس وهم كثيرون كما سترد الاشارة الى ذلك في محله

عبد الجمال حسن بن عبد الباقي بن ابي بكر — لم نقف على زمن ولادته ووفاته بالتحقيق . غير انه جاء في منهل الاولياء ان وفاته كانت بعد قدوم طهماسب نادر شاه وحصاره الموصل اي سنة ١١٥٥ هجرية فلا يبعد ان تكون وفاته حوالي سنة (١١٥٦=١٧٤٣)

نال شعره اعجاب معاصريه فاثنوا كل الثناء على عبقريته واغرقوا في مدحه بعبارات الاستعارات والمجاز فسموه « ديوان الدهر وقائد زمام الفخر وحجة بني الادب» الى غير ذلك . ولم نقف على تفاصيل اخباره والمحقق عندنا انه لازم مهنة الادب واتصل بخدمة الوزير الجليلي الحاج حسين باشا وكان له منه القبول الحسن فنال عطاء جزيلًا ونوالًا غزيرًا ولبث كذلك الى ان تغير عليه الوزير بتأثير الوشاة والحسَّاد فلاذ بالفرار منحدرًا الى بغداد والتحق بمحافظها الوزير احمد باشا وقد وجدنا

في ديوانه قصائد رائعة يمدح بها الوزير المذكور قال في احداها :

فما كلُّ من نال الوزارة قادرٌ بكل مرام ان يقول ويفعلا
سواك ابا ابن الاكرمين لعلّ ان تراد على كيد العداة وتقبلا

ولا بدّ ان الم من الوزير الجليلي حدا به الى الاغراق في مديح محافظ بغداد وتفضيله على من سواه من وزراء العصر ولم نعلم ماذا كانت موجدة الجليلي عليه الّا ان مؤدى بعض اقوالنا يدلنا الى ان شعره كان السبب لهذا التقاطع فقد قال في احدى قصائده :

ساصبر حتى يرجع الدهر نائيا وترتدّ عن دين النفاق الاقاربُ
فما اربي الّا غريمي وفطنتي عدوّي ومن شعري دهتني المصائبُ
وانّ يد الاقسام الوت اعنّتي كقوداء نحاها من السرب جاذبُ

فكأن خصومه في مهنة الادب تأجّجوا عليه وسلقوه بالسنة حداد ووشوا به وعملوا على سقطته فانشد متحمساً (من البسيط)

كم غارةٍ شنّ حسادي على ادبي فما تأخر من خوفٍ ولا رهبا
وان ابكار فكري خُرّد عربٌ من اكرم العُرْب من اعلاهمُ نسبا
فلم يصب طاعن يوم الرهان دماً منها ولا ثائرٌ من حيّها السلبا
خذها ابا النصر بكرًا بين اخبية لم يقطع الناقد الواعي لها الطنبا

ولما طال مهجره واحتوى المقام في ديار الغربة بثّ اشواقاً الى الاوطان بابيات اليها ،نتهي الرقة والرشاقة فيظهر لك شاعرًا يشعر فينظم ومصورًا بارعاً يرى صور المواضيع بعيون صافية فيصورها تصويرًا لا يختلف عن الحقيقة فانشد قصيدة (من الطويل) :

حذار فسهم الأعين النُّجْل صائب وقبلك منها كم دهتني المصائبُ

حتى انتهى الى قوله:

احنُّ لوادي الـدير حتى تخيـلا صفت لي على ذاك الغدير المشاربُ
عليكم بني الحـدباء مني تحيّـةٌ فاني الى اقصى المـدائن ذاهبُ
كفى حَزَناً ان حال بيني وبينـكم بحارٌ ويـكفي للتلاقي السباسبُ
ولم اكرهِ الاوطان او قُرْب اهلها وعن ملّتي والله مـا انا راغبُ
ولـكني من بحر النوال اخي الندى ابي حسنٍ رعباً الى البحر هاربُ

وقال من قصيدة (من الطويل):

نظمنَ بشَعْر كالليـالي لآليـسا وضفّرن من فوق اللآلي اللياليا

وقال فيها:

كلانا بتـذكار الاحبّـة والع وما أُلِفت منا الطبـاعُ التناسيا
ففي الدهر امّـا ان الاثم لاثمـا واما اورّي او اقاسي القواسيـا
سقتنا الرزايا حنظـلا من دنانها فما للنوى ما زال ساقٍ وما ليـا
وعهدي بقلبي لا يمرّ بـه العنـا فاغوتها الايام حتى تآخيـا
فـان اعدمَتْني بالبُصَـيْرة ثروتي ومالي فما قـد اعدمتني لسانيـا

ثم انفذ اعتذاره الى الوزير الجليلي وقد ابدع فيه وحلّاه بايات البـلاغة ونمّقه بسحر البيان فكأنه من عهد المتنبي بعذوبة لفظه وسلامة عباراته وطبيعيّته فقال في قصيدة وجّهها من بغداد عام ١١٥٤ وهي السنة التي بها شُدّ الحصار على بغداد وهذا مطلعها (من البسيط):

لا تذكر اللهوَ بعد اليوم والطربا ولاتصف كفّ ساقٍ بالطِلا اختضبا

....

ابا مرادٍ لقد ضاق الخناق ولم نعهد سوى الحلم من ابائك النُجبا
وحُلت بيني وبين الشانئين وقد طال اغترابي ونوحي ازعج الغربا
وبيّض الشيبُ رأسي والسوادقضى نحبي وأُنسي بايام الصبا ذهبا
هَبْ كنتُ كعب زهير اذهدرتَ دمي فالعفومنك على حسّانكم وجبا
ما كان ذنبُ يزيد وابن لؤلؤةٍ او من تجرّى على آل الصبا وسبا
ولستُ قائدَ فيلِ العلج ابرهةٍ ولم اكن من اناسٍ انكروا الكتبا
ولا جعلت صداقي قينةً ودنا نيرًا وضرب إمام شرّف الغربا
وبعد نومي بباب الخان من ولَعي اصبحتُ من فرط زهدي اكره العنبا
وكم تباشر رهبان وقيل لهم للزهد مال الذي تخشونه وصبا
الحمد لله ايامي غدت جمعاً وكل شهر ليالي القدر او رجبا
يمرّ ليلي وأقدامي تعاتبني من القيام وقلبي يرفض العتَبا
سل المصلّين عني والأيمةَ عن زهدي فلا زلت للاوقات مرتقبا
وسُبحتي اليوم الفٌ والسواك على حشاشةٍ مُلئت من ربها رعبا
استغفر الله مما قدّمته يدي من الذنوب وما قد كنت مكتسبا
ما لي شفيع اليك غير عفوك عن ذنب الي بتزوير العدى نُسبا
اني كيوسف لما قُدَّ من قَبَل قميصهُ ورأى البرهان. ثم ابي
هبْ لي اماناً تنلْ اجرًا وخذ ابدًا مني ثناءً فاني واحدٌ أدَبا

والظاهر انه بعد الاعتذار الطويل نال عفو الوزير الجليلي فانشد قصيدته اليائية بعد اجتلاب المراضي ليصلح هفوته في تفضيله الوزير البغدادي على من سواه فقال مكررًا المعنى عينه:

فما كلُّ من نال الوزارة ضيغم وقد قلَّ من اضحى وليًّا وواليا
ابا المجد ذا العفو الذي كان بغيتي وان التلاقي فوق ما كنت راجيا
وماخاب منك السائلون ولم تكن تُخيّبُ عبدًا أمْ عفوك عافيا
غضبتَ فما يهوى الشقيقان رؤيتي رضيتَ فكان الدهر خلًّا مواليا
غضبتَ فابصرت السموأل خائنًا رضيتَ فوافيت ابن سلكة وافيا
غضبتَ فارضيتَ الخزائن طالما رضيتَ فاضحى من يدي المال شاكيا

وفي يدي ديوانه الصغير وهو يقع في نحو ٩١ صحيفة وتبلغ ابياته نحو ما ينيف على ١٣٠٠ بيت جمع بين المديح والرثاء والخمري والغزلي والحكمي وقد اجاد في معانيها ويكاد يجاري بها ابا نواس في خمرياته والبحتري في غزلياته والمتنبي في حكمياته . وشعره يتحلّى بالوضوح والضبط والطبعيَّة والانسجام والجزالة ومع حسن تصرفه في البيان فلا يخلو شعره من بعض التشابيه التي لا يألفها الذوق السليم فقد نظم قصيدة انفذها من بغداد الى الوزير الجليلي ومطلعها (من الطويل) :

قفا نصطبح مما بالاناء المجسّد فاحياء اموات الغبوق على يدي

ومما قاله فيها يصف شجاعة ممدوحه مخاطبًا اللائذين به :

فقال اصبروا بالله لا تهلكوا اسىً ودونكمو فتك القنا والمهنَّدِ
انا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونني خشاشٌ كرأس الحية المتوقّدِ

استعار البيت من معلّقة طرفة الذي شبّه الشجاع الفاتك بحية رقطاء وهي التي

يُضرب المثل بقبحها وغدرها وفي ذكرها قشعريرة الاجساد ونفرة القلوب . فلم ترد في القشبية الّا لقبيح منظر ام لدسأس ينساب انسيابها

وتجد في ديوانه فنون الشعر ومن اشهرها واحسنها المداعبات والتخاميس والموشحات والتاريخ فانه نظم ١٥ بيتاً ضمنها ٣٠ تاريخاً كل شطرٍ تاريخاً لزفاف جرى في سنة ١١٤٤ وقد اجاد فيها كل الاجادة فمنها قوله :

جوادٌ دنانير الدياجي نثاره ... رئيس متى ما لاح للبدر يسجدِ

اطيعوا بني فنّي وحيّوا وارخوا ... وليّ الهدى عثمانَ صهرَ محمَّدِ

وكان فخوراً شديد الاعجاب بشعره فقال ابياتاً كثيرة اليها منتهى الفخر وقد انشدها غير متردد وهو على اعتقاد من عبقريته وقوة شاعريته فانحى باللائمة عليه صاحب الشمامة قال : « قام بالدعوى على شعراء الوقت بانه المقدَّم على البادي والحاضر بقوله :

فلم أَلُمْ ادباء العصر ان لهجوا ... ذماً بشعري فقد اودى بهم قدمي

وابدع ايضاً في تضمينه مطلع لامية العجم للطغرائي بقوله مفتخراً :

بالله يا ايها الضيف الملمُّ بنا ... يهوى سماع رقيق الشعر والغزَلِ

ان تجهلَنْ حالتي ها انني رجلٌ ... اصالة الرأي صانتني عن الخطَلِ

وقال ايضاً في احدى قصائده :

وقالت دَعِ الأغراض آناً وعارض م ... الاديب ولا تُعجَب فاوسعتها زجرا

فقالت تدفّق ايها البحر انما ... سواك سرابٌ قلت لا تكذبي نهرا

ومن رقيق شعره قوله في قصيدة :

ما لي ارى ادباء العصر قد ولعوا ... بالاختبار واني فوق ما سمعوا

فلا تصدّق اذا قالوا نناظرهُ   لا يستوي سارق منّا ومخترعُ
ما كلُّ بيتٍ هو البيت الحرام ولا   جميع ايّامنا في فضلها جُمَعُ
اذا تجمّع قومي قلت يا ادبي   ألقِ العصا تتلقف كلما صنعوا

وقد سبقه الحلي الى هذا المعنى بقوله :

هذي عصاي التي فيها لي مأرب   وقد اهشُّ بها طورًا على غنمي
ان أُلقِها تتلقَّف كلما صنعوا   اذا اتيتُ بسحرٍ من بيانهمِ

فلا بدع اذا كان الجدال عنيفاً والحرب سجالًا بينه وبين مناظريه في الشعر حتى ادّت المناظرة الى الوشاية به وكان ما كان من امره

ومن بديع قصائده المنمّقة بمحسنات البيان والبديع نونيته وهذا بعضها (من الخفيف) :

شغلتنا قلوبُنا والعيونُ   تلك تخفي الجوى وتلك تبينُ
جعفرُ الدمع راح يزري حديثي   وفؤادي هو الرشيد الامينُ
اسكرتني مدامةُ العتب حتى   قيل لي انت شاعر مجنونُ
ومعاني بديعِ حسنِ بياني   اعربَتْ انّ ذا الجنون فنونُ
والصُبابات عن صَبابات قلبي   ناقلًا هكذا الجناس يكونُ

ومنها :

حسَّن الحاسدون بالذمّ شعري   فحلا لي من العدى التحسينُ
ليت لو يعلم المرخّص شعري   ان دُرّي ببحر فكري ثمينُ
قال من ذا الورود بِعْ يا ضعيف   قلت للآن لم يُبَع يا سمينُ
لستُ ممن يبيع عيناً بعين   هكذا كل موصليّ ضنينُ

ولهُ ايضاً اليدُ الطولى في التخميس والتوشيح فمن تخاميسهِ قولهُ :

شهورٌ تمنع اللـذات هلّتْ وايام السرور قد اضمحلّتْ
الم انصَحْـك والاراء دلّتْ اذا العشرون من شعبانَ ولّتْ
فواصل شرب ليلك بالنهارِ
فهـذا ثلث شهر لا تُـدارُ ولا تألف سوى خلع العذارِ
فـلازم باب حانات العقـارِ ولا تشرب باقـداح صغارِ
فان الوقت ضاق عن الصغارِ

وله في الترسل ايضاً اثار بليغة عثرنا منه على رسالة طويلة كتبها من بغـداد الى احد اصدقائه في الموصل يصف فيها حصار الاعجام لمدينة دار السلام قال :

«تحية الذّ من نمير ماء الامداد لدى اشتداد ظماء الحصار، واشهى من بقية سلافة الغبوق لمحمود الانتظار، نجيبة اعزّ من سرور انتجه الفرج من اوعية العناية، وابرّ من أمن هذبته السلامة والوقاية ، تقبل اعتاب مناخ ضمر بني الادب ، وتلثم محط رحال ذوي الأرب ، محمود السيرة، وممدوح السريرة، المومى اليه بالبنان ، والمعوّل عليه بين الاقران. »

«. . اما بعد ايها المولى الكريم بلغني عنك ما يؤمل من امثالك، وما سلف من ابائك كانوا كذلك ، نسيم الوفاء بعطف قوام خلوصك ، فثنى نحو كعبة مودتي ازمة قلوصك ، . . . فتيقنت ذلك اذ ظني بك كصبري على جفن جميل ، لـذلك اراني مدى الدهر اليك لا عنك اميل . . . » وهي طويلة تستغرق نحو ١٧ صحيفة

الحاج قاسم الرونقي بن خليـل الجليلي (١١٦٤ = ١٧٥٠) كانت ولادته في الموصل في حدود سنة ١١٠٨ = ١٦٩٦ ونشأ على حبّ العلم فاخـذ عن اشهر علماء الموصل واكتسب علماً وادباً جزلًا . وكان ما عدا ذلك خبـيرًا بالسياسة وبشؤون الادارة صدرًا في مجالس الشرف اذ كان مقرباً عند ابناء عمه ولاة الموصـل وحجَّ في سنة ١١٤٢ = ١٧٢٩ واجتمع بنوابغ الادب في البلاد التي مرَّ بها

ترجمهٔ صـاحب الشمامة وعدّه في طبقـة الشعراء الاعلام الذين نبغوا في عصره

فوصف شعره واطراه كثيرًا وقال رأيتُ له في مجموعة الحاج حسين باشا الجليلي مطوّلات من الشعر ويظهر انه جمع تلك المجموعة هو نفسه وملأ قسماً كبيرًا منها بقصائد المديح التي انشدها لابن عمه الوزير المذكور وضمّ اليها قصائد غيره من الشعراء في الموضوع عينه ولهذا قال المؤلف الغلامي: رأيته قد اقتنص بشبك فكره حمائم. السجع فاودعها من تلك المجموعة بابهى قفص...» ما عثرنا على هذه المجموعة ولا على شيء كثير من نظم الشاعر الجليلي الّا القصائد التي أُثبتت له في الشمامة وهي قصيدة في مدح ابن عمه الوزير وهذا مطلعها (من الطويل):

هي الشمس حقاً والكؤوس مشارقُ وفي كل افق من سناها رقائقُ
قديمةُ عصرٍ ما رأت يدَ عاصرٍ وما كان في الاعصار منها فبارقُ
خفت ذاتها عن واصفيها لطافةً كما خفيت عند المجاز الحقائقُ
فيا طالبيها لا تحيدوا عن الهوى كما حاد عن طرق الجنان منافقُ

وانتهى الى المديح بقوله:

هلمّوا اليها مهتدين بنورها الى حانها الفيّاح فالوقت رائقُ
بايام مولانا الوزير الذي لهُ من العزّ دستٌ والسعود نمارقُ

وهي طويلة. وله قصيدة ثانية جمعت بين الغزل والحماس والفخر وهذا مطلعها (من الطويل):

تجلّ وتسمو عن مثقّفة السُّمرِ محجّبة زادت بناشئة الفجرِ

ومنها:

وبتُّ بها ارعى النجوم مولّهًا طويل سهاد العين في ليلة الهجرِ
واني لصبّار على كل شدةٍ تفتّتُ اصلاد الجلاميد والصخرِ
فالله صبري كيف قام تجلّدًا باعبائها والصبر يعجزُ عن صبري
وهمّي المعالي والزمانُ معاندي واصعب ما قاسيته شدّة العصرِ
ونفسي تأبى عن فعالٍ تشينني نعم هكذا معتاد نفس الفتى الحرّ

وتعلو على جلّ الهمائم همّتي ... وتألف مما فيه أنحطُّ عن قدري
واني لصقرٌ ليس ينقضُّ هاوياً ... على عَقْعَقٍ الّا على اعظم النسرِ
اموت ولا ابغي الحياة بذلّةٍ ... واصبر للبلوى وازهد في عمرى
واقضيَ نحبي غيرةً وتعففاً ... واهلك ظمآناً على شاطيْ النهرِ
بجَدّى وجِدي نلتُ سبقاً الى العلى ... وخلّفت من راموا سباقي على إثري
اذا رمتَ للابطال حرباً مبارزاً ... فاوسعُ ما تلقاه حين اللِقا صدري
وان رام اعدائي بحربي مكيدةً ... فرأيَي يغنيني عن البيض والسمرِ
يؤرّقني فكري لإدراكِهِ العلى ... وان وافق التقدير نلتُ جنى فكري

وله ايضاً ابيات وتشطيرات في المجون والغزل ووجدت له في الموصليات هجواً هجا به احد مواطنيهِ الادباء من اللغة العامة على طريقة الزجل وقد ادخل فيه كلمات شائنة ومعانيَ مستهجنة فاخذنا منه بعض ابياته للمثال قال راجزاً:

اتى كتاب منك يا هَبَنَّقهْ ... الفاظه شنيعة مغلّقهْ
موسّخ مسخّم ملعمط ... من خرقة الرواس ادنى طبقهْ
وصوت قاريهِ اذا سمعته ... صوتٌ بلا معنى كصوت الجقجقهْ
تِهْسْ فِشارَكْ بكلم النابغهْ ... وشعرك المنحوس بالمعلقهْ
من قال نَقر الدف مثل الطقطقهْ ... او رنة الاوتار مثل الزقزقهْ

واخباره في سلك الدرر ٤: ٨ والشامة ٧٠ ومنهل الاولياء ١٦٦

الحاج محمّد العبدلي (١١٦٦ = ١٧٥٢) سمي بالعبدلي نسبةً الى عبد الله حيّ من احياء العرب في العراق ومنهم استوطنوا الموصل ومحلتهم فيها تسمى بالحويزة ويُعرفون بالعبدلية. درس على علماء الموصل ثم عزم على الرحيل فقصد مصر والشام

وحلب واخذ عن علماء تلك النواحي حتى نال القدح المعلى في العلوم

اورد مترجموه من نفائس شعره واطروا فضائله وحسن اخلاقه وذكروا علومه وفنونه فقالوا : كان عارفاً بالزيج والاسطولاب والجفر والهيئة وخبيراً بالحساب والمنطق وعلوم اللغة وشهيراً بالطب والتشريح مقدماً على اقرانه الاطباء

وورد من شعره في الشمامة قصيدتان يمدح باحداهما امين باشا الجليلي وبالثانية يمدح علي افندي المفتي المصري ويهنيه بعود الافتاء اليه وفيها يشير الى ضائقة الغلاء . وله ايضاً منظومتان غزليتان رقيقتان وما عدا ذلك فقد وجدنا له ايضاً في الاخلاقيات ابياتاً نفيسة تتجلى فيها الرقة والبلاغة والرصانة باجلى مظاهرها فانه كتب كشاعر يمزج الجد بالنصح فكأنّ اخلاقه الحسنة التي شاد مترجموه بذكرها تنعكس في ابياته انعكاس المرئيات في الماء الصافي . وتلك مهنة الشاعر الشريفة ان يمتلك الخلق الحسن فيمارسه ويقول عن ميل في نفسه وعن شاعرة في قلبه حتى تنعكس تلك الحقائق في شعره . ومما انشده العبدلي في الاخلاقيات قوله (من البسيط) :

ما ودّني احد الّا بذلت له	صافي المودّة حتى آخر الأبدِ
ولا قلاني وان كنت المحبَّ له	الّا دعوتُ له الرحمان بالرشدِ
ولا ائتُمنتُ على سرٍ فبحتُ به	ولا مددت الى غير الجميل يدي
ولا اقول نعم يوماً فاتبعها	منّاً ولو ذهبت بالمال والولدِ

ومنها ايضاً قوله (من الطويل) :

ومن شيمتي اني اذا المرء ملّني	واظهر إعراضاً ومال الى الهجرِ
اطلّقْ له فيما يحبُّ عنانه	وتاركته في حسن سرٍ وفي سترِ
فان عاد في ودّي رجعت لودهِ	وان لم يعد ابقيت ذاك الى الحشرِ

وله في المراسلات من بدائع الشعر من ذلك قوله (من الطويل)

ولم يكُ قطع الكتب مني ملالةً وحاشا لمثلي ان يقالَ ملولُ
ولكن رزايا قد عرَتْ ومصائبٌ ألمّت وشرح الحادثات يطولُ

وتجده فيما سوى ذلك من فنون الشعر قليل الاهتمام بالخيال لا يشتغل بالاستعارات الرائجة يومئذٍ والخارجة عن حدود الاعتدال بكثرة المبالغة فاصبحت مستملّة لخروجها من الممكن الى المستحيل وهو في ذلك رصين الاسلوب يكثر عنده الاقتصاد في اللفظ فهو يكتب كشيخ ينطق باختباراته وليس كشاب يتصرف بخيالياته . ومن شعره في الاخوانيات قوله (من الطويل):

فلو لم اسلِّ النفس منكَ بنظرة واطمعها في قربكم متُّ من قربِ
وما عشت بعد اليوم الّا لانّني اذا شئت رويا كم نظرتُ الى قلبي

وهذا شأنه في المديح فهو يبرز ما يستقر في قلبه من شواعر الاحترام والاعتبار وكلامه فيه خالٍ من التصنع والكلف والاغراق في الوصف. من ذلك قوله في مديح المفتي العمري (من البسيط)

حمدًا لمولى بعين اللطف قد نظرا الى العباد ازال الضرّ والضررا
وبالمنى والامانيّ الزمانُ اتى والدهر مما جناه جاء معتذرا

. . . .

فالناس من ثَمّ في أمن وفي فرح والغمُّ والهمُّ كل منهما نفرا
بشرى لمن حلّ في الحدباء قد برزت قرائن الخصب بعد الجدب اذ غبرا
اثيل مجدٍ تليد عن ابيه وعن اجداده فهو ارثٌ ليس مبتكرا

ومنها:

يروي احاديث جودٍ عن يديه عطاً اخبار صدق بلا شكّ لمن اثرا

من جعفرٍ في الندى من ابن زائدةٍ ومن زهير ومن قسٍّ اذا جهرا
ما إبن ماء السما ما حاتم كرماً الّا كقطرة ماء منه قد قطرا

وقيل ان له في الترسل آثارًا لا تقل اهميةً عن نظمه

خليل بن علي البصير (١١٧٦ = ١٧٦٢) ولد في الموصل سنة ١١١٢ = ١٧٠٠ وينتمي نسباً الى السادة الشرفاء ورغب في العلم وهو مكفوف فاخذ عن شيوخ الموصل ونبغ نبوغاً عجيباً في الدروس العقلية واللغوية واتقن التركية ايضاً والفارسية فكان له في اللغات الثلاث آثار معدودة

وقد ازداد اجادةً في فني المنظوم والمنثور بقوة حافظتهِ اذ كان في الحفظ آيةً باهرة حتى كان يحفظ الصحيفة الواحدة بسماعها مرَّة او مرَّتين ولهذا قيل انهُ كان يحفظ من الشعر ما لو كُتب لكان اسفارًا وكانت لهُ معرفة تامَّة في الموسيقى ورحل مرارًا الى حلب والرها والى بلاد الروم وجاب سائر مدن القطر العراقي

امَّا اثارهُ من نظم ونثر فزهيدة حتى تكاد لا تكفي دليلًا على نبوغهِ وتبريزه في الادب مع ان مترجميهِ اطروا نظمهُ وترسُّلهُ الجمَّ فعدُّوه بين طبقة ابي العلاء وبشَّار ابن برد وامثالها من فرسان الشعراء العميان. وقد سعيت جهدي ان اجمع شتات آثارهِ فلم اتوصَّل الى اكثر مما ورد لهُ في الشامة (ص ٧٠) وفي سلك الدرر (٢: ١٠٣) وفي الموصليَّات. وهو عبارة عن منظومة قصصية وواحد وعشرين بيتاً مفردًا في الاقتباس والتخميس والتشطير. وشعرهُ فيها متين حتى لا يرى فياضتهُ وشطرهُ اثرٌ لضعف السياق في المعنى والمبنى

ويُرى في هذه الاثرة كثير الرصانة والمتانة لا شَغوفاً باستعمال البيان المملّ ولا مقلًّا منهُ بل انهُ يستعمل انواعهُ على قدر ما تقتضيهِ الحالة وهو في ذلك غير مستهتر ولا كثير المجون كمعاصريهِ من الشعراء. ولا كثير الولع بالوصف كنظرائهِ من الشعراء المكفوفين الذين استمرأوا ذكر الالوان والجمال الطبيعي تولُّهاً بما حرمتهم الطبيعة منهُ. وليس كذلك شعر البصير فاذا تُلي عليك تخال انك تسمع نثرًا لبساطته وسلاسته خلافاً لنثرهِ الذي لا يخلو من الوحشيّ والاسهاب المملّ والقافية الاضطرارية الضعيفة. ومن شعرهِ القصصي قولهُ يقصُّ واقعة الاعجام ثم يختمها بتاريخ:

كفى اللهُ أهلَ الموصل الشرَّ اذ أتى عدوٌّ لهم من جانب الشرق ناهضُ
أجـلٌّ ملوكِ العجم نادرُ أسمـهُ ظَلومٌ غشومٌ للمواثيق ناقضُ
سبى نسوةَ السكّان في البيد والقرى بظلمٍ وكلٌّ في المهالك خائضُ
فحاصرَنا ستين يوماً مهيجاً حروباً وفي الجُمعات ماتت فرائضُ
فحـاربَهُ الـدستورُ والي ديارنا حسينٌ بعون الله وهو يناهضُ
فـألقي رعبٌ في قلوب جنودهِ فباتوا وكلٌّ نحو مثواهُ راكضُ
فلمّا ازال الله عنا شعوبهم بتوفيقهِ أرّختُ زال الروافضُ
١١٥٦

وهي طويلة اقتصرنا على ما ذكرناهُ منها ومن اقتباساته قولهُ (من الخفيف):

لستُ أهوى سواكمْ اليوم حتى أطلبُ الموت في هواكم حثيثـا
يا لِقومي من معشرٍ عنّفوني لا يـكادون يفقهون حديثا

واجاد ايضاً بقوله (من الكامل):

يا مبتلى بـذوي المظـالم لا تهنْ واصبرْ فان الله كان بصيرا
واستنصرنَّ الله يهـدِكَ عاجلًا وكفى بربّك هادياً ونصيرا

ولهُ ايضاً (من الخفيف):

قال لي احذر رقيبنا فقُصارى سوْلِهِ ان يـكيدنا ويحيفـا
قـلتُ دعني فلستُ منـهُ أبالي انّ كيد الشيطان كان ضعيفا

وخمّس بيتين لابن الفارض قال:

نأى الغزال الذي في القلب موضعهُ يا ليتَ شعريَ ايّ الروض مرتعُهُ

ناديتُهُ بانكسار إذ أُودّعهُ «يا راحلًا وجميل الصبر يتبعهُ
هل من سَبيل الى لقياكَ يتفقُ»

نار المحبة بالاحشاء حاميةٌ والعين كالنهر طولَ الدهر هامِيةٌ
يا مَن بهِ رتبتي في الحبّ سامِيةٌ «ما أنصفَتْك دِموعي وهي دَاميةٌ
ولا وفى لـك قلبي وهو يحترقُ»

واجاد في تشطيراته ومنها تشطير بيتين لابن نباتة

«يا مُشتكي الهمّ دَعهُ وانتظر فرجاً» ممن يـفرّج كُرُبات المساكينِ
وأصبر على محن الايام ذا جلَـدٍ «ودارِ وقتك من حينٍ الى حينِ»
«ولا تعاند إذا أصبحتَ في كدرٍ» من النوائبِ واستقبلـهُ باللينِ
هيهاتِ هيهاتِ أن تصفو بلا كدرٍ «فـانما أنتَ من ماء ومن طينِ»

أمّا في الترسّل فلم اجد له الّا رسالة وردت في الموصليات ارسلها الى بغـداد لاحد ادبائها السيد عبدالله افندي يذكر لهُ شيئاً من وقائع حصـار طهاسب: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله... وبعـدُ فالأسمى من السلام، يُهدى لابن سيـد الانام، الفاضل المحقق العلّامة، والكامل المدقق الفهّامة، اخي ومؤنسي بلا اشتباه السيـد النحرير عبدالله... يا من هداه للفواضل، وخصهُ بالعلم والفضـائل، ... كيف طباعكم وما حالاتكم، باي شيء تنقضي اوقاتكم، اني الى جمالكم مشتـاق، اخلَني الفراق والاشواق، بحيث لو قسم عرض الشعرة عشرة اقسام حوته رقّتي ... فان تجيزوا الفحص عن حال البلد، وما من الشدة والضيق وجد، فـالحمد لله معين الضعفاء، مفرج الكرب معجل الشفاء، على انكشاف الغم والالام، وصون عرضنا من الاعجام، اذ دخلوا القرى وافسدوها، أذوا ومزقوا وشردوها» ثم ارجز:

ثم توجهوا ليحصرونا ويستفزّونا ويكسرونا

أخبرنا مفتيهم ان الفتنهْ خمس وسبعون تليها مئهْ

دنوا فأمطروا علينا نارا لم يهجعوا ليلًا ولا نهارا

سطا خميسهم علينا الجمعهْ بنصف شعبان بفرط المنعهْ

لما رأونا حافظين السُّورا ولّوا على ادبارهم نفُورا

. . . .

فأرسل النادرُ سلطان العجمْ يحاول الصلح ويبتغي السلَمْ

أقام في ديارنا أيّاما ثم نوى النهضة والقياما

فغابَ مع عسكره المشؤومِ فاصبح النادِرُ كالمعدومِ

وهي طويلة اجتزأنا بما اوردناهُ على سبيل المثال. واخباره ايضاً في منهل الاولياء (ص ١٥٥)

السيد موسى ابن السيد جعفر الحدادي (١١٨٦ = ١٧٧٢) درس على شيوخ الموصل واشهرهم يومئذٍ ملا حسن بن غيدا وحيدر بن قره بيك وملا حسن بن ابي جحش وصبغة الله وغيرهم فمهر في الدروس المنطقية والرياضية وبرع خاصة في فنون الادب

كان فقيرًا في مبدأ امره منصرفاً الى كسب معيشته بكد يمينه ثم اتصل بخدمة علي العمري المفتي فرتب لهُ هذا كل يومٍ نصف درهم مع القيام بلوازمه. ثم استدعاه يحيى بن مصطفى الجليلي وصار يقرأ عليهِ فذاع صيتهُ وقصدهُ الطلّاب للانتفاع بهِ فتصدر للتدريب ثم اتصل بخدمة الغازي محمد امين باشا فقرّبه هذا اليهِ وولّاه مدرسة جامعهِ وكان لهُ في آخر حياته صيت ذائع وحرمة عند اهل الموصل

اما آثارهُ فمنها في الشامة بديعيّتان رقيقتان ولهُ ما عداهما حواش وتعليقات وقصيدة نهج فيها منهاج عنوان الشرف الوافي للمقري. وشعره كلهُ رائق بليغ وجدنا منهُ في الشامة وفي الزهور العواطر وفي الموصليات واكثره في المديح المستهل بالمجون والغزل فقد اطلق العنان لمخيلته وراح مغالياً في وصف حسناته الخالية ثم تخلص الى

المديح ببراعة مع رقة وحسن سبكٍ مقتطفاً من زهور البيان والبديع ما حسن وطاب فقال في جيميته :

فتحٌ وحتفٌ يمين الفضل قد جمعت ذا للمحبّ وذا للكاشح السمِجِ

فضمّنه الجناس المقلوب ثم التفريق والجمع . وقال ايضاً في فائيته فاجاد في الارصاد البديع والتسهيم:

ابدت دَنانيرَ حسن فوقَ وجنتها لكنها نحو طرفي غير منصَرفِ

وبعد جولاتٍ في الغزل تخلّص الى المديح فقال:

وليس لي معقل ارجوهُ ملتجناً الّا امين المعالي كاشفُ الشُرُفِ

ضمَّ اليمينُ على هنديّ صارمه كفتحها عند فيض الجودِ فاغترفِ

والقصيدة طويلة تقع في خمسة وعشرين بيتاً . وقال ايضاً في باب المديح (من البسيط) :

اقداحُ تبرٍ على هام الربيع زهت ما بين روض بترديدِ الهوى لهجِ

فللكؤوس ابتسامٌ عند قهقهةٍ وللنفوس اغتنام صفوَ مبتهجِ

في روضة كلما مرَّ النسيم بها طابت بيحيي المعالي طيّب الأَرجِ

وقصائده كثيرة في المديح وضمّن بعضها تاريخاً واجاد فيه من ذلك قصيدة مدح بها مراد بك الجليلي وضمن كل شطر منها تاريخ سنة ١١٨١ وهذا منها :

سعودٌ سرى ليلاً فاهدى المنا بُشرى وسرّ قدوم العزّ بل جمّل الشّكرا

وبات وشمل المجد قد طاف بالمنى وذاع بافراح وباح المنا بهرا

وقد لاح نجلٌ ماجدٌ حازَ فخرهُ مكارم مجد زانت النهى والامرا

سلالةُ مجدٍ نال عزٌّ نجابةٍ وأجدت له اسنى مكارمهِ قدرا

وتقع هذه القصيدة المؤرخة بخمسة عشر بيتاً ومع رسوخ قدم الشاعر في النظم فلا تخلو قصيدته من الركاكة والضعف. ولهُ ايضاً في التشطير آثار جيدة منها تشطيرهُ لقصيدة حسام الدين الحاجري الشاعر الاربلي وهذا منها:

«على دمع عيني من فراقكَ ناظرٌ» يراعي السهى في ليلهِ وهو حائرُ
وانسان طَرْفي كلما لاح بارقٌ «يرقرقهُ ما لم تُرقهُ المحاجرُ»
«فديتك رَبْع الصبر بعدك دارسٌ» على انهُ من طيبِ ذكراكَ عاطرُ
وكم بات ربعُ القلبِ بعدك عاطلا «على انَّ فيهِ منزلَ الشوق عامرُ»
«يمثلك الشوقُ الشديد لناظري» فان غبتَ عن عيني ففي القلب خاطرُ
واذهل في تخييل حسنك شاخصاً «فأطرقُ إجلالاً كأنك حاضرُ»
«ألا يا لقومي قد أراق دمي الهوى» وأظهر ما أخفتْهُ تلك الضمائرُ
وكم صححتْ أُذجارت لحاظك في الهوى «فهل لقتيل الأعين النُجْل ثائرُ»

ولهُ عدا ما ذكرنا قصائد وابيات كثيرة لا يسعنا ان نذكرها جميعاً

محمد بن مصطفى الغلامي (١١٨٦=١٧٧٢) وردت ترجمته في منهل الاولياء مقتصرة قال عنه انه قرأ على شيوخ الموصل وحصل علماً كثيراً وغلب عليه الشعر ثم اصابه مرض اثر فيه وتركه قعيداً في بيته لا شأن له الا التأليف . وترجم نفسه بنفسه في الشمامة وذكر ما اصابه من نوائب الايام وتصرف الزمان وانقطاعه عن الناس قال : سكت عن الوضع ... وانقطع عن المشي في مناكب الارض لصيد ما في الدنيا من الحطام، والدنيا كما علمت صيد ينبغي لصائدها ان يشد في حبائلها سبعين حزام... التقتنا بوجه وقيح فالتقيناها بنفس قوية، وهمة عن ادناس الوجود علية...»

امَّا تآليفه فله كتاب سماه نثر الجوهر ذكره في ترجمته لحيدر بن قره بيك لم نعثر له على اثر . ثم كتاب شمامة العنبر والزهر المعنبر وفيه غالباً تراجم شعراء الموصل

وادبائها من اهل القرن الثاني عشر الهجري ويقع الكتاب في نحو مئتين وسبعين صحيفة كبيرة تشتمل على تراجم اثنين واربعين اديباً من الموصل وخمسة من بغداد وذكر لكل واحد اثاره وتصانيفه اما اسلوبه فيه فبعيد عن اساليب كتبة السيَر والتاريخ فهذا الكتاب ادبي اكثر منه سيَري ام تاريخي اذ انه صرف عنايته الى تنميق عبارته واهمل في الغالب ما يحتاج اليه المؤرخ من تعيين السنين وربط الحوادث بها. وكثيراً ما لا تختلف التراجم عن بعضها الّا بالالفاظ وصوغ العبارة

ولا يخلو انشاؤه من بعض المعايب ولا يخلص من الضعف لالتزامه السجع ولا يبرأ من التكلف والتصنع باكثاره من استعارات غامضة. من ذلك قوله « اقعنسس عن نفسه لما رأى هذا الزمان المعتل العين يهدي الى اللفيف المقرون بالتحف الى مثله اجوف... » واستعمل فيه عبارات مستهجنة كقوله يمدح فتح الله الصباغ « كلامه اطلعني على طول باعه في الادب والبعرة تدلّ على البعير » وقولهِ في ترجمة يحيي بن مراد العمري يرثيه « نهتفتُ في مصابه ان ارثي له فضلًا فوضعت كفي بزيقي وقلت خليني ... » وكان مع ذلك ذا باع طويل في اللغة وادابها لا يجاريه فارس في ميدانها وما اتحفنا به هو كثير جداً بالنسبة الى اسلوب عصره في تدوين السير والتاريخ فقد وقى من الضّياع ذكر نوابغ الشعر وجمع شتات منظوماتهم ومنثوراتهم في كتابه النفيس. ومن هذا الكتاب نسختان في الموصل احداهما في يدنا عوّلنا عليها فيما نقلنا

اما شعره فلا يقاس بنثرهِ فانه يُعدّ بين ارفع طبقات الشعراء في ذلك العصر وقد وجدنا من شعره شيئاً كثيراً في كتابه وفي الموصليات ونعدُّ من مختاراته اثنتي عشرة قصيدة تشتمل على ٣٠٠ بيت من الشعر الجيد ومدح في نظمه ثلاثة من الامراء الجليليين وكان في شعره لا يستطيع كتم ما في نفسه من ضيم وألم فقال في احدى قصائده (من الطويل)

ابى الضيمَ قلبٌ بين جنبيَّ قُلَّبُ	وعزمٌ من الشُّهب الشواهب أثقبُ
وكلّفني خوضَ الدجى طلبُ العلى	وكل فتى مقدارَ مرماه يتعبُ
فلست أبالي الحادثات وان طغت	على انها الايام تعطي وتعطبُ

فما لي اراني والحوادث جمة اذا قلت شعرًا قام سحبان يخطبُ
ارصّع في شكوى الزمان فرائدي كذلك في التضمين أُطري وأطربُ
ألاَ ليت شعري هل اقول قصيدة فـلا اشتـكي فيهـا ولا اتعتَّبُ
ومن يلقى في شكوى البلا ذا مروْة معيناً فقد لاقاه عنقـاء مغربُ
ومن يعترف بالذنب عند أُلي الحجى يجدْ ماحياً للذنب والعذر ارحبُ
ومن يقتلِ الجهّال بالدفع بالنهى يعزّ ويستسقي الوداد فيشربُ
ومن يعرفِ الاخوان عرفان ناقدٍ يجد كل شخص بين جنبيه عقربُ
ومن يصحبِ الايام طرًّا واهلهـا على دَخـلٍ فهو الحكيم المجرّبُ
لي الله من ناس بُليتُ بدائهم اذا احتكّ منهم اجربٌ قام اجربُ

. . .

طرقتُ وستر الليل بيني وبينـه فدلّ عليه عَرْفه والتطيُّبُ
سريت ونار الحي تبدو كأنها على بعدها في حافة الافق كوكبُ
وزرت وبيضُ الهند تقطر احمرًا ولليـل من زرق الاسنة اشهبُ
وصوت صهيل الصافنات كأنها على اهلها من قلة المكث تعتبُ
فاوردتُ ابواب الملوك فرائدي فأصدرني عنهـا الرضى والتهذبُ
لهجت بمدحي للوزير فشاقني وكلُّ امرئٍ يُولي الجميل محبَّبُ
وقمت بظلّ العزّ تحت ركابهِ وكل مكان ينبت العزّ طيبُ
همام له عند النوائب همـة بامثالها الامثالُ في الناس تُضربُ

. . .

نناديْ حسيناً والفوارس اسطر وبالسور اقـلام المدافع تـكتبُ

ابدع الشاعر في ارائه الاجتماعية لكنه بالغ في تحامله على الزمان واهله حينما لم يجعل املًا لذي شكوى ان يجد معيناً على بلواه ثم غالى في الحكم فقال ان الناقد البصير من رأى اخوانه واقرانه عقارب تسعى اليـه وافرط اذ حدَّد الخبير الحكيم من اذا والته الايام جرى مجرى اهلها في الفتك والغـدر وهكذا عدّد تلك المساويْ العائثة جراثيمها كالجرب في جسم الانسانية. فبجزمه الباتّ من غير استثناء هو قسوة وصرامة في الحكم وهو ناجم ولا ريب عن ضيمه الاليم ويأسه البالغ

ولما اراد التخلص من المديح طرق باباً لم يطرقه اقرانـه السالكون الى المديح طرق المجون والغزل فانه تخطى الاحياء والخطّيات والعافنات وجموع الجنود ونثر زهور المديح على هام الظافر بطاغية العجم ورصف وقائعه وصفاً رائقاً اليه منتهى البـلاغة

ملّا قاسم الرامي (١١٨٦ = ١٧٧٢ لم نقف على زمن مولده ولا على تفصيلات من اخباره وما عرفناه عنه انه كان من اهل الطريقة الصوفيـة ومن متقدّميها وكان يصحب شيوخها ويحدو لهم لانه كان موسيقياً خبيرًا بالنغمات والنقرات وكان شاعرًا مجيدًا برع خاصة في نظم الالغاز الدقيقة اللطيفة وشعره جيد اكثره في المدائح النبوية على شكل الصوفيات وذُكر له مسمطات بليغة في المديح على حروف الهجاء فبـدأ القصيدة الاولى بالالف واتخذ رويّها الباء وبدأ القصيدة الثانية بالباء وجعـل رويّها التاء وهكذا الى آخر حروف الهجاء. وورد له في منهل الاوليـاء وفي الشمامة ابيات متفرقة في الغزل وخمس قصائد ضافية بالمدائح. وله ايضاً يد طولى في الشعر القصصي فانّهُ نظم بعض الوقائع التي جرت في زمانه منها ان الحـاج حسين باشا جهز العساكر سنة ١١٥٣ وسار بها قاصدًا الاكراد لوحشة جرت بينه وبـين بهرام باشا والي العمادية فنهب قرى النافكر وقرى الدواسنة ثم حاصر العمادية حصارًا شديدًا فصالحه بهرام باشا على مالٍ فعاد عنه وفي هذه الغائلة اذاع اهل العقر شهر رمضان وصاموا شعبان فانفذ الحاج حسين باشا من يصحح خطأهم فقال الرامي في ذلك (من الخفيف):

قرية العقرِ خربـة البلدانِ مـالهم همّة سوى الهذيان

مُترفوهـا طغوا فحقّ عليها م القول من ربنا بكل هوانِ

يكرمون الغريبَ كيدًا ومكرًا لاكتسابٍ من ماله بالعيـانِ

يخضبون الدقون خوف بياض بسوادٍ فتبـدو بالالوانِ

حاربوا الموصل الحدبا بجهلٍ واباحوا بقتل قاصٍ ودانِي

نقلت عنهمُ الرواةُ صحيحاً ضيّعوا شهر صومهم بالزمانِ

حيث صاموا شعبان اذ هم بزعم صحّةُ الصوم كان في رمضـان

وانشد لمّا حمل سليمان ابن الغازي الجليلي على جبل سنجار وكان قد تمرّد فافتتحه ونـكل باهله قال (من الطويل):

أنشرٌ من الزوراء كالمسك فائحُ سرى ام سليمانٌ الى الفتح فاتـحُ

رعى الله من غازى وجاهد مخلصاً واورى زناد الحرب والنصر قادحُ

ومنها:

تصدّرتَ من دار السلام بجحفل قلوبهمو فوق الدروع صفـائحُ

سريت الى سنجار كالبدر حوله نجومُ غزاةٍ للطغاة تكافحُ

فجئتهمو والكفر قـد مـدّ ظله وعسعس حتى لا تفيد النصائحُ

فكم مسلم من قبل سبعين حجةً بدا دمه من سيفهم وهو سافحُ

وقد حاربت آلَ النبي اصولهم بقتل حسين الفرد والبغض واضحُ

الى ان قال:

وكل الورى اعداء ابليسَ جملةً ودينهمو في ودّ ابليس طافحُ

لك الله قد طهّرت ارضاً تقادمت بها يعبـد الشيطـانَ غادٍ ورائحُ

وهي طويلة. ومن نظمه اللغزي قوله يلغز في اسم الموصل وهو طويل فنقلنا منه ما فيه الدلالة على المقصود قال (من السريع) :

ما اسمُ شيءٍ قد حكى صدرُهُ مبسمَ مَن اهوى لذيذ الكلامْ
وقد حكى ثانيه صدغاً بدا والثالث العينَ وباقيه لامْ
وان قلبت الكل منه تجدْ مع حَذف اخراه نهار الصيامْ
حروفُهُ مهملةٌ كلُّها كانما العجمة فيها حرامْ
وان تردْ باءً على ذيله تراه لبًّا وهو فخر الانامْ
وصدرُهُ مع عجزهِ فيهما زِدْ الفاً تلقاه فيض الكرامْ
حروفه اعداد مجموعها ست وستون ومايةٌ تمامْ
فبيِّن اللغز الذي قد اتى يبغي ورود الفضل اذ كان طامْ

فاجابه الغلامي واجاد في الجواب ومما قال :

الغزتَ يا مولاي في بقعةٍ تجري لها الدجلة جري الكرامْ
فنصفها الآخر من لفظها امرٌ لمحبوبك عند انصرامْ
كذا تجده فرخ افعى غدا ينساب في الارض دقيق العظامْ
ونصفها الآخر بالباء صل تجده ماكولا لنا في الطعامْ

والفرق ظاهر في شعر الرامي ما بين مديحه وقدحه ام لغزه فان في الاول جودة ومتانة وسهولة لا توجد في الاخيرين

عثمان ابو النور عصام الدين الدفتري بن علي ابي الفضائل العمري (١٠٨٤- ١١٧٠)

ولد في الموصل سنة ١٠٣٤=١١٢١ ونشأ فيا بين حمائل [illegible] والادب وقرأ على الشيخ درويش الكردي والعلامة [illegible] الاربلي ثم [illegible]

اليمن واخذ عن الشيخ صالح الحيدري وعن غيره من علماء الحيدرية . ولما عاد الى الموصل التحق بالوزير الحاج حسين باشا ورحل معه الى قارص قوان وتولى بعض البلاد الصغيرة كأرويش واستمر على ذلك حتى عاد الى الموصل قبل سنة ١١٧٠ واشتغل عند الغازي الجليلي ومكث كذلك اعواماً ثم رحل الى القسطنطينية فولي حساب بغداد ودفتر اراضيها وفي عودته منها دخل حلب فخف الى استقباله الكبراء وامتدحه الشعراء وبقي في محاسبة بغداد مدة اربع سنوات

ولما توفي سليمان باشا والي بغداد وخلفه في الولاية علي باشا سنة ١١٧٥ــ١٧٦١ امسك عثمان الدفتري وزجه في السجن وكان السبب في ذلك على ما ذكره صاحب منهل الاولياء ان علي باشا طالبه باموال سليمان باشا التي كانت قد ذهبت كالزبد جفاء فسجن مراراً في عدة قلاع ومواطن . ثم أطلق له المقام في الموصل فعاد اليها ثم خرج منها سراً يريد القسطنطينية ولما كان في الطريق أمسك وأعيد الى بغداد وسجن ايضاً واصابه الفالج وهو في السجن فأعيد الى الموصل لكن همته لم تفتر عن السفر الى عاصمة العثمانيين وكان مرضه قد خف فسار اليها وهناك ادركته منيته . ترك من التصانيف : ١ً كتاب الروض النضر في ادباء العصر وفيه امثلة من اشعارهم ومنه نسخة في برلين وفي المتحف البريطاني وقد اطلعنا على نسخة منه فالفيناه كتاباً نفيساً لكنه يخلو من فائدتين هامتين وهما سنة ولادة المترجم وسنة وفاته ويلاحظ فيه ان اغلب اوصاف المترجمين متساوقة المعنى والتعبير

ترجم فيه ١٢٣ فاضلاً من الادباء الاعلام واورد من شعرهم الفائق الرائق ومن نثرهم البديع والكتاب يقع في ٧٤٨ صفحة من القطع الكبير وحذا فيه حذو الريحانة والنفحة وسار على مناحي الكتاب من شراح البديعيات فانه يذكر ابياتاً للمترجم ويورد اشعار من سبقه الى ذلك المعنى بحسب زمانهم وطبقاتهم حتى يصل الى مبتكره وربما عد في ذلك الموضوع عدداً كبيراً من الشعراء الذين اخذوا ذاك المعنى الواحد عن الآخر . وعنه خاف ما يقتضيه هذا من الوقوف التام على اشعار الجاهليين والمخضرمين والمتقدمين والمحدثين والمتأخرين فالاحرى بهذا الكتاب ان يسمى مجموعة ادب تومئ على سرقات الشعراء المتقدمين والمتأخرين من ان يسمى كتاب سير وتراجم

اما شعره فمبعثر في منهل الاوليا والشمامة ومنه شي ليس بقليـــل في الموصليات وهو نفسه عقد في آخر كتابه «الروض النضر» فصـــلاً في مراسلاته النثرية والشعرية وفيها الغزليـات والاخوانيات والخمريات والشوق والمديح وهي نزرة بالنسبة الى اشتغالاته وشهرته . فمن قصائده في المديح قوله (من الطويل) :

أبرقٌ بدا يا صـاح ام طلَعَ الفجرُ | أم ابتسمَتْ ليلى فبان لهـا ثَغْرُ
ام الصبح ام هذا الجَبينُ الذي بدا | امِ الشمس ام فَرْقُ الحبيبة ام بَدْرُ

وبعد اغراق في التغزل ووصف يطول لا يخلو من الغلو يخرج الى المديح بقوله :

حـكاها حسينُ المجتبى في فعــاله | اذا أَمَّهُ راجٍ وقـد حفَّهُ بِشْرُ
همامٌ إمامٌ بالمعــالي ومسندٌ | لهُ الفضل والاحسان والسعد والنصرُ

وله من قصيدة يتشوق بها الى مسقط رأسه وقـد مزج الشوق بالشكوى من تصرُّف الزمان وتقلبات الحدثان فكأنهُ كتبها في ضيق السجون برقّـة الشاعر المتألم فتدفقت شواعرهُ تدفُّق الماء العذب بين حلاوة الـذكر ودموع الاسى وزفرات الصعداء قال فيها (من البسيط) :

ما فاح نشرُ صبا تلك المعـالم لي | الّا واذريتُ دمع العين في وجلِ
ولا شدا الوُرْق في ايكٍ على فنن | الّا وصرت كشوقي جاريَ المقلِ
ولا تذكرت اوطاني ومنزلتي | الّا وايقنت ان العزَّ بالنقـلِ
اين العراق وتلك الدار اين سنـا | تلك الجنان ففيها قد حلا غزلي
لله اذ كنت فيها في صفاً وهنـا | وطيب عيش مضى احلى من العسلِ

...

والدهر قد ضمنت ايّامه جذَلا | واكمنت لي ليالي السُّود للجدلِ
فما شعرت بغدر الدهر من سفهٍ | وما انتبهت له حتى تنبَّه لي

فصار يلفظني ايدي سبا حنقاً على معاملتي اياه في الازلِ
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبال حزون يوماً ويوماً ذُروة الجبلِ
والعزّ يوماً ويوماً رفعة وعُلَى والذلّ يوماً ويوماً رتبة السفلِ
فانحلّ عقد اصطباري لوعةً وغدا صحيح جسمي محلّ الفكر والعللِ
بذلت جهدي فلم تنفع مجاهدتي واحتلت فيه ولم تنفع بهِ حيلي

وختمها بابيات اليها منتهى الفخر والحماس فقال:

واشددْ لها حزم صبر غير مضطرب واسلك لنيل مُناها اصعب السبلِ
وانهض لنيل العلى واركب لها خطراً ولا تكن قانعاً في مصَّة الوشلِ
فهامةُ المجد عندي ليس يركبها من كان يقنع من دنياه بالبللِ

وشعرهُ الخمري لا يقل اهمية ورقةً عما ذكرناهُ لهُ ومن ذلك قولهُ في قصيدة (من الرمل):

ايقظِ النَدْمانَ تأتي الصَّبوحْ فالضيا قد آن يا نجماً يلوحْ
قم فان الكأس في وقت السحرْ صحف الابريز تزهو بالدررْ
جددَنْ انسى باقداح المدامْ انها الخمر التي تحيي العظامْ
قم فان العمر ماض لا يعادْ وأحيني في ذكر هند وسُعادْ

وصِفِ الصهباءَ وقتا بالنسا ثم كرّر لي احاديث الصِبا
وأعد بالله نغاب العراقْ ان بُعد الدار مما لا يطاقْ

ووجدنا لهُ في الموصلات قصيدة طويلة على شكل شطرنجي تقرأ على اوجه شتى وقد لزم فيها قافيتين منها

هـذا الحسين المحتشم صدرُ النوال في الندى
مولى المكارم للامم سيفُ الجلاد في العدى

لكنها لا تخلو من بعض الضعف والمعاني المكررة المبتذلة وقال في الاخوانيات (من الكامل):

ولقـد ذكرتك والبواتر شرَّعٌ وقتام وقع الخيـل غيمٌ مطبقُ
فوجدت من ذكراك يا خلّ الصبا سُكرًا باواع المسرَّة محـدقُ
فحسبتُ اني والحبيب مؤانسي والعود يُطربُ والمدامة تـ[illegible]قُ

وجاء ايضاً شيء من اخباره واشعاره في سلك الدرر ٣ ١٦٤

السيد يحيى بن فخر الدين المفتي الحسيني (١١٨٧=١٧٧٣) ولد في الموصل سنة ١١١٢= ١٧٠٠ ونشأ فيها واخذ العلوم عن الشيخ عبدالله الرتكي المدرس والشيخ احمد الحميلي فتضلع من علوم العربية واتقن الفارسية والتركية وكان له المام تام في الحساب والاسطرلاب والربع المجيب ولمّا حج اجتمع بعلماء حلب والشام والحرمين وكان له جاه وشأن وقبول عند رجال الدولة والسلاطين [illegible] [illegible] اليه الفتوى سنة ١١[illegible]٣=١٧٣٠

وردت ترجمته في الشمامة وروض [illegible] [illegible] الاولياء واثنوا على محامده [illegible] وقالوا اقبلت الدنيا عليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان بيته مأوى لارباب الحوائج والامراء والعلماء [illegible] الاكابر [illegible] [illegible] [illegible] كثيرون وكان له جماعة من الطلبة يدرسون عليه فقال صاحب الروض: و[illegible] [illegible] وسرحمة، ومنبع العلم وموضعه، السيد [illegible] [illegible] [illegible] ورث الفضل كابراً عن كابر، ...

[illegible] من شعره [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والقرين والحر والالغر ونظمه رقيق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على منوال [illegible] [illegible] [illegible] الدين

الحلي في فخرئيتها قال مفتخرًا (من الطويل):

لنا في انتساب الفخر بيت مشيَّدُ وفينا لنيل المجد عزم مؤيَّدُ
سحائبنا في الجود جود لشائم فروض الندى منهُ طريٌّ مودَّدُ
علونا على طود الفخار بجدّنا سمونا سماكاً حينما كان يقصدُ
مصاحفنا تُتلى غدوًّا وبكرةً صحائفنا بالفضل ذكر مؤبَّدُ
عوارفنا غُنم لمن رام وفرة معارفنا اثواب عزّ تسدَّدُ
فراكبنا سبَّاق كل ملمَّة وراجلنا عضبَ العلاء مقلَّدُ
نعفُّ ولا نبغي السلامة بالردى ولا الزور نرضاه ولا فيهِ نشهدُ
ونحمي لعرض الجار عهدًا وذمة نروم بهِ ذكر الجميل ونقصدُ
بذا كله لم نحظ من دهرنا عنَى لنا ولاهل الجهل لا زال يرفدُ

فهل حقيقةً لم ينل غنى وجاهاً بعد شهرته الذائعة وبعد اقبال الدنيا عليه ام قال ذلك اقتفاء بابي فراس الامير الحمداني صاحب الحول والطول القائل:

ووالله ما قصّرتُ في طلب العلى ولكنَّ كان الدهر عنيَ غافلُ

واجاد ايضاً في باب التقريظ ومنهُ تقريظهُ للروض النضر قال فيهِ (من الوافر):

عقودٌ وشحت صدر الطروس ام السكر المخامر للنفوس
ومنشور فصيح راق معنى بروض مثل صهباء الكؤوس
شطور سطورهِ تنمو وتزهو برونقه على العقد النفيس
صحائفه لأعين ناظريهِ تضيء بلاغةً مثل الشموس

ولهُ ابيات اخرى في منهل الاولياء وفي سلك الدرر ٤ : ٢٣٣

عبدالله بن فخر الدين مفتي الحنفية (١١٨٨=١٧٧٤) نشأ في الموصل واخذ عن علمائها واشياخها فنال قسطاً وافراً من العلم وبرع في الاداب العربية. ثم دخل في خدمة الحكومة فاحرز شهرة ذائعة وبعد مدة قضاها في هذه الخدمة انحدر الى بغداد والتحق بخدمة واليها احمد باشا بن حسن باشا وهناك اقبلت الدنيا عليهِ وازدادت ثروتهُ وشهرتهُ فمدحهُ الشعراء واصبحت دارهُ مقصداً لذوي الامال والحاجات خاصة لما صارت اليهِ رياسة ديوان الانشاء.

ذكر لهُ صاحب منهل الاولياء تآليف عديدة ورسائل مفيدة وقال ايضاً انهُ وجد لهُ شرح رسالة العاملي فى علم الهيئة وهو بهاء الدين العاملي (١٠٠٣ هجرية) الشهير بتصانيفه في العلوم الرياضية وعلم الهيئة والفلك. ووجدت لهُ نظماً في غاية الجودة والرقة كما وصفهُ جامعوهُ ومن احسن الاثرة الباقية من نظمهِ قصيدة غزلية رزينة الاسلوب جيدة الصوغ والمعنى خالية من الاستهتار وفيها دلالة كافية على سلامة ذوق ناظمها قال (من الخفيف):

أرياضٌ فاخرنَ غِيد الحجالِ	بطراز الاكمام والاذيالِ
ام سنا البرق لاح من حيّ ليلى	فاستنارت منهُ دياجي الليالي

وفي قصيدة اخرى مزج الفخر بالمديح واورد حملة لاحمد باشا والي بغداد المذكور على قبيلة من الاعراب تعرف بآل قشعم وقد ضمن الاسم في احد ابياتهِ قال (من الطويل):

أغرتَ مغارًا فيه اكرمْ مغنمِ	وحزت فخارًا فيه كلُّ التكرُّمِ
علوت متون السابحات على الونى	وخضت غمارًا دونها عطر منشمِ
ومثلك من يبغي فخارًا وسؤددًا	يبيت ويضحي فوق اشهب شيظمِ
نعم هكذا نيل العلى واكتسابها	فان المعالي لا تباع بدرهمِ
قطعت اليهم كل بهماء مقفر	وجئت فلاةَ بالمعاطب ترتمي

فصبّحتهم كالموت ينزل خافياً   فظلوا حيارى بين نصل ولهذمِ
عُقابُ الوغى لما اتى طار صقرهم   الى حيث القت رحلها امُّ قشعمِ
فخلّوا لك الاموال من كل تالد   ومكتسب من كل شاء ومَنسِمِ

وفي قصيدة ثالثة يتغزّل بذكر ليلى وزينب ويكشف عن مكامن الشوق باحسن قوالب البلاغة وهذا مطلعها (من الطويل):

أقدُّكِ ذا ام خوطُ بانٍ به زهرْ   ووجهكِ ذا ام بارقٌ لاح ام بدرُ
وهذا وميض شِمْتُهُ من تهامة   ام ابتسمَتْ ليلى فبان لها ثغرُ

وبعد وصف وشوق وطول اصطبار يتخلص الى المديح بقوله:

فقلت ذَريني انني انا سائر   الى بحر جود من عوارفه اليسرُ
فتى لا يجارى في المكارم والعلى   بنائله يوم الندى يُقتَل الفقرُ

ومن المديح المذهب الذي لا يجار من المعاني المطروقة يخرج الى الحماس والفخار بمجد العرب في عصر تركي عاش قال:

أنا من العرب الكرام أولي العلى   وفينا الهدى والمجد والعلم والشعرُ
وما ضمّ حبُّ المال قطُّ صدورنا   فاموالنا [illegible] واعراضنا حرُّ
أبى المجد الّا ان نعيش بعزّة   اذا لم يكن مجد فمختارنا القبرُ

وانشد ايضاً مفتخراً بادبه وعلمه مؤثراً معه حالة الفقر والعدم على الغنى الذي لا يُعدّ بشيء بجانب الغنى الادبي وفي المجد الطريف بالاعتبار قال (من الطويل):

اذا لم اجدّد كل يوم منزلا   من المجد اني ذلك اليوم في خسرِ
وما ضرّني اذ كنت بالمجد مثريا   اذا كنت صفر الكفّ من ثروة الوفرِ

وما الفقر عيب في الرجال وانما ... خلوُّ الفتى عن مجده اشنع الفقرِ

وعاتب قصيدة رائعة لكنه في مدائحه وفخرياته وغزلياته ابلغ معنى وارقّ شعورًا وامتن لفظاً وقد نظم قصيدته معاتباً وشاكياً من عدوات الزمان التي قذفت بهِ الى ديار الغربة فقال وهو في دار السلام (من الطويل):

الى الله اشكو من زمان يُعاندُ ... بهِ كلُّ ذي مجـد لهم ويكابدُ

زمان بـهِ المغشوش يطلبُ نفقاَ ... وكل نقيّ خالص فهو كاسدُ

ولا تعرف السرها من ذات بهجة ... وسيّان اجلالًا سنيهٌ وراشدُ

فيا ليت شعري هل حميم مساعف ... بايّامنا او هل صديق مساعدُ

وكم من شريف كيّس ذي فصاحةِ ... ذليلٌ ومحتاج مهان وفاقدُ

لحى الله من ارسى بموطن ذلّة ... ننسا فيها حسّاد ويقعد راصدُ

فهلّا يسير الطالب النجيح والعلى ... يسير برحب الدوّ وهو يجالدُ

يسير سراعاً ليلة مدلهمّةً ... حليف سُهادٍ والسواري تطاردُ

هذه ملح من قصائده وهي كثيرة في السلامة وفي منهل الاولياء

عثمان بن عمر الشهير ببكتاش او البكتاشي(١١٩٠ =١٧٧٦)ولد في الموصل ولم نعلم عام مولده وقرأ على شيوخها ومن اشهرهم يومئذٍ الشيخ موسى الحواري ونبغ في الآداب ثم تصل بالولاة الجليليين وكان عندهم كاتب العربية ثم اعتزل الوظائف وقد ادركته حرفة الادب فنبه فيها وفاق اقرانه في نثره ونظمهِ

امّا نسبتهُ الى البكتاشية (١ فلا نظنّ ذلك لتمسكه بهذه الطريقة المتشرة

---

(١) تنسب الطريقة البكتاشية الى رجل يدعى حاجي بكتاش ولي من العلماء ولد في نيشابور وتتبع احمد اليزدي وقيل ان [illegible] ترقيم كلمة «البكتاشية» ويذهب بعضهم الى ان بكتاش [illegible] البكتاشية الى الاسلام ويؤيد هذا الرأي العلائق الصحيحة التي تربط الطائفة البكتاشية بالبكتاشية. هذا ويرى ان مؤسس البكتاشية هو اسم دائم داهمه الى ان بكتاش ولي سم عارٍ عن الحقيقة

حينئذٍ فان ادبياته لا تدلّ على انتسابه الى هذهِ الطريقة والشعر من ادل البينات على نفسية الشاعر وميوله ولم يذكر مترجموهُ شيئاً عن طريقته وتشيعه للبكتاشية ولا يبعد ان يكون الصواب ما قالهُ صاحب منهل الاولياء انهُ ورث هذا الاسم من عمهِ

ينحصر شعره في المديح وفيهِ ايضاً الخمري والغزلي والفخري والبطلي وقد ابدع واجاد في الشعر التاريخي وفاق بهِ اقرانه من اهل هذا الفن. وشعره كله جيد يتحلى بالطبعيَّة والمتانة والرقة ويقلّ فيهِ الإغراق في المبالغة. وهو وان كان قد اجاد فيما ذكرنا لهُ من انواع الشعر لكنه برّز في الفخريات والبطليات ووصف الوقائع والمعارك

لم يجمع لهذا الشاعر المجيد ديوان مع نفاسة نظمه وجودته واظن ان لـهُ من القصائد البليغة عدد لا يستهان به مبعثرة في المجاميع ووقفنا على بعضها في الزهور العواطر والموصليات ومنهل الاولياء وطبع له المرادي قصيدتين احداهما في المديح ضمّن كل شطر منها تاريخاً والثانية في رثاء السيد يحيي مفتي الموصل وضمن ايضاً كل شطر تاريخاً. ولهُ قصيدة في الموصليات تقع في تسعة وعشرين بيتاً ضمن كل شطر منها تاريخاً لقدوم والي بغداد الوزير علي باشا الى الموصل في محرم سنة ١٢١٨ هجرية وكان قد اقبل بجملةٍ على سنجار فهنّأهُ على ورود الوزارة لهُ سنة ١٢١٧ قال (من البسيط) :

اما الحقيقة التاريخية الثابتة فهي ان الطريقة البكتاشية كانت منتشرة حوالي القرن السادس عشر للميلاد وكانت طريقة متبعة ومرعية الجانب في الديار التركية ولها فروع معروفة مثل قزل باش الخ . وتقرب مبادئها من مبادي الصوفية والمتشيعون لها يحبون الامام علياً حباً جماً ويقدسون ضريحهُ وضرائح اولاده ولا يحترمون الخلفاء الثلاثة الاولين ويعترفون بالائمة الاثني عشر ويكرمون كثيراً جعفر الصادق. ومن فروضاتهم ان يجتمعوا للذكر في ناد يسمونهُ « ميدان اوطه سي » المعروف عندنا بالتكيَّة وان يوزعوا في اجتماعاتهم خبزاً وجبناً وخمراً وان يعترفوا بجرائمهم الى الزعيم الكبير وهم ينبذون القول بستر النساء ويذهبون الى ان النفس تتجول وتترحل. ومنهم طائفة تتعزّب

وكان للبكتاشية قبلاً موقع سياسي هام اكتسبوهُ من اليكيجرية وكانت هذه العلاقات ذات صلة دينية ولهذا سمي اليكيجرية بالبكتاشية ايضاً ولما اعتزم السلطان العثماني محمود الثاني على ضرب اليكيجرية ضربتهُ القاضية اتى ايضاً الى البكتاشية ففرق جموعهم واخرب تكاياهم وانديتهم ويقال ما زالت الى اليوم طائفة منهم تقيم في مجاورات القسطنطينية ومتاجق والمقطم في القاهرة

باب الوزارة في دار السلام علي بسعده دخل الوالي الوزير علي

حاز الوزارة والقدر الجليل معاً وفاز في دولة زادت على الدولِ

ونال نصراً وفتحاً ليس يقطعهُ عقلٌ منيف بنقلٍ عنهُ مكتملِ

الله قلده ملكاً وفضّله على الملوك وهذا الحكم في الازلِ

...

اليكها بكرَ فكرٍ انت سامعها جلّت وحلّت بناديكم على عجلِ

ارجوك تمهرها حسن القبول حمى عنّا ورأيك فيها لم يخب املي

وامتدح محمد امين باشا الجليلي بقصيدة حماسية فخرية رقيقة الحواشي بليغة المعنى عارض بها العنتريات ووصف، واقع ممدوحه في الحرب التي انتشبت بين تركية وروسية وكان المذكور قد ابلى في هذه الحرب بلاء حسناً فلُقّب بالغازي . فهذه القصيدة وان كان الشعراء المتقدمون قد طرقوا ابواب معانيها فلا تخلو من الانسجام وحسن السبك ومما جاء فيها قولهُ (من الكامل):

لا يُرتقى اوجُ الفخار الانفَسِ عند اللقا الّا بشقّ الانفسِ

فاصبر اذا التقت الاعنّة والتوتْ قصبُ الاسنّة صبرَ قرمٍ اشرسِ

وتدرّعِ الصبر الجميل ودُسْ على شوك القنا حافٍ بغير تهجُّسِ

واذا العضال على العضال تكسّرت وتفكّكت حلَقُ الحديد الاخرسِ

فاسبقْ الى اوج العُلى واقدم على ضرب الطُلامن تحت هام مطوّسِ

واعلم بانّ الموت كأس دائر لا بُدّ ان تُسقى بتلك الاكؤسِ

لا تدفع الاجلَ المقدّر حيلةٌ نُظمت قلائدُها بصدر موسوسِ

...

سل ان جهلت مكانتي اوج العلى والسائرات من الجواري الكُنَّسِ

فليَ الحميّة عند مشتكِ القنـا تحت العجاج على العديد الاخيسِ

واذا قحمت وغى الحروب حسبتني نجماً تحلّق في سواد الحندسِ

فالحرب راحي والملاحم راحتي والبيض نُقلي والذوابل نرجسي

وهي طويلة وكل اياتها جيدة حسنة . واستهلّ ايضاً بعض قصائده المديحيــة بالتغزل والمجون فابتدأ احدها بقوله :

ما خُطّ حاجبها كالنون في عوَجِ الّا لتأكيد فعل الاعين الدُّعجِ

وله موشحتان بليغتان مزج فيهما الخمريات بالغزليـات وفيهما حسن التخلص الى المديح قال في احداهما :

شنَفُ الطالّ المسلسلْ سل من ثغر الاقاحْ

وفم الابريق هاطلْ باسان الراح صاحْ

ايها الساقي تفضّلْ واملأ الاقداح راحْ

بابنة الكـــرم المدلّلْ زوِّج الماء القراحْ

ومن الروض تمثّلْ فشذا انفـاح فاحْ

عرق الطلّ المرتّجْ في جمـان من نُضـارْ

برداء السمس يمسحْ من خدور الجلّنـارْ

قدّم الدنّ اطرحْ واملأ الكاس عُقـارْ

ان زهر لروض قدّحْ رانجلي وجه اثمارْ

وبانـار السفرجلْ ذهب المصباح باحْ

خذ بنا نحو المدائنْ نتتنم هذا النعيمْ

فوق اكمام الشقــائقْ تحت اذيال النسيمْ
هات عن ذات المناطقْ وصف اسحق النديمْ
ما ترى السنطير ناطقْ يرفع الصوت الرخيمْ
وبها القانون جلجــلْ وقوامُ الغصن صاحْ

تُبْ عن الخمر المعتَّقْ واهجر الخود الحسانْ
ودع الروض المنمَّقْ وربيع العنفوانْ
واهدِ هذا الدرّ أليَقْ لسليمان الزمــانْ
آصف الرأي الموفقْ ذو المعــاني والبيــانْ
من بهِ الصعب تسهّلْ وبهِ الاصــلاح لاحْ

وهي طويلة فيها كثير من المجون والاحماض. وله من عدا النظم ترسّل بديع استوفى فيهِ شرائط السجع باختيار المفردات الفصيحة والتاليف الفصيح ومقارنة اللفظ للمعنى وقد جعل منشوراته بنوداً جرى فيها مجرى احدهم شهاب الدين الموسوي وقد وصف في البند الاوّل الآيات السماوية وفي الثاني الآيات الارضية ومفادهما التوحيد وفي الثالث ذكر الرسل والانبياء. فعارضهُ عثمان بكتاش وجعل منشورته ستة بنود في الاول قدرة الله وعظمتهُ في وصف مخلوقاته ثم انتقل الى المديح ومن بنوده قولهُ :

«شنّفْ بالثنــاء الرائقْ، سمع الفطن الفائقْ، واتبع اثر الســابق، يغنيك عن اللاحق، وانظر نظر الحاذق، صُنع الملك الخالق

«في الزُّهر، وما في الانجم الزُّهر، ترى من اثر القدرة ما يجلي دجى الحيرة، في نور ضحى الخبره، من بسط ومن قبض، ومن رفع ومن خفض، بهِ اوضح برهان، هدًى ينبيْ عن وحدة سلطان، عظيم نشرت رحمتــه طيّ ردا الريح، فهبت وتمسك باذيال صباها اعلى الشيح، فانشق سحب الخير، وصاح الرعد لا ضَير، وسُلّت قضب البرق، فسالت ادمع الورق، الى ان مُلئ الحوض، فاحييت قطع الروض، فانبتن على

الانهار ، انواعاً من الازهار ، من آس ونسرين ،واجناس رياحين ، ومن ثغر اقاح ودّ لو عضّ ، على الاصبع من منشوره النض ، ومن اسنان طلع ضحكت عن شنب الطلّ ، دبّ فيها عارض الطلّ ، وشامات بنفسج حكت النار باطراف كباريت ، وساقات زبرجد حملت من ورق الورد يواقيت ، واحداق سبيك الذهب الاحمر ، من فوق قوام القصب الاخضر ، في فضة اجفان عيون النرجس الابيض ، ينظرن الى النور اذا عن عينه أغمض ، والعصفر في الزهر ، على النهر يضاهي أكفّ صُفر ، اذ بُلّل بالقطر ، روى عن عبق العِطر ، وتفاح كاقداح ، نضار مُلئت راح ، ونارنج كحقاق عقيق ، مسكها فاح وروض فرّش القطرُ بهِ الزهر ، واجرى حوله النهر ، كالاعين النُجل ، والجدول كالحجل * بساق الشجر الاخضر ، والماء به حدّث بياقوت الحصى الابيض عن كفّ سليمان اذا عارضه امطر بالاحمر والابيض . . . » ومن ثمّ ينتقل الى المديح ناسجاً على هذا المنوال . وله عدا ما ذكرنا تخاميس ومفردات في التاريخ . واخباره واشعاره كثيرة في سلك الدرر ٣ : ١٦٣ ومنهل الاولياء والموصليات والزهور العواطر

علي بن علي ابي الفضائل العمري (١١٩٢=١٧٧٨) لم اجد له في التراجم الفاروقية الّا اسطرًا قليلة قال الكاتب فيها انه لم يقع على اخباره . وسُمي باسم ابيه لان ولادته كانت على اثر وفاة ابيه التي جرت كما ذكرنا سنة ١١٤٧ . وقد اطرى صاحب منهل الاولياء فرط ذكائه وكان معاصره واثنى على نظمه ونثره وذكر انه صنف تصانيف جيدة في البديع والبيان قال : وجمعت له كتابين يشتملان على قريب من ثلاثين فنًا بعبارات مختصرة فاستصحبها معه في رحلته الى الروم وهناك قضى نحبه في التاريخ الذي ذكرناه ودفن في اسكدار

وكان صاحب الشامة معجباً بشعره وباسلوبه الشائق في الترسّل ونوّه بذكر علومه ومعارفه وذكر له نتفاً من نظمه فلم ننقل عنه شيئاً واقتصرنا على نقل بعض ما جاء في الموصليات حيث وجدنا له نحو احدى عشرة قصيدة عصماء من مختارات نظمه وفيها انواع الشعر من مديح وغزل وحماس وفخر ورثاء الخ . ونظمه فيما يتحلى بالبساطة من غير اغراق في الوصف ام اطراء مملّ في المديح فهو اميل في شعره الى

سرد الحقائق وابراز عواطفه بعبارات صريحة لا يُشعر بهما غموض ام تكلف مع مراعاة ضوابط اللغة وحسن استخدام البيان والبديع

ويتضح رسوخ قدمه في الشعر بقصيدته الشهيرة التي سماها «الجوهر الثمين في بعض وقائع الامين» وهي قصيدة ضافية الحواشي تقع في ١٩٠ بيتاً ذكر فيها مواقف الغازي الجليلي في حرب روسيا وهنأ ببعض ابياتها ابنه سليمان باشا بورود رتبة الوزارة اليه وهذا شيء منها (من الطويل):

ألا عاطِني الاقداحَ في زهرة العُمرِ	ودعنيَ من زيد يقول ومن عمروِ
فقد ذقتُ حلو العيش من بعد شدةٍ	وقاسيت اسفارًا امرّ من الصبرِ
وقد ملّ جسمي من معاقرة السُّرى	وقد سئمت روحي منادمةَ المُهْرِ
الى مَ ركابُ العزم هُزَّ اثيرهُ	وتلفظني بِيد الفيافي من الثغرِ
فيوماً بسلعٍ ثم يوماً برامةٍ	ويوماً بحُزوى ثم يوما رُبى القصرِ
وآونةً غربيَّ رومٍ وتارةً	عراقا وطورًا في الشمال وفي مصر
كأني كراتٌ بالعصيّ تلاعبت	بها الناسُ او مثل السقاة على عذرِ
اشقّق قلب الشرق دينار شمسهِ	لألقيَ كيسَ الغرب عن درهم البدرِ

ومنها :

غداةَ سرى من آمدٍ باوامرٍ	أتته من السلطان عالية القدرِ
فقام بعون الله يطوي منازلا	بسعد كبدر التمّ في الافق اذ يسري
بفرسان حرب كالاسود عوابسٍ	اذ ازدحمت عند اللقا ساحةُ الكرّ

...

فالقوا عصا الترحال في خُطبٍ وقد	تراءت رجال الكفر بالجحفل المجري
جيوش كامثال الغمام تتابعت	او السيل او مثل الجراد او الذرّ

وقد ثمّن السبعَ الطباق قتــامهم ... على الناس عدوًا بالمسوَّمة الضمرِ
واقلب للدنيا الصيــاح وزلزلت ... فما خلتُ الّا انــهُ موقف الحشرِ
يشقُّ لبحر الجيش بالسيف ضارباً ... وما كلُّ موسى بالعصا فالقُ البحرِ
كأنَّ الثرى طُرسٌ كأنَّ جيوشهم ... وقد رُسمت في البيد سطرًا على سطرِ
كأنَّ الظُبى صحفٌ كأنَّ جراحهم ... دواةٌ ومنها الدمُ قد سال كالحبرِ

...

تبدَّت جيوش المشركين وأقبلت ... وفَرْطَمَشالٌ يقــدم الجيش بالاثرِ
ثمانون الفاً حول بندر اسرعوا ... مشاةً وركباناً بافئدةٍ غُبرِ
ترجّلت الاعداء جمعاً وأشعلوا ... لالغامهم زحفاً بجهر وفي سرِ
وقد ضربوا تلك المدافع وارتمى ... شرارٌ لها من فوقهم جاء كالقطرِ
تظنُّ السما فيها على الارض اطبقت ... وقد ماجت البيداءُ من نفخة النشرِ
وظُنَّت ان الشمس كسفاً تساقطت ... وأهوت نجوم الافق فيها على البرِّ
وقد عقَّد الدخانُ سحباً وارعدت ... مدافعهم ساقت بهِ السحب في الزجرِ
فدخانهم ليــلٌ استّهم بــهِ ... كواكبُهُ اسيافهم شفَقُ الفجرِ
وقد عــاد مبيضُّ النهار دُجُنَّــةً ... وباتت بهِ شهب الكواكب في الظهرِ
وقد سكرت فيهِ الكماة من الوغى ... كأنَّ عليهم دارَ كأسٌ من الخمرِ

ولهُ قصيدة غزلية استهلّها هكذا (من الخفيف):

طرّةُ النهر سرّحتهــا النسائم ... وعلَت منبرَ الغصون الحمائمْ
ساجلتْها بلابل الدوح حتى ... شقّ وردُ الربى جيوب الكمائمْ

ما ترى الشرقَ سلّ مُرهفَ فجرٍ قد تعرّى براحة الافق قائمْ
وسطا بالظلام حتى تبدّى قلقاً فالدماء فيهِ علائمْ
فاختلِسْ فرصة الزمانِ بروضٍ يضحك الزهر من بكاء الغمائمْ

ولهُ في الرثاء قصيدة عصماء رقيقة المعاني رثى بها احد اعيان الموصل قال (من الوافر):

فقدنا البدرَ في ظُلَم الليالي وليثَ الحرب في ضيق المجالِ
مصابٌ عزّ فيهِ الصبر حتى جرت حُمر المدامع باشتعالِ

...

ألا يا دهرُ ويحك حين سلمٍ بعثت كتائب النُوَب العضالِ
أتدري من رميت بقوس غدرٍ من الوزراء في سهم اغتيالِ
فهل يا قبرُ كنت الافق حتى بتُربك غُيّبت شمس الكمالِ
وهل يا تربُ كنتِ السحب حتى سحبتِ الذيل من فوق الهلالِ

علي المفتي بن مصطفى الغلامي (١١٩٢=١٧٧٨) لم نقع على اخباره ومما جاء عنهُ انهُ رحل وهو شابٌ يافع الى حلب سنة ١١٤٣ ولما عاد منها تولى الفتوى في الموصل سنة ١١٤٤ وكان عارفاً بفنون الادب وخطيباً فصيحاً وخبيراً بصيراً بالفتاوى واحكام الدعاوي سريع الخاطر الى نظم الشعر فتقدم عند اولياء الامور ونال عندهم الحظوى وكان جليسهم ونديمهم

والأثرة من شعرهِ نزرة جدًا بالنسبة الى ما نوّه مترجموه بالثناء على طول باعه في النظم فان اخاه صاحب الشهامة ترجمهُ باسلوبه بعبارات غامضة ومع انهُ اسهب في ترجمته فلم يقل فيهِ اكثر من انه كان ملازماً للوزير الحاج حسين باشا وانهُ خصص لهُ اكثر قصائده وافرغ معاني شعره في مديحه لكنهُ لم يورد من شعره المديحي الّا قصيدة واحدة يظهر انهُ كتبها في اثناء رحلة الى بلاد الروم برفقة الوزير المذكور . فاستهلّها

متشوقاً الى موطنه الموصل ثم انتقل من الشوق الى المديح المرصّع بلآلئ المعاني البليغة وهاك بعضها قال (من الكامل):

برقٌ تألّق في الظلام المُسدَلِ فأثار في الاحشاء ذكر الموصلِ
اورى زناد الشوق بين جوانحٍ جنحت الى ذكر الحِمى والمنزلِ
يا ايها البرق الوَلوع بمهجتي رفقاً فديتُك بالفؤاد المبتلي
هات الحديث عن العراق فانني اصبحتُ من تلك البقاع بمعزلِ
ما حالُ هاتيك المعاهد بعدنا ما حال ذاك الرَبع بعد ترحّلي
هل جادَها صوبُ العِهاد عشيّةً هل أعشبت بهواطل المتنزّلِ
ما الروم داري يا بريقُ ولا انا ممن تُشدُّ الى ذراها ارحلي
لولا الوزير ابو المكارم والعلا وسداد ثغر الملك للمتأمّلِ
ان اجدبَتْ ارض العراق لبعده فالروم في حُلل النضارة تنجلي
فهو الذي اسدى اليّ عوارفاً اعيا عن التفصيل فيها مفصّلي
أعلى محلّي رفعةً وأنالني رُتباً تعزُّ على يد المتناولِ

وكان ذات يوم يتلو في مجلس الوزير قصيدة غرامية لاحد الشعراء. ولما انتهى الى المصراع الاخير منها وهو «لا تشرب الماء الّا من مجاريه» اقترح الوزير عليهِ نقلها من الغرامي الى المديح فانشد مرتجلًا:

عرِّج خليلي نياقَ القصد مسرعةً تطوي سُرى البيد قاصيه ودانيهِ
واجعل مناخك ان جار الزمان ذرى ابي سليم تجد عزّ الدُّنى فيهِ
فهو الوزير الذي تُخشى بوادره وهو الخضمُّ الذي تُرجى اياديهِ
وان طلبت مياه الجود يوم ندًى لا تشرب الماء الّا من مجاريهِ

وذكر له قصيدة امتدح بها عبدالله باشا حين قدم الموصل في واقعة الاعجام وهذا مطلعها (من الطويل) :

عبيرُ الهوى مني يضيع ويعبقُ　　وشمس غرامي في سما الحب تُشرقُ

مزج شيئاً من الغزل بالمديح ولم يكثر منهُ فانتهى بوصف مواقع ممدوحه وصفاً بليغاً فكأنه شهدها بنفسه ورأى الدماء خمرة مروّقة والابطال منها سكارى وصرعى ولمع السيوف الصقيلة كجداول المياه الصافية وفوقها المنايا تطفو فقال :

ومالت به الابطال صرعى كأنما　　يُدار عليها البابليُّ المروّقُ

بجدول اسياف من البحر فوقها　　تدبُّ المنايا وهي تمحي وتمحقُ

وعارض بقصيدة اخرى فخرية السموأل فقال (من الطويل) :

تقول فتاة الحي وهي تلومني　　أما لك عن دار الهوان رحيلُ

فان عناء المستنيم الى الاذى　　بحيث يُذلُّ الاكرمون طويلُ

فثِبْ وثبة فيها المنايا او المنى　　فكل محبّ للحياة ذليلُ

فان لم تطقها فاعتصم بابن حرّة　　لهمّته فوق السماك مقيلُ

فقلت ومن ذا فارشديني فانني　　الى مثله بادي الركاب عَجولُ

فقلت امينٌ غصن جرثومة السخا　　ألوف العطا للمكرمات فَعولُ

وهي طويلة. وله ايضاً في التاريخ لكنه ضعيف التركيب والمنى وقد وجدنا منهُ ابياتاً في الموصليات لصاحب الترجمة

يحيى بن عبدالله بن الحاج يونس الجليلي (١١٩٨=١٧٨٣) كان اديباً بارعاً وشاعراً بليغاً خاصّة في نظم المواليا. وصفه صاحب منهل الاولياء بالحلم والصدق والكرم وكان له اطلاع تامّ على التاريخ وجاء عنهُ انّ الوزير محمد امين باشا الجليلي اقترح

عليهِ وضع كتاب تاريخي في اخبار الدول وساعده على تبويبه وتنسيقه محمد امين بن خيرالله العمري ولمّا شارف نصفه نزل فيهِ القدر المحتوم فـأُوعز الى المصنّف العمري المذكور بمتابعة العمل فاشتغل بهِ حتى اكمله ويدّعي صاحب منهل الاولياء انه غيّر ترتيبه وزاد عليهِ زيادات مهمة جمع فيها فنوناً شتى وذكر فيهِ ايضاً اسماء العلوم وعددها ونبذاً من مسائلها واصولها

ولعلّ هذا المصنّف هو عين كتاب سراج الملك ومنهاج السلوك ليحيي الجليلي ومنهُ نسخة في المتحف البريطاني وقد انتهى بهِ المؤلف الى سنة ٤٦٠ هجرية ولم يرد في وصف هذا الكتاب شيء عن الزيادة المضافة الى ما كتبه المؤلف والظاهر ان هذه النسخة المحفوظة هي نسخة المؤلف الاصلية التي حالت منيّتهُ دون انجاز منها

امّا في الشعر فقد اشتهر كما قدّمنا بنظم المواليا لكننا لم نعثر على شيء منها ووجدنا لهُ في الموصليات قصيدتين في المديح جرى فيهما مجرى شعراء زمانه بالغزل ولا يخلو نظمه من الجودة والمتانة قال (من الخفيف) :

عطّرتنا من الرياض النسائمْ ... اذ سقى الطلُّ زهرَ تلك الكمائمْ
وتغنّت بلابل الدوح لما ... رقصت قُضْبها بخضر العمائمْ
وسرَتْ نسمة الصَّبا بعبيرٍ ... حين هبّت فنبّهت كل نائمْ
فانتهزْ فرصة الزمان بلهوٍ ... بين نشر الصبا وصدح الحمائمْ
واركبِ الجدَّ للنزاهة وانهض ... سرّح الطرف بين تلك الغنائمْ
خلّني من عويذلٍ لام جهلًا ... انما عيشهُ كعيش البهائمْ
وارتشفْ خمرةً تضوع كمسكٍ ... واحجبَنْها عن كل واشٍ ولائمْ

وله ما عدا القصيدتين منظومة غزلية في منهل الاولياء

نستطيع ان نعد الشعراء المار ذكرهم بين مشاهير شعراء هـذا العصر . واما الآتون منهم فلم نعثر على آثارهم ولم نقع على تراجمهم فاقتصرنا على القليل الـذي نكتبهُ عنهم

الشيخ عبدالله الرتبكي المعروف بالمدرّس ولد سنة (١٠٦٠=١٦٥٠) وتوفي (١١٥٩=١٧٤٦) كان كردياً من رتبك احدى قرى الاكراد الحميدية وقضى معظم حياته في التدريس فاشتهر بالمدرس واشتغل بالتصنيف فذكر له كتاب نهج المنهج في فقه الشافعية ورسالة مختصر الزواج وشرح المنهاج وذكر لهُ ايضاً بعض الشروح في علم الفروع والاصول وورد له نظم قليل جداً منه ابيات ارتجلها في ساعة احتضاره نذكر منها قولهُ (من الطويل):

لقاؤك كل الخير فاسمحْ بحبّه وطهّر فؤادي ان يحبَّ سواكا

فما لي وللدنيا واني مفارق وخير رفيق عند ذاك رضاكا

فيا راحم الاكوان لطفاً ومنّة ورفقاً واحساناً بدفع جفاكا

فحاشا ان يخيب اللائذون ببابكم وان عظمت اوزارهم بحماكا

تلطّف بحالي عند موتي وضيقتي بامنٍ وايمان ونور سناكا

الحاج خليل بن خداده الكاتب (١١٦٣=١٧٤٩) اشتهر بحسن الخط وبالنظم وشعره قليل في الشهامة ومنه هذان البيتان الموجهان الى صديقه خليل البصيري قال:

لا تحسبوا ان البعاد مكدِّر صفوَ الخليل عن الخليل وأُنسهِ

لكن حوادث في الزمان تراكمت فالمرءُ فيها قد سهى عن نفسهِ

قاسم بن محمد حسن (١١٧٠=١٧٥٦) كان تاجراً بزّازاً واشتهر بحسن الخط وكتب ايضاً نظماً رائقاً خاصة في اللغز ومن الغازه قولهُ في اسم «خليل» (من الخفيف):

ايُّ اسمٍ اذا اخذت حواشيه م تقول استحلت الصهباءُ

وترى الصبح ان تدع مبتداه م مستحيلاً وللضياء اختفاءُ

وهو لا يستحيل في انعكاسٍ وبتحريفهِ تُزان النساء
ذو حروف لقد حكت اربع الصبر م فاضحت على هواه هواء
من معانيهِ رقة وصفاء وولاء وخلّة واصطفاء

عبد الوهاب بن حسين ولد سنة(١١٢٩=١٧١٦) وتوفى سنة(١١٧٣=١٧٥٩) اشتهر برواية الحديث واشتغل زمناً طويلاً بالتدريس وكان اماماً في الحضرة الجرجية ونظم شعراً قليلاً منه هذا المختص في المدايح النبوية قال فيه:

ظبيةُ الحيّ مهجتي في يديها وفؤادي لا زال يصبو اليها
ثم لما ان صار قلبي لديها حاوِتْ زورتي فنمّ عليها
قُرطها في الدُّجى ومسكُ الغِلاله

يا لها زورةٌ لقد طهَّرتني بل وبعد الجفا لقد اظهرتني
وبعهدي القديم قد خبَّرتني ثم لما ان سلّمت ذكَّرتني
مدح من سلّمت عليهِ الغزاله

ملا احمد العارف الكاتب الغلامي — كان كاتباً في الديوان السلطاني في القسطنطينيّة وبقي في ذلك حتى نال رياسة انشاء الديوان . ولهُ في النظم آثار قليلة منها قصيدة طويلة تقع في ٥٠ بيت وهي من نوع الفخريات لكنها مطروقة المعاني ووجدنا لهُ في الموصليات هذا التخميس وهو:

يا من تزكّى عثرةً يغنيك حزمك شهرةً
ان كنت شهماً فطرةً احذر عدوّك مرةً
واحذر صديقك الف مرّةْ

يا صاحبي وانا الشفيقْ اياك تعتمد الشقيقْ

قبل التجارب في المضيق ۝ فلربما انقلب الصديق
فكان ادرى بالمضرّه

يحيى بن مراد العمري — عاصر صاحب الشامة اي في النصف ال ٢ من القرن ال ١٢ وتوفي وهو ابن ثماني عشرة سنة ولم نجد له من النظم الّا قصيدة واحدة امتدح بها احمد باشا بن حسن باشا محافظ بغداد قال (من الطويل):

سعدتم بما رُمتم وخفّكمُ البشرُ ۝ وحيث اتجهتم معكم الفتح والنصرُ
فانتم لهذا العصر روحٌ وراحة ۝ ولا شكّ ان الله فيكم لهُ سرُّ
فكيف وانتم صنتم العرض والدما ۝ كذا الدين والدنيا وهذا هو الفخرُ
الم تعلم الاعراب وقع سيوفكم ۝ وفي كل قفر موحشٍ لهم قبرُ

وهي طويلة تقع في نحو ستة وعشرين بيتاً

الشيخ صالح ابن المهار — توفي بعد سنة (١١٦٠=١٧٤٧) وكان خطيباً فصيحاً وشاعراً مجيداً لازم اولياء الامور وامتدحهم ونال جوائزهم ومن مديحاته قوله يهنئ الحاج حسين باشا بعودته من سفر (من الكامل):

وتفقّت ريح الصبا بمنعبر ۝ ملأ البطاحَ بنشره الفيّاحِ
واتى البشير بوصل يعقوب الهوى ۝ بعزيز مصرٍ يوسف الاشباحِ
ونأى العنا عنّا ولاح لنا الهدى ۝ بسنا حسام الدولة السفّاحِ
بقدومه الحدباء اضحت تنجلي ۝ بصباحة تغني عن المصباح

الشيخ فتح الله المتولي — عاش في النصف الثانى من القرن ال١٢ الهجري وكان ذا علم عزيز ويد طولى في الشعر والترسل ووجدنا له آثاراً من كليهما في الموصليات والزهر العواطر. ومن نظمه قوله في المديح (من الطويل):

سمت موصل الخضراء والروض ازهرا | وفاح شذا نشر الورود فعطّرا
لقد غنّت الاطيار فوق غصونها | وغرّد قمريّ الاراك بلا مِرا
يميناً بان الوبل من فرح بهِ | تقاطر من عينيهِ ما اضحك الثرى
متى رمتَ لاتدري يا خليلي سرورنا | فما ذاك الّا في الوزير تقرّرا
ابي الفضل نعمان الفصاحة والذكا | سليمان هذا الوقت دام معمّرا

وهي طويلة اذا يؤخذ الحرف الاول من كل بيت وتجمع يكون منها شطر بيت من وزن القصيدة ورويّها وهو قولنا « سليمان والينا له السعد قُدّرا »

وقد وجدنا كثيرين من ادباء هذا العصر وردت تراجمهم وفيها تقريظ اشعارهم والثناء على علومهم وتصانيفهم لكننا لم نعثر على اثر لهم يستحق الذكر . ومن هؤلاء ملّا عبدالله الضرير (منهل الاولياء ١٨٦) وفتح الله الصباغ الموصلي (شمامة ٢١٥) والشيخ سليم الواعظ (منهل الاولياء ص ١٧٥) ومحمد امين بن ابراهيم (منهل الاولياء ص ١٥٧) وعبدالله بن حجازي (شمامة ٥١) واحمد المسلم بن عبد الرحمان (شمامة ١٨٩) محمد بن عون الدين (منهل الاولياء ١٩٤) يوسف الصباغ (سلك الدرر ٤ : ٢٦٥) يونس الرفاعي (سلك الدرر ٤ : ٢٦٥) يوسف الكاتب (سلك الدرر ٤ : ٢٦٠)

القرن الثالث عشر الهجري

وهو يستقبل مبادي القرن التاسع عشر الميلادي وفيهِ نرى عدداً ليس بيسير ينبغون ليس في الاداب فقط بل وفي سائر العلوم . فصنفوا فيها على قدر ما اوسعت لهم الاحوال والظروف . وكان بعض ولاة الموصل ينشطون هذه الحركة فادخلوا شيئاً من الاصلاح على المدارس وقرّبوا اليهم رجال العلم والادب وعهدوا اليهم بمهامْ الامور وتفصيل ذلك في التراجم الآتية :

النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري

محمد امين الخطيب بن خيرالله العمري (المتوفي ٢١ محرم سنة ١٢٠٣ = ٢٣ ت ١ سنة ١٧٨٨) ولد في الموصل سنة (١١٥١=١٧٣٨) ونشأ فيها فدرس على والده ثم على محمد سليم الاردلاني عليّ ملا ثم على السوسني ثم على ملا عبدو بن غيدا وعلى ملا درويش وعلى ملا موسى مدرس الامينية وعليه اكمل العلوم. وقرأ ايضاً على جرجيس الاربلي وعلى العلامة عاصم في مدينة ماوران وكذا على صالح افندي ثم سافر الى بغداد سنة ١١٧٨ واخذ عن صبغة الله . ولما رجع الى الموصل درّس في مدرسة ياسين افندي المفتي ثم في مدرسة الامير محمد باشا في الجامع العمري

جاء ان اخاه ياسين افندي ترجمهُ في كتاب الدر المنثر واثنى على علومه وادابه وحسن اخلاقه قال «هو مقدمة كتب العلماء وعنوان صحيفة البلغاء وخاتمة الادباء والفضلاء وارّخه لما خطب في جامع العمرية سنة ١١٨٠ قال(من السريع):

بشراكَ قد نلت العلى والهدى　　مُـذ قمت في المنبر ترقى خطيبْ

لفظُك زهرٌ تجتنيـه الورى　　تاالله اني لست فيكم مريبْ

بشراكَ　خيرالله　تاريخُـهِ　　وفي امين العلم نعم الخطيبْ

ولهُ آثار جليلة في المنظوم والمنثور ومن تصانيفه العديدة عدا ما له من الحواشي الكثيرة

١ً منهل الاولياء ومشرب الاصفياء . صنفه بايعاز سعدالله بك بن الوزير الحاج حسين باشا الجليلي فوطّأه بتوطئةٍ في وصف موقع الموصل وما يجاورها من الدساتير والقرى ثم بحث في حكومات الموصل وقد اوجز حتى تعد ابحاثه فيها مذكرة تاريخية وافرد بحثاً خاصاً لرجالات الموصل وفضلائها وقد حاول جهد استطاعته ان يذكر في هذه التراجم سني الولادة والوفاة واهمّ حوادث المترجمين مع ايراد شيء من نظمهم ام نثرهم ولم يجر الّا قليلًا مجرى كتبة السيَر في الاغراق والايغال في المديح . ثم ذكر الانبياء والاولياء الذين لهم المراقد والمقامات في الموصل وهو بحث يحتاج الى

نقد علمي لكن الوقت لا يفسح لنا هذا المجال. ثم ختم الكتاب ببحث جليل اثبت فيه كرامات الاولياء ردًّا على منكريها والنسخة التي بيدنا هي عن نسخة قديمة في مكتبة آل يونس بك الجليلي وتقع في ٢٤١ صحيفة من القطع الكبير
٢ً مطالع العلوم ومواقع النجوم موسوعة منها نسخة في المتحف البريطاني ورأينا منها نسخة ثانية في مكتبة سليمان افندي بن عبد الحافظ افندي العمري في الموصل. ٣ً قلائد النحور والدر المنثور ارجوزة في عدة مواضيع تبحث في اثنين وعشرين علماً منها نسخة في المتحف البريطاني ونسخة اخرى عند سليمان افندي المذكور. ٤ً مراتع الاحداق في تراجم من رقّ شعره وراق. ٥ً تيجان التبيان في مشكلات القرآن رأينا منهُ نسخة كاملة في الموصل في مكتبة سليمان افندي العمري والنسخة بخط المؤلف تقع في ١٦٢ صحيفة من القطع الوسط وقد اقتصر البحث فيه على مشكلات المعاني ثم مشكلات الاعراب وعلى ما أُنزل فيهِ بغير لغة قريش.
٦ً الكشف والبيان عن مشايخ هذا الزمان ونسختهُ بذيل كتاب تيجان التبيان بخط المؤلف يقع في ١٦ صحيفة يبحث في حقيقة التصوف وفيما ابتدعه بعض رجال التصوف فيكشف فيهِ عن دعاويهم الكاذبة ويقابل بينهم وبين الاولين منهم.
٧ً رسالة في الحساب وضع القواعد نظماً ثم علّق عليها الشروح الطويلة رأينا نسخة منها في مكتبة سليمان افندي العمري. ٨ً تخميس الهمزية منهُ نسخة في المكتبة المذكورة. ٩ً مدائح نبوية على حروف المعجم ايضاً نسختها في المكتبة المذكورة.
١٠ سراج الملوك. ١١ منهج الصفا. ١٢ شروح منظومة في الاستعارة. ١٣ شرح الفية بن مالك. ١٤ رسالة في علم العروض. ١٥ حدائق الزهر. ١٦ رسالة في احكام المرتد. ١٧ تخميس البردة. ١٨ نوادر المنح. ١٩ زهرة الفنون وزهر العيون.
ولهُ ماعدا ذلك دواوين شعرية وفتاوي فقهية وشروح في بعض مشكلات القرآن.
فمؤلفاتهُ التي اطلعنا عليها وصفناها على قدر الامكان اما البقية التي ذكرناها فقد وردت اسماؤها في التراجم الفاروقية ولم نعثر عليها امّا لانها فقدت كما فقد كثير غيرها او انها تحفظ في زاوية لم نستطع التوصل اليها اذ ان الموصل ما زالت الى هذا العهد محرومة من مكتبة عمومية تجمع على الاقل آثار اشهر المؤلفين

اما شعره فيتحلّى بالرقة والجودة والرصانة مع حسن السبك وجزالة المعنى وقد

وجدنا منه في الموصليات نحو خمس قصائد كلها شائقة رائقة وهي لا تخرج عن نوع المديح فاستهل بعضها بالفخر وبعضها بالغزل من ذلك قولهُ مفتخرًا ومعارضاً العنتريات (من الكامل) :

بالسيف تبلغ كل ذروة مَفخر فاجعل نديمك كلَّ ابيضَ ابترِ
واركب الى العلياء كل مطهَّم رَحبِ اللّبان يسير سير الابحرِ
ودع القعود مع النساء فانما خُلق الفتى ليخوض لجَّ الابحرِ
والمجد في ظل الرماح فقم بنا نسقي القنا بدم العدوّ الاكبرِ
ما لي وما للّوم أتعبَ مسمعي واطال احزاني واجرى محجِري
آليت اني لا ابيت عشية ألا على ظهر الاغرّ الاشقرِ
واذا دجا ليل الغبار ظننته شغفاً دخان العود ضاع بمَجْمرِ
فالسيف وردي والرماح احبّتي والحرب راحي والوقائع عنصري
والخيل انسي والظلام مسامري والبيد اوطاني وموضع مصدري
سلْ من لقيت من الرجال فانه ينبيك مني عن همام قسورِ
وسل الصفاح فطالما غادرتُها مخضوبة بدماء كل غضنفرِ
آهاً على زمن العزوبة انهُ اشهى واطيب من شرابِ السكّرِ
فارقته لا زاهدًا وهجرته لا قالياً وبصرت ما لم ابصرِ
من بعدما رعت الاسود عوابساً اصبحت اخشى من صرير الصرصرِ
ما مرّ في سمعي طنين ذبابة الّا واحسبه زئير القسورِ
واذا ذكرتَ ليَ الحروب تركتني وكأنني متخضب بالعُصْفُرِ

وقال مخمساً ابيات الزمخشري صاحب الكشاف :

مَدَّت اليَّ النائبات رماحها وجلت عليَّ نصالها وصفاحها
ناديت اذ صعبت وخفتُ جماحها يامن يرى مدّ البعوض جَناحها

في ظلمة الليل البهيم الأليل

ألطفْ بنفسٍ فيك حيرةُ علمها تشكو لمن يجلو غمائم غمّها
يرعى الذباب علَى حقارة جسمها ويرى مناط عروقها من لحمها

والمُخّ من تلك العظام النُحَّل

قلبي تحيَّر في جلالك فهمُهُ وعلومُهُ اشتبهت عليهِ ووهمُهُ
يامن جرى في كلّ امر حكمُهُ يا من احاطَ بكل شيء علمُهُ

وعليهِ في كل الامور توكلي

اخوهُ ياسين الخطيب بن خيرالله العمري — لم نعرف بالتحقيق سنة وفاته ولم نجد لهُ اسماً في التراجم الفاروقية . وقد ترجمهُ اخوهُ في منهل الاولياء وذكر ان ولادتهُ كانت في سنة ١١٥٧ ومن ذلك نعرف ان وفاتهُ كانت بعد وفاة اخيهِ محمد امين . وجاء في ترجمته : انهُ كان ذا اطلاع على عدة فوائد من علوم شتى ولهُ خبرة في فن الطب وقد ألف فيهِ كتاباً جمعهُ من عدة كتب معتبرة وصنف ايضاً تاريخاً على سني الهجرة الى زمانه واعتمد فيه على ابن الاثير او ابي الفداء واليافعي والمحبي حتى صار كتاباً جامعاً يحتاج الى تنقيح وتهذيب فلا يكون له نظير في بابه»

وهذه اسماء تآليفه : منهج الثقاة في تراجم القضاة اهداه لعبيد الله ابن السيد خليل البصيري وكان منه سنة ١٢١١ ومنه نسخة في مدرسة الخياط في الموصل وفي مقدمة هذا الكتاب يذكر المؤلف تصانيفه وهي : ١ً الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون . ٢ً عنوان الاعيان في ذكر ملوك الزمان وفيه يذكر ملوك الاسلام وقبائلهم

٣ الروض الزاهر في تاريخ الملوك الاوائل والاواخر رتّبه على حروف الهجاء وذكر فيه ملوك الامصار والامراء والقضاة وشيوخ الاسلام ٤ الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ويختص هذا الكتاب بتواريخ النساء الصالحات والطالحات . ٥ روضة المشتاق ونزهة العشاق وهو كتاب ادبي . ٦ روض الادب . ٧ عيون الادب . ٨ السيوف الساطعة في الادعية . ٩ الخريدة العمرية في الطب . ١٠ الدر المنثر في تراجم فضلاء القرن الثاني عشر ويظن الدوقتور داود بك الجلبي ان النسخة المخطوطة التي وجدت في دمشق في تراجم علماء الموصل من اهل القرن الثاني عشر والتي ورد وصفها في مجلة لغة العرب هي كتاب الدر المنثر نفسه المنوّه باسمه (مجلة العرب السنة الخامسة الجزء الرابع)

وله ايضاً الآثار الجلية في الحوادث الارضية في تاريخ الاسلام مرتب على السنين ثم كتاب السيف المهند فيمن اسمهُ احمد ثم كتاب قرة العينين فيمن اسمه الحسن والحسين . وذكر فيها الادباء الذين سموا بهذا الاسم ومن هذين الكتابين نسختان في الموصل في مكتبة عبدالله افندي بن الحاج علي افندي العمري

اما ادبياتهُ فقد وجدتُ منها في الموصليات نظماً رقيقاً ولكنه اقل رقةً وجودةً من نظم اخيهِ . واكثر شعره في المديح منهُ قولهُ يمدح سليمان باشا الجليلي ويهنيه بعودته من سفر (من الطويل) :

قدمت قدوم العز والفضل والمجد ... فنالت بك الحدباء سعدًا على سعدِ

قدومك يا شمس الملوك وفخرها ... على الناس عيدٌ واجب الشكر والحمدِ

معاليك اولتنا فخارًا ومنةً ... وجودك اولانا عظيماً من الرفدِ

وهي طويلة . وقد اجاد ايضاً في نظم التاريخ فأرّخ مولودًا سُمي محمد سعيد قال فيه (من السريع) :

بشرى اميناً بغلام حميد ... قد جاء في يوم شريف مجيد

مولده الميمون تاريخه ... بالخير وافاك محمد سعيد

وقال ايضاً يؤرخ قدوم الوزير الجليلي من سفر سنة ١١٩١هـ

هُنّئتمو آل الامين جميعكم ... بقدوم بدر ساد في تصديرهِ
اعني سليمانَ الهدى ربّ الندى ... من فاق اهل العلم في تقريرهِ
لما اتى انشدتكم تاريخه ... وَفَدَ الوزيرُ الى مقرّ سريرهِ

الشيخ علي الوهبي الجفعتري (١٢٠٢=١٧٨٧) نشأ في الموصل واخذ العلم عن علمائها ومنهم الشيخ احمد الحميلي وما زال مكبّاً على تحصيل العلوم حتى نبغ فيها فاصبح عالماً جليلاً وخطيباً فصيحاً وناظماً مجيداً وناثراً بارعاً واقام يدرّس في مدارس الموصل فانتفع بهِ خلق كثير

قال صاحب الشمامة « صحبته زمناً طويلاً . . . اياماً كانت على هامة سلطنة انسي تاجاً واكليلاً . ارتني صحبته غالب ما قاله من نظم ونثر وعاطاني سلافة ادبه بما اجرى بين يديّ نهر مباحثه الغر . . . » فاجزل الثناء على نظمه لكنه انتقده على استعماله فيهِ الوحشيّ من اللفظ وعلى مجاراته صاحب لامية العرب بحيث لا يجد مطالعه بدّاً من اخذ معاجم اللغة لمعرفة اوابد الكلمات

الا اننا لا نرى متسعاً لهذا التنقيد فقد عثرنا على عدة قصائد ضافية للجفعتري فوجدنا شعره واضحاً سهلاً يتحلى بالصراحة والضبط ومنه في الشمامة قصيدة طويلة في المدائح جرى فيها مجرى صوفيات ابن الفارض وحلّاها بالجناس المذيّل فالتزمه في جميع ابياتها وقد ابدع فيهِ واجاد . وتقع هذه القصيدة العصماء في نحو ٣٠ بيتاً وهذا شيء منها (من الوافر) :

فلي قلبٌ لغيرك غيرُ صابِ ... وما هو عنك لما غبت صابرْ
وأصبح في الهوى والوجد ساهٍ ... وطرْفي في ظلام الليل ساهرْ
تزيد صبابتي وزيد دائي ... ولم ابرح على المحبوب دائرْ
نجيب عُزْمَةٍ بالحلم وافٍ ... وجود يمينه جاءٍ ووافرْ

ففهمُ الخلق عن معناه قاصٍ وباعُهمو عن الادراك قاصرْ
له فضل يحيّر كلَّ ذاكٍ واوصافٌ تحيّر كل ذاكرْ
فمن ذا للرمال يكون حاصٍ ومن ذا للنجوم يكون حاصرْ
يبيّن كل ما في الكون خافٍ وللعاصين يوم البؤس خافرْ

ولهُ تشطير قصيدة للشيخ عبد الغني النابلسي مع قصائد اخرى رائقة لكنها كثيرة المجون والاحماض . ولهُ ايضاً في الحكميات ابيات بليغة منها قولهُ (من البسيط) :

قالوا نطقت ولم تصمت فقلت لهم ان الكلامَ مع التحقيق اصلاح
ان المعاني كاشباحٍ مصوّرةٍ في القلب واللفظُ للاشباح ارواح
كذا السيوف لدى الهيجاء ناطقة في الحرب وهي لمتن البَغي شُرّاح

اما قصائده في المديح فاغلبها تُستهلُّ بالغزل ومنها كثيرة في الموصليات امتدح باحداها سليمان باشا ابن الغاري (من الطويل) :

تبدّى فنال القلبُ من سعده البشرى وحيّ فاحيا كلَّ قلب بهِ مُغرى
واطلع بدرًا تحت حِندِسِ غَيهَبٍ وأبرز في افق الجبين ليَ الفجرا
وهزّ قواماً أخجل السُمْر والقنا وجرّد سيفاً من لحاظٍ حوت سحرا
رمى اسهماً عن قوس حاجب ناظر اصاب سويدائي فأعقبه جمرا
رفعتُ لهُ حالي بنصب اضافتي اليهِ فابدى جزمُ عامله الجرّا
وفي مبتدا امري أبنت عجائبا ولي خبرٌ في عفتي عُرفت نُكرا
وتمييز وصفي ما خفى لمميز ولا بدلًا أكّدتُ اذ زارني هجرا
وبان بيان الصدق والعطف سائغ فحرّمهُ جهرًا وحلّله سرّا

بدائع تجنيسي بهِ ما تصحَّفت ولكنَّما الاقـدار في وقتها تَترى

ولهُ في الزهريات قصيدة طويلة امتدح بها التازي الجليلي قال (من البسيط) :

بُشراكَ يا قلبُ بالاسعاد والوطر وخصَّ إقبالـك الاقبالُ بالظفرِ

ونسّمت نسمات السعد وانتشقت نفائس الانس بين البدو والحضرِ

وارتاح رَيْحان روض النصر حين سرت بهِ رياح الاماني سير مقتدرِ

والبان بان يباهي قدَّ معتدلٍ والنرجسُ الغضُّ ابدى كَسْر معتذَرِ

وجرّت الريح اذيال الفخار على بساطِ سُندسَ مبسوطٍ من الخُضَرِ

وقام من دوحة النعمان منـذرُهُ محذّرًا عسـكر المنثور بالنُـذُرِ

قامت قيامات قامات الغصون متى أبان قدًّا يبـاهي اعدلَ السُّمُرِ

وَدَّ الشقيقُ يحاكيه فغايظه فشقَّ اثوابه من شدة الضجرِ

ومن تخاميسه قولهُ :

ايها الراغبُ في حسن الشيم والذي كمَّل انواع الكرَمْ

ان ترد تظفرُ بالقدر الاتمّ لا تقُل «لا» بعد ما قلت نَعَمْ

ترثُ العارَ وتمسي في ندَمْ

ان هذي صفة داعشةٌ ولمن يلزمهـا داهشةٌ

عظتي ان تَصغها ناعشةٌ قول «لا» بعد نعم فـاحشة

وقبيحٌ قول « لا » بعد نعَمْ

قاسم بن يحيى الموصلي الشهير بحضر باشي زاده — كانت وفـاتهُ في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي) وكانت

ولادته في الموصل في اواخر القرن الثاني عشر الهجري وكانت سوق الاداب يوم ذاك نافقة في الموصل فنشأ على حب العلم وبرع في النظم والنثر واتقن اللغتين التركية والفارسية ولهُ فيها الشعر الرائع والنظم الرائق . وتصاحب مع نوابغ شعراء ام الربيعين حتى اشتهر بانشاء الشعر واكتسب بنبوغه منزلة سامية بين شعراء وادباء ذلك العصر . ثم اتصل بخدمة الجليليين وامتدح من امراء هذه العائلة نعمان باشا واحمد باشا ويحيى باشا ومدح ايضاً داود باشا والي بغداد ونال جوائزهم وعطاياهم

ولهذا الشاعر ديوان كبير في مكتبة السيد جمال الدين افندي آل السيد علاء الدين افندي الآلوسي . وقد كتب لي هذا الفاضل ترجمة هذا الشاعر البليغ فوفّاه حقه في وصف نظمهِ ووصف ديوانه ما استوجب شكرنا لحضرته اذ لو لم ينبهنا عليهِ لسهونا عنهُ فاننا لم نرَ اسم هذا الشاعر المجيد فيما وقع تحت يدنا من تراجم رجالات الموصل . ونسخة الديوان المذكور هي بخطّ الشاعر نفسه جمعه من مختارات شعره وصدَّره بمقدمة جاء فيها « اما بعد فاني قد جمعت في هذه المجموعة ما جاد بهِ الفكر الجامد والذهن الفاتر الشارد من المدائح والتخاميس والغزل وغير ذلك المنتخب من نظمي . . » وفي آخر المقدمة يقول « قد كان الفراغ من نسخة لسبعةٍ مضين من شهر محرم الحرام عام ثلاثين ومائتين والف من الهجرة » اي تشرين الثاني سنة ١٨١٧ . ويشتمل ديوانهُ على ١١٥ صفحة بالقطع الوسط وتجد في شعره القريض والمديح والوصف والغزل والتخميس والتسميط والتشطير وهو في نظمه سريُّ اللفظ رقيق الديباجة جيد السبك غزير القافية يجانب حوشيَّ الكلام متضلع من اللغة ومفرداتها الصحيحة . فتراهُ اذا وصف يقظاً دقيق الملاحظة يصف ما تقع عليه حواسه وصفاً متقناً فكأن مقطوعاته الوصفية صور لاشهر الرسامين الماهرين وهو في ذلك يفترف القول اغترافاً لا يتعب نفسه باقتناص اللفظ وانما يكفيهِ ان يطلق العنان للقريحة وللخيال فيصوغ لك المعاني البليغة في احسن قوالب البيان والبديع

وقد ابدع ايما ابداع في تخميسه قصيدة الشيخ شهاب الدين احمد الخفاجي التي عارض بها مقصورة ابن دريد فجاء تخميسه آية في البلاغة والحسن حتى يكاد القاري ان لا يفرّق بين الفرع والاصل وبين المخمّس والماتن وهي طويلة تشتمل على ١٤٦

مخمّساً صدَّر بها ديوانه واستفتح التخميس بغزلٍ رقيق الحاشية وختمه بالمدايح النبوية واليك شيئاً منه :

رعياً لجيرةٍ هواهم نازلُ في منحنى اضالعي وقـائلُ
فارقتهم ودمع عيني هاطلٌ سقاهمو من العيون وابـلُ
يُنبت في القلب الشجون والجوى

أأرتجي من السحاب نَوْلها نيـابةً عن مقلتي يا ويلهـا
وغيث عيني حين اجرت سيلها يغني عن الوطفاء جرّت ذيلها
وبردُها المسكيُّ محلول العُرى

وقال مخمساً ايضاً ابيات ابي تمّام الطائي . اقتصرُ منها على هذين المخمّسين :

دمعٌ ترايد قطره ونُثـاره ولهيب وَجـد في الفؤاد شراره
يا من عن المشتـاق شطّ مزاره هـذا هواك وهـذه آثاره
اما الفؤاد فـلا يقرُّ قراره

الله في كـبد له متبولةٍ وحُشاشةٍ طوع الجوى معلولةٍ
من بعد رشف مراشف معسولةٍ يصل الانين بزفرة موصولةٍ
بغليل شوق ليس تُطفى ناره

وقال ايضاً مخمّساً القصيدة الفائية للشيخ عمر ابن الفارض وقد اتى هذا التخميس اية في البلاغة ومطلعه :

هل يختفي فيض الدموع الذُرَّف ولهيب شوق في الحشا لا ينطفي
مها خلوت بحرقتي وتلـهفي قلبي يحدثني بانـك متلفي
روحي فداك عرفت ام لم تعرفِ

وكان قد رحل الى حلب وبعده الى بغداد واتصل بكثير من مشاهير الادباء والعلماء وله مراسلات ومكاتبات شعرية مع كثير منهم كالشهاب الآلوسي مفتي بغداد وعبد الباقي العمري والجوادي وغيرهم . ومن مكاتباته ما كتبه وهو في بغداد الى ابي الثناء السيد محمود الآلوسي يطلب منهُ الصحاح قال:

ابا الفضل والمولى الذي قد تدفقت   مواهبه للطالبين سحاحا
عليك فما يُثنى وانت ابو الثنا   فأنعِمْ مساءً سيدي وصباحا
فداعيك في هذي الديار واهلها   كطير بعيد الوكر قُصّ جناحا
قوارير فكري صانك الله كُسِّرت   فهل من معيري لو يصحّ صحاحا

وله ايضاً في التاريخ الشعري نظم بليغ لا يخلو من حذق ومهارة . وله معارضات انيقة من ذلك انهُ عارض قصيدة ابن النحاس « بات ساجي الطرف والشوق يلح » واليك قسماً من ابياتها (من الرمل):

عاذلي مهلًا فيكفيني الذي   فيَّ فالعذل لمثلي لا يصحْ
رأف الله بملسوع الهوى   كل عضو منهُ ان شاهدت جُرْح
بذل الروح جوًى في حبهم   وكذا الصب ببذل الروح لحْ
وبقلبي من تباريح الجوى   نار اشواق لها ضَرْم وقَدْح
أرِقٌ امسي فلا للجفن من   بعدهم غمض ولا لليل صُبْح
في فؤادي للغَضا كم من غضا   ولدمعي عند ذاكَ السفح سفْح

وهي طويلة . وله القصائد الرائقة في المديح وهي كثيرة منها قصيدتهُ العصماء التي امتدح بها احمد باشا الجليلي واستهلها بالغزل وهذا مطلعها:

قفا واسألا عن مهجتي الغادة العذرا   ولا تقبلا يا صاحبيَّ لها عذرا
فكيف بلا قلب يعيش اخو الهوى   ومن غير لبّ كيف يرجو الفتى عمرا

ثم تخلص من الغزل الى المديح هكذا :

وقائلةٍ اتلفت نفسك في الهوى ... وما نلت منهُ لا جزاءً ولا شكرا

فسِرْ للوزير المرتجى احمد الندى ... فقلت نعم والله قد حمد المسرا

وكان له اخ اسمه صالح نزح عن الموصل الى ماردين والشهباء وكان شاعرًا فكان الاخوان يتراسلان في الشعر وفي الديوان المذكور قصائد رائقة كتبها المترَجم لاخيهِ يتشوق ويشكو اليهِ الم الفراق

يونس افندي كاتب ديوان الانشاء — لم نعثر على اسم ابيه ولا على نسبه ولم نقف على سنة وفاته بالتعيين ولكنها كانت من المحقق في سني النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري فقد تولى ديوان الانشاء في عهد الوزيرين الجليليين محمد امين باشا (١١٧١=١٧٥٧) وابنهُ سليمان باشا سنة (١٢٠٠=١٧٨٥)

وصفهُ صاحب منهل الاولياء وامتدح ذكاءه وطول باعه في الانشاء وذكر شهرته وتقدمه في الرتب والمناصب الرفيعة

وكان ايضاً رقيق النظم بليغ القول كما تدل اثاره الباقية وورد لهُ في الموصليات تخميس للبيتين المذكورين في الوصاف قال مفتخرًا :

سموتُ على الجوزاء فضلًا وهمتي ... علت فوق هامات الرجال الاعزَّةِ

ولي شرف عالٍ وبالشمس اسوتي ... لئن اشمت الحسادُ صرفي ورحلتي

فما صرفوا فضلي وما ارتحل المجدُ

همومٌ وافراحٌ وحطٌّ ورحلةٌ ... وعسرٌ وايسارٌ وعزٌّ وذلّةٌ

وردّ واقبال وكسر ونصرةٌ ... مقام وترحال وقبض وبسطةٌ

كذا عادة الدنيا واخلاقها النكدُ

سلوا لمع صمصامي اذا الخيل تهرعُ ... أهَل راعني منها نزالٌ وموقعُ

وقولوا لمن خانوا العهود وضيّعوا تخذتكمو درعاً حصيناً لتمنعوا
سهام العدى عني فصرتم نصالها .
ولست أبالي ان امنتم وخنتمو وسيانَ عندي ان دنوتم وبنتمو
فان شئتمو تلقون عزمي وصنتمو تعالوا الى الانصاف نحن وانتموا
وخلوا العدى ترمي عليَّ نبالها
ولازلتمو بالنقض والنكث كالتي واني بكم لا زلت ادفع بالتي
فبعد اللتيا آخر القول والتي اذا لم تكونوا لي لدفع ملمة
فكونوا كنفس لا عليها ولا لها

وله ايضاً قصيدة رائقة قرَّظ بها الروض النضر للدفتري العمري قال (من الطويل) :

افوحُ شذا روض الفضائل ام عطرُ وعَرْفُ ندى بنت الافاضل ام نشرُ
نسائمُ ضَوْع النيل في آخر الدجى تسابق قبل الوصل ام نسّم الفجرُ
ام المسك والكافور حلَّ بجمر مع الندّ ممزوجاً فاوهجَهُ الجمرُ
تمهَّل ولا تملا الكؤوس فانني ثملتُ بطيب لا يماثلهُ الخمرُ
فلله روض قد حكى العدن بهجةً وابدع حسناً لا يقاس به الغيرُ
عرائسُ ابكارٌ من الفكر أُنشئت فلا عمّها زيدٌ ولا خالها عمرُ
بل النيلُ علم والفرات فضائل وسيحون اداب وجاته الشعرُ
سموتَ عصام الدين فخراً ومنشأً ونلت من العلياء حظاً به الفخرُ
وابدعت في الحدباء أنعمَ روضة تفوق دمشقا والاخير هو الخيرُ

وله موشحة قالها في الغازي محمد امين باشا ووصف وقائعه في الحرب التي دارت رحاها بين تركية وروسية والمح في بعض ادوارها الى اسره وسلك في التغزل مسلك موشحة الاديب حسن عبد الباقي ومطلعها « من ملاح الترك اغيد » قال (من الرمل) :

ايها التركيُّ مهلا ان في قلبي اشتغالْ
قد قتلت الصبَّ جهلا هل ترى هذا حلالْ
كان ظني الحب سهلا قبل ان ذقت الخبالْ
فرأيت الصبر احلى من نفيرات الدلالْ
علّم الاغصان ميلا والظبا رشق النبالْ

. . .

خلت في صُدْغيه ثارْ خط اقلام الوقارْ
قلت ما هذا الغبار قد علا وجه النهارْ
هل بدا منه العذار صاح فيَّ الجُلَّنارْ
فوق عينيه جهار انما هذا بهارْ
دار حولي مذ تجلى م البدر في اوج الكمالْ

وهي طويلة نأتي على وصف الحرب ومديح الوزير وذكر اسره. وله عدا ما ذكرنا قصائد اخرى تتجلى فيها البلاغة والجودة والرقة

الشيخ علاء الدين الموصلي (١٢٤٣=١٨٢٧) ذكره الاب شيخو اليسوعي في مجلة المشرق بين ادباء القرن التاسع عشر الميلادي (١٩٠٨ : ٤ : ٢٧٨) وذكره ايضاً شهاب الدين الآلوسي في كتاب نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على اثاره

الادبية لكنه آخذه على ضيق صدره بمداراة الناس فقال فيه :

كان لا يدري مداراة الورى ... ومداراة الورى امرٌ مهمّ

وروى لهُ شعرًا حسنًا منهُ :

لئن لم تشاهدني أخافشُ اعينٍ ... فلي من عيون الفضل شاهدُ رؤية
وان انكرتني الحاسدون تجاهلًا ... كفاني عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمس الاستواء من السها ... واين زلالٌ من سراب بقيعة
وليس الذي في الناس كالحي ميت ... لفضلٍ وافضالٍ فحيٌّ كميّت

وقولهُ :

وزمانٍ عُدّتْ عليّ لياليه ... وقصتني قوادمي وجناحي
ودعتني صروفهُ في شتاتٍ ... وعناء وخيبة ونزاح
لا لذنب اتيته غير ان م ... الفضل لم نلقه قرين نجاحِ
واذا ما الصلاح فيكم فسادٌ ... ففسادي الذي لديكم صلاحي

وانشد قبل وفاته :

اسفي على فضل قضيت ولم اكن ... ابصرتُ عارف حقه فيبينْ
ومن العلوم الغامضات ورمزها ... أملي قضيت وللفنون ديونْ
واخذتُ في كفني علومًا لم اجد ... مستودعًا هي في الدفين دفينْ

السيد حسن بن اخي النقيب الحسيني (٢ ١٢=١١٨٧) كذا ورد اسمهُ في منهل الاولياء نشأ في الموصل واخذ العلم عن الشيخ عبدالله (كذا) ورحل الى

القسطنطينية واقتبس علوماً شتى وولي منصب الفتوى بعد ابن عمه عبـد الله بن فخر الدين وانتفع به الخاص والعام

قال صاحب منهل الاولياء : كان له اطلاع تام على علم المنطق وله لطائف ومحاضرات ونظم رائق في غاية الظرف واللطف لكننا لم نعثر له الا على هذه الابيات وهي (من البسيط) :

يا بنت زينبَ والاهلينَ والولد وشوقهم ليس عني زائلًا ابدا

امست تودعني والدمع منسجم والقلب مضطرم والصبر قد نفدا

اسامك العصر فقرًا لو يُسام بهِ ابناؤهُ لاضاعوا الرأي والرشدا

اين السفارة والاهلونَ في محنٍ وسوء حالٍ وعيش اورث النكدا

هل جائز ان تدَعنا في ضرورتنا وما لنا كافل نرجوه مستندَا

الشيخ معين الدين ابو محمد المعروف بذي النون بن جرجس الموصلي — لم نعثر له على ترجمة ولم يذكر لنا احد اسمهُ وانما عرفناهُ من تصانيفه الباقية في بعض مكاتب الموصل . ويظهر انهُ عاش في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري اذ يذكر عن نفسه في ذيل احد تصانيفه انهُ فرغ منهُ في سنة (١٢٢١=١٨٠٦) وتآليفه الباقية هي هذه ١ً كشف الضرر عمن نكح وكفر منهُ نسخة معتنى بها وجدناها في مكتبة الحاج امين بك الجليلي ٢ً كتاب تحية الاسلام فيما ورد في السلام والمصافحة والقيام يقع في ٣٨ صحيفة وكل صحيفة تشتمل على ١١ سطرًا منهُ نسخة في المدرسة الحسينية في الموصل وتاريخها سنة ١٢٢٦ (كتاب مخطوطات الموصل) ٣ً معدن السلامة في احوال الدنيا والبرزخ والقيامة وفي ذيله يذكر المؤلف انهُ اتمهُ في سنة ١٢٢١ منهُ نسخة في مدرسة الخياط تاريخها ١٢٣١ (مخطوطات الموصل) ٤ً ارجوزة في التجويد اتى في مطلعها « يقول راجي لطف ربه الخفي : ذو النون نجل الموصلي الحنفي » وقد ذيلها الناظم شرح سماه سراج الاذهان بتجويد القرآن منها نسخة داخل مجموعة في التجويد في مكتبة عبدالله افندي آل رئيس العلماء في الموصل

ومن هذا القبيل عثمان الحياني ابن الوزير سليمان باشا الجليلي وكتابه « الحجة على من زاد على بن حجة » رأينا منهُ نسخة في احدى مكاتب الموصل الخصوصية ويقع الكتاب في ٧٨ صحيفة وهو مذيل بتقريظ لذي النون وبتقريض آخر لمحمود افندي العمري

السيد احمد ابن السيد حسن ابن السيد حامد بن فخر الدين الحسيني — توفي في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري . اخذ عن علماء الموصل وعن عمه يحيي افندي المفتي وولي نيابة الفتوى عن عمه السيد عبدالله قيل : وكان اديباً بارعاً وناظماً مجيداً وكانت لهُ اليد الطولى في اداب اللغة الفارسية نظماً ونثرًا ولم نعثر على شيء من نظمه

محمد خالد بن مصطفى الجليلي — كان عائشاً في ولاية الوزير حسن باشا ابن الحاج حسين باشا الجليلي في حوالي سنة (١٢٣٣=١٨١٧) وناب عنهُ في حكم الموصل . وقيل عنهُ : انهُ كان شاعرًا بليغاً ولم اجد من نظمه الّا تخميساً واحدًا في المجون

محمد امين بن ياسين الحسيني (١٢٠٢=١٧٨٧) لا نعرف شيئاً عن احواله ولم نقف على شيء من نظمه ام نثره وقد ألف كتاباً سماه « اوراق الذهب في المحاضرات والادب » وقد عرفنا منهُ نسخة في متحف برلين

اهل النصف الثاني من القرن الـ ١٣ الهجري

الطبيب محمد الجلبي جد آل الجلبي المشتهرين بالطب (١٢٦٣=١٨٤٦) وهو القس عبد الاحد ابن القس حنا من بيوتات السريان من القديم. ولد على ما يظن سنة (١١٩٠=١٧٧٦) واسلم سنة (١٢٣١=١٨١٥) وخلف بنتاً وخمسة بنين اكبرهم كان احمد جلبي درس الطب على ابيهِ وصارت لهُ اليد الطولى فيهِ وكان يطب للعائلة الجليلة. قيل انهُ الف قبل اسلامه عدة كتب دينيَّة مسيحية باللغة السريانية وقيل ايضاً ان نسخاً من هذه الكتب ما زالت محفوظة في خزائن بعض الكنائس ولهُ ايضاً اشعار وقصائد سريانية. ثم انهُ قرأ بعد اسلامه العلوم الاسلامية على كبار علماء الموصل منهم علي افندي محضر باشي واتقنها وألَّف فيها حتى انهُ شرح كتاب «الوقاية في الفقه الحنفي». وبرع ايضاً في علم الهيئة والزيج وترك تآليف كثيرة عرفنا منها ما يأتي:

١ً شرح ارجوزة بن سينا التي مطلعها:

الطب حفظ صحة برءُ مرض — من سببٍ في بدن عنهُ عرض

منهُ نسخة بخط الشارح في ٢١٢ ورقة مؤرخة في سنة ١٢٤١ هـ عند حفيده عبدالله الجلبي ٢ً الطب المختار وفرغ من هذا المصنَّف سنة ١٢٤١ قال في اوله «اني بعد ما شرحت ارجوزة الشيخ ابي علي لاح لي ان اجمع كتاباً آخر في جزئيات الطب مقتصراً في الالفاظ غنيًّا في المعاني على ان لا يشذ منهُ مرض ولا سبب... وان اورد فيهِ من المعالجات ما جربته فكان غاية...» ونسخة منهُ بخطه ايضاً في ١٩٤ ورقة عند الدكتور داود الجلبي. ٣ً مفردات الطب المختار وهو الثالث من سلسلة تآليفه في الطب جاء في اوله «يقول العبد المفتقر الى غنى مولاه محمد الطبيب المهتدي ابن القسيس يوحنا الطبيب الموصلي... رتبت هذا الكتاب على مقدمة وثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء...» ذكر في المقدمة عشرة قوانين للمفردات ثم قال «وقد زاد بعضهم ذكر الزمان الذي يؤخذ فيهِ الدواء والبلد الذي يؤخذ منه وكيفية

ادخاره » ثم قال « وقد وقع جمع كتابي هذا من الكتب المشهورة والمقبولة مثل الثاني من القانون لابي علي رحمهُ الله وما لا يسع الطبيب جهلهُ وهو المعروف بجامع البغدادي والتذكرة لداود الانطاكي وبحر الجواهر لمحمد بن يوسف الطبيب المروي وكتاب مفردات ترجمه بطرس اندراوس اللبناني من اللغة الافرنجية الى العربية وبعضاً من التحفة وبعضاً من المنهاج وبعضاً من غاية البيان لصالح افندي وبعضاً من مفردات شرح الموجز لنفيس وبعضاً من مفردات مقدسي يوسف واستعنت على بعضها باللغة القاموسية وبعضها بكتاب اللغة السريانية وهو المعروف بكتاب المكسيقون (اللهكسيقون) البهلولي لابن بهلول . . . ثم انني نقلت من الكتاب المعروف بالطب الجديد وهو الطب الكيماوي مفردات عملية وهي متداولة الآن . . . ولا محالة ان كتابي هذا اغنى منها اذ لم يخل عن ما فيها وزدت عليها . . . » نسخة المؤلف في ٤٧٠ ورقة تاريخها ١٢٤٦ هـ عند الدوكتور داود الجلبي ٤ً اقراباذين الطب المختار نسخة المؤلف عند الدوكتور المذكور ٥ً رسالة في النبض في ٢٤ صحيفة عند الدوكتور ٦ً زيادات على تقويم البلدان في الجغرافيا للملك المؤيد صاحب حماة كتبهُ بيده وجعل فوق زياداته خطوطاً تفريقاً لها من الاصل وكان الجزء الثالث فيهِ مجدولاً فبسط الكلام فيهِ ولم يجعلهُ مجدولاً. فرغ منهُ سنة ١٢٤٩ . ٧ً تحرير للروض العاطر في تلخيص زيج ابن الشاطر والملخص الشيخ محمد بن علي بن زريق الخيري الموقت في الجامع الاموي. نقل محمد جلبي هذا المختصر من طول دمشق الى طول الموصل ورتبه على السنين الشمسية وكان مرتباً على القمرية وهذا الكتاب والذي قبلهُ هما عند حفيده الدوكتور. ويُروى انه كتب شيئاً على رسالة آلوغ بك في الهيئة. اما شرحه للوقاية الذي سماه « العطايا » فمفقود وقد تأكدنا ان لهُ هذا المصنَّف من تقريظ كتبه فيهِ محمد امين باشا ابن الحاج عثمان بك الجليلي جاء فيهِ:

باسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي هذب عقول اولي الالباب بما منحهم من الطاعات ووسّع لهم الدين اكراماً بالعلوم النقليات وقايتهم من الزلل بالهداية وكنزهم رمز الفقه بالدراية علمهم اقامة الدين وجبلهم على نصيحة المسلمين . . . وبعده لما امعنت النظر واجلت الفكر في « العطايا » شرح الوقاية للطبيب الفقيه والكامل النبيه الشيخ محمد الموصلي . . رايتهُ شرحاً قد امتزج مع الادل كالروح في البدن

فيا له من شرح ليس عليهِ كلام والملام على من لام. . . جزاه الله خير ما يجزي عبيده المتقين وجعل شرحهُ مفيداً للمتفقهين. . . »

وبذيل هده الورقة بخط المترجم « تقريظ الدر الفاخر والنجم الزاهر . . افندينا الاعظم محمد امين باشا نجل المرحوم الحاج عثمان بك. . . » ولابنه احمد جلبي المتوفي سنة ١٢٨٢ هـ كتاب صغير في مجرَّبات طبيَّة صحت فائدتها عنـده ونسخة الكتاب عند حفيده الدوكتور داود بك .

عبد الباقي افندي الفوري بن سليمان بن احمد بن علي المفتي ابي الفضائل العمري (١٢٧٨=١٨٦١) ولقّب بالفوري لانشاده الشعر على الفور. وُلـد في الموصل سنـة (١٢٠٤=١٧٨٩) وترعرع بين ذويهِ وهم يومئذ اقطاب الادب واهل فضل ومـا زال يرتضع افاويق الاداب حتى بلغ من مطمحه نهاية الارب. فشبَّ ذكياً متوقـد الذهن بعيد النظر في الامور ذا حنكة وخبرة في الشؤون الادارية ولما بلغ العشرين من عمره قلدته الحكومة التركية منصب الكتخدائية في الموصل (والكتخدا لقب كان يُعطى لمعاون الوالي والمصريون كانوا يسمون بهِ ناظر النظار) . ثم اختاره اعيان الموصل ان يسافر الى بغـداد لعرض رغبتهم في نعيين ولاة الموصل يومئـذٍ من القسطنطينيَّة بانهاء ولاة بغداد. فسار الى الزوراء ونال عند وزيرها الكبير داود باشا الكرجي منزلة لم ينلها اعيان بغداد انفسهم ثم سأله الوزير عن امنيته فاجابه عبـد الباقي فوراً بهذين البيتين :

يا مليك البلاد منيتي حا   شاكَ مثلي يعودمنك كسيرا
انت هارون وقته ورجائي   ان ارى في حماكَ يحيا وزيرا

فوقع جوابه موقعاً حسناً ولبى رغبة اهالي الموصل وعرض مطلبهم على البـاب العالي وخلع على عبد الباقي فهنأته ادباء الزوراء بنجاح مسعاه وبما أوتيه من التوفيق والحظوى

ولما شق داود باشا المذكور عصا الطاعة على السلطان محمود خان الثـاني وردت الاوامر من الباب العالي الى قاسم باشا العمري والي الموصل بتجهيز العساكر وبالحملة

على بغداد للقبض على الوزير وعلى مماليك العصاة . فسار قاسم باشا بجنوده واصطحب معهُ المترجم وذكرنا في الجزء الاول كيفيَّة اغتيال قاسم باشا ونجاة عبد الباقي افندي بفلول الجند الموصلي . ثم اقبل اللاظ علي باشا والياً على بغداد ومرَّ بالموصل فاستصحب معهُ الى الزوراء المترجم وقلده المناصب الهامة فولَّاه مراراً منصب كتخدائية بغداد

ثم انتدبتهُ الحكومة التركية لحسم النزاع الواقع بين قبيلتي المشهد المطهر وذلك انهُ في زمن نامق باشا اقتتلت قبيلتـــا الذكرت والشمرت المعروفتان بالمشهد المطهر مدفن الامام علي حيدر . وكانت احداهما توالي الحكومة والاخرى تناصبها العداء وقد عظم منهما الخطب وقامت بينهما الحرب العوان . فانتخبت الحكومة صاحب الترجمة لكشف هـذه المعضلة واصحبتهُ بكتائب من الجنـــد الى النجف الاشرف وخوَّلتهُ الصلاحية باستعمال العنف والشدة فحمل على العصاة وقد آل على نفسه ان لا يريق دماً فاكتفى بتفريق جموع الثائرين بطريق التهديد والتوعيد وبذلك افتتح حصنهم المنيع وسكنت الفتنة .

ومع قيامه باعباء هاتيك المناصب والمهام كان قلمه الساحر ينثر درر النظم والنثر فاحرز في هذا الميدان ايضاً قصب السبق وفاق بلغاء العراق وادباءه وآثاره الباقية تنطق بطول باعه وتوقد ذهنه ومن اهم آثاره ١ً ديوانه الذي سُمي « الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي » طبع مرة بمطبعة حسن احمـــد الطوخي سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثم اعاد طبعه الشيخ عثمان المولوي الموصلي وزاد عليه سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ ص ٢ً نزهة الدنيا في مدح الوزير يحيي وهو كتاب نفيس جمع فيه مختارات جمعها من نظم اثني عشر شاعراً من فحول شعراء الموصل وقدَّم آثار كل واحد منهم بترجمتـــه ناهجاً فيها نهج الريحانة والشامة في الانشاء المرسل وفي تـــدوين الحوادث . فلا يخلو من الاعراق في وصف ذكاء الشاعر والاطراء على عبقريته وهو ايضاً اهمل الاهتمام بسني الحوادث وتعيين سنة الولادة والوفاة . امَّا انشاؤه فيها فهو انموذج التسجيع لجودته باختيار لالفاظ الفصيحة والتأليف الفصيح مع مراعـــاة جانب البيان حذراً من ان يكون الكلام فيها مسهباً مملًا . وبيدنا منها نسخة تقع في ٤٠٣ صفحة من القطع الوسط ٣ً ديوان اهلة الافكار في مغاني الابتكار ٤ً كتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر ٥ً كتاب الباقيات الصالحات

اما نظمه فاليه منتهى الرقة والبلاغة قال في فتح الدولة العثمانية لحصن سيواستبول متفقة مع الدولتين الانكليزية والفرنساوية وقد جعل تاريخ الحادثة آخر كلمة من المصراع الاخير وهو بليغ جداً (من البسيط) :

اقول للدول المنصورُ عسكرها — لا زال عسكرها بالله منصورا
لما اتفقتم على صدق المحبة في — ما بينكم واتحدتم صرتمو سورا
بسطوةٍ دعت الاطواد راجفةً — دمرتمو مُحصَناتِ الروس تدميرا
مدافعٌ غطَّت الدنيا غمائمها — فغادرت صبح يوم الحرب ديجورا
افواهها دلعت للنار السنة — فقرَّرت درس ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من شظى ولظى — ومن دخان اعاد الكون ممطورا
ومن فُلزَّاتها غيثٌ تراكمُهُ — يسحُّ منتظماً طوراً ومنثورا
اقلهم فرَّ لما فرَّ اكثرهم — لكونه بات مقتولاً ومأسورا
والسيف غنّى على هاماتهم طربا — حتى حسبناه فوق الغصن شحرورا
غادرتمو البرَّ بحراً يستفيض دماً — والبحرَ براً على الاشلاء معبورا
سيوَستَبول التي اعيت معاقلها — سخَّرتمو حصنها ارختُ تسخيرا

١٢٧١

ومن غريب ما ورد عنهُ في التراجم الفاروقية انهُ ارَّخ نفسه في عام وفاته ببيت كتب على قبره وهو :

بلسانٍ يوحّد الله ارّخ — ذاق كاسَ المنون عبدالباقي

ولهُ مراسلات انيقة مع ادباء عصره فيها الطرف المستطرفة والمعاني المبتكرة المستعذبة من ذلك انه مدح الشيخ ناصيف اليازجي بقصيدة بائية سنة ١٢٦٤ جاء فيها (من الكامل) :

ابلى النوى جسدي النحيف كأنني قلم بدا بيــدَي نصيف الكاتبِ
حبر جلا في حبره قرطاسُهُ كالتبر لما لاح فوق ترائبِ
فسطورهُ وطروسُه في حسنها حاكت سماء زُينت بكواكبِ

...

لو قمت طولَ الدهر انشد مدحه بين الانام فلم أُقم بالواجبِ
وبمدحه العُمَريُّ آب مؤرخاً ترتيب مدحي في نصيف الكاتبِ

فاجابهُ الشيخ ناصيف بقصيدة من الوزن والقافية قال فيها :

احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعاً وكلاهمــا للنفس اكبرُ جاذبِ
انت الــذي نال الكمال مــدققاً من رازقٍ من شاء غير محاسبِ
فاذا نظمت فانت ابلغُ شاعرٍ واذا نثرتَ فانت افصحُ خاطبِ

وكفى دليلاً على طول باعه وتضلعه من اللغة وشواردها قصيدته الخالــية التي عارض بها خالية بطرس كرامة (طالع ديوانه ص ٢٤٣) فالتحمت المواصلات بين الندّين وقد هنأه بطرس كرامة برتبة الكتخدا بقصيدة بليغة جاء فيها(من الكامل)

الشاعرُ الفردُ الذي اهدى لنا درر البحور نُظِمْنَ في الاوراقِ
درٌّ بجيدك ام حباك قلائدًا من شعره العمريُّ عبد البــاقي
جمع الفصاحة بالبلاغة مثلما قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وفي ديوانه فنون الشعر من تسميط وتشطير وتخميس وتوشيح واجمله ما كان في المدائح النبوية . ونظم ايضاً في الحكميات والرثاء وفي غيرها من ضروب الشعر واجاد في كل ما نظم وكتب وشهرته تغني عن وصفه . وخلف عبد الباقي ثلاثة ابناء سليمان فهيم افندي وحسين حسني بك ومحمد وجيهي بك اقــام الاول في الموصل

واما الاخيران فانهما سارا الى مصر سنة ١٢٨١ وتنقلا اعواماً في اسمى مناصب الحكومة المصرية

عبد الحمد ابن الشيخ جواد الشهير بابن الصائغ الموصلي (١٢٧١=١٨٥٤) وهو احد فحول الشعر ونوابغ الادب في ذلك العصر. اثبت له الاب لويس شيخو اليسوعي شيئاً من النظم في مجلة المشرق وشعره رقيق متين واجاد خاصة في التاريخ الشعري ومنه ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة اللازم في كل صدورها واعجازها تاريخاً للسنة المسيحية ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعله تاريخاً هجرياً وهذا بعضها (من الطويل):

بعثنا اليك بنت رمزٍ من الفكرِ دهاها جوًى أعطت بهِ خالص الشعرِ

امنتم صروع الدهر من قيد حادث شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ

ميامنُ ترعى بطرساً في كرامةٍ الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ

هُديتم بنور الرب باباً فأرّخوا هو الله لا ما زلّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالةٍ طويلة نظماً ونثراً افتتحها بقوله (من السريع):

عشقتكم من قبل لقياكمو وكل معشوق بما يوصفُ

كالشمس لا تدركها مقلة لكنها من نورها تعرفُ

وقال ابن الصباغ يمدح الشيخ ناصيف بقصيدة (من الكامل):

كبش الكتائب والكتاب وانه بالنحر ينطح هامة ابن خروفِ

متوقد الافكار يوشك في الدجى يبدو لهُ المستور كالمكشوفِ

وختمها ببيت ضمنهُ تاريخ سنة (١٢٦٤=١٨٤٨) قال:

فيهِ صفا عبد الحميد مؤرخا ناهيت نظمي في مديح نصيفِ

وخمّس قصيدة الشيخ ناصيف المهملة وجعل تخميسه ايضاً مهملاً

عدو المرء اولادٌ ومالُ   لواسعهم اساورُها حلالُ
احاول طَوْلهم وهو المحالُ   لاهل الدهر آمـال طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

مرور العسر مرمر كل حالِ   وامر الله دمّر كلّ حـالِ
سرورك والهموم دلاء دال   كرور الدهر حوّل كل حالِ
هو الدهر الدوام لهُ محالُ

ولما توفي هذا الشاعر المجيد رثاه اليازجي بقصيدة استهلها بقوله (من البسيط):

لا عين تثبت في الدنيا ولا أثرُ   ما دام يطلع فيهِ الشمس والقمرُ
قد كنت انتظر البشرى برؤيتهِ   فجاءني غير ما قـد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهد الوصل منهُ فقد   رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
هذا الصديق الذي كانت مودته   كالكوثر العذب لا يغتالها كدرُ
لا غرو ان احزن الحدباء مصرعُه   فحزنه فوق لبنان لهُ قدرُ

فوقعت هذه القصيدة موقع الاستحسان عند ادباء العراق فقرظها السيد شهاب الدين العلوي بابيات جعل عجز الاخير منها تاريخاً وهو هذا :

وافت فمرّت بتأسا وتعزية   عليها تحسد الاحيـاء من قبروا
اسديت سلوة محزون مؤرخة   سعدى رثاء بـه الساءان والعبرُ

(المشرق ١٩٠٨ ص ٢٧٨)

محمد امين بن يوسف العمري (١٢٨٨=١٨٧١) كانت ولادته في الموصل سنة ١٢٢٣=١٨٠٨ كذا ورد في جدول التراجم الفاروقية واناخ مطايا التحصيل على افاضل عصره وجمع ما جمع من العلوم التي جعلته مشارًا اليه بالبنان . ثم سار الى بغداد واقام عند خاله وهو من ابناء عمه الشاعر الكبير عبد الباقي العمري وقد ترجمه في نزهة الدنيا واثنى عليه ثناء عاطرًا فقال فيه « تأدب بادبي واقتفى اثري وتعلّق بسببي وقد صحّ ان الولد ليخول على ان اباه قد بلغ من الفضل منتهاه . . . هذا الشب المترَجم والروض المنمم والطراز المعلّم . . . فاح نشر ادبه فاروى بنوافح الخميلة له من الاشعار ما هو ارقّ من نسمات الاسحار واطيب من نغمات الاطيار»

استوطن بغداد واشترى دارًا قرب دار خاله ثم أُحيلت له كتابة ديوان الانشاء وخدم في منصب كتخدا الولاية واستمرّ على ذلك حتى توفي في بغداد ودفن في مقبرة باب الأزج بجوار الشيخ الكيلاني

وجاء في التراجم الفاروقيّة ان لهذا الاديب آثارًا كثيرة من نثر ونظم دُوّنت في كتاب حديقة الورود وفي كتاب نزهة الالباب لو جمعت لكانت كتاباً ضخماً . ومن تلك آثاره رسالة كتبها نظماً ونثرًا وارسلها من الموصل الى العلّامة الآلوسي شيخ علماء الزوراء لاستعارة كتاب « غاية التبيان » قال فيها (من السريع)

ما لاح برقٌ من ربى نجد الا وقد هيَّج لي وجدي

ذكَّرني ليلى ولم انسها مذكِّرٌ في فنن الرَّندِ

غنّى ولكن لم اجد عنده من حرِّ نار الوجد ما عندي

بالله يا ورقَ الفضا هيّجي صبابتي بالاغصُن الملْدِ

ويا نسيم الصبح بلّغهمو تحيتي من خالص الودِّ

من لي وقد سارت ظعون الظبا تخدُّ خدَّ الارض بالوخدِ

لا درَّ درُّ العيس كم غادرت قلبي اسير العدِّ والبعدِ

...

مولاي بحر العلم تيّاره أغمرنا بالجزر والمدِّ
نصّ عليهِ الدهر في مهدهِ بانهُ في هديه المهدي
كأنما اثار اقلامه طرائق التطريز بالبُرْدِ

...

يا ايها المجد الذي مجده لم أحصه بالحصر والعدِّ
ارجوك ان تتحفني غاية م التبيان بل منّاً على العبدِ
لكي اجيل الطَرْفَ في سَرْحها مغنّياً في دوحها مشدي
فاقبل رجائي يا منائي لان قصيدتي تقصر عن قصدي
وانّ مدحي لك اضحى كمن حكّ بظفرٍ جبهة الأسْدِ
لا زلت بحرًا زاخرًا للملا لا تمنع الورّاد عن وردِ

اعرض دعاء مرفوعاً ما كفّ الإبابة والابتهال وابث نفائس امنية مستطابة شذيّة بالسؤال شذيّة بترنم عرض الحال لدى حضرة من احرز قصب السبق في ميدان الفصاحة والبلاغة فبلغ في ذلك الغاية القصوى ولم يبلغ احد بلاغه ... لا زالت اسنة اقلامه طاعنة صدور المعاني مبيدةً في حد شوكتها كل معاندٍ ومعاني ... » وهي طويلة وله قصيدة ضافية في كتاب « نشوة الشمول » امتدح بها نامق باشا مشير الحجاز والعراق في ظفره بقبائل عربية كانت قد رفعت لواء العصيان عليه قال (من الكامل) :

يا ايها الملك المشير القسورْ هذا الجهادُ هو الجهاد الاكبرُ
جاهدت ارباب الشقاء فاصبحوا طوع القيادِ لما تقول وتأمرُ
دارت عليهم المنحوس دوائرٌ فيها النكال مدوّنٌ ومكوّرُ

مكروا فاصبح كيدهم في نحرهم ويحيق مكر السوء فيمن يمكرُ
جحدوا وما شكروا لنعمة ربهم وطغوا وفي طرق الضلال تجبّروا
ظنوا القلاع تصونهم لكنهم لم يعرفوا ان الشقاء مدمّرُ
سخّرتها قهرًا بيومٍ واحدٍ ولك العسير كما تشاء ميسّرُ
فتحٌ بهِ سُدّت ثغور جمة عن سدّها قد احجم الاسكندرُ
فغدا بنو حسن لسوء فعالهم كانوا بها وكأنهم لم يُذكروا
دافعتهم بمدافعٍ كصواعق مثل الرواعد بالقنابل تهدرُ
تتلو عليهم سورة الرعد التي في وعظها اهل الشقاوة تُزجرُ
فغدوا وهذا بالصعيد مجندَل خاوٍ وهذا بالتراب معفّرُ

وهي طويلة وصف فيها تلك الواقعة وصفاً بليناً . ولهُ ايضاً هذه الابيات المتضمنة تاريخ فتح ثلاث قلاع افتتحها هذا المشير سنة ١٢٦٨ (من الخفيف):

اهل هندية بغت بقلاعٍ شيدوها من مكرهم والخباثه
زرعوا حولها الشقاء عنادًا لا رشادًا الى طريق الحراثه
فاتاها المشير ليث البرايا من لهُ الحزم من قديم وراثه
وعليها استولى بشدّة حزم فاغاث الورى بحسن الاغاثه
عند تسخيرها لقد قلت جهرًا سُخّرت ارّخوا القلاع ثلثه

ولهُ في نزهة الدنيا اربع قصائد شائقة في مديح الوزير يحيى وقد جرى فيها مجرى الاستهلال بالغزل والتخلص منهُ الى المديح . اولها همزية عدد ابياتها ٦٦ ومطلعها (من الكامل):

أطل الوقوف على ربى الجرعاء واندب طلول ربائبٍ وظباء

والثانية ميمية تقع في ٥١ بيتاً وهذا مطلعها (من الرمل)

مَن لصبٍّ في وهاد العشق هاما وفؤادٍ علَّم النوحَ الحماما

والثالثة سينيَّة تشتمل على ٤٥ بيتاً مختارًا وهذا مطلعها (من الطويل)

سَرَت عيسهم والليل جنَّ وعَسْعَسَ فلم ارَ من غير النجوم موانسا

والرابعة داليَّة تبلغ ابياتها ٣٥ بيتاً وهذا مطلعها (من الخفيف)

لا تلمني لحب ظبي شرودِ يا عذولي اقصر عن التفنيدِ

واقام المترجَم كتخدا ولاية بغداد الى ان اجاب داعي الله ودفن فيها

الحاج محمَّد فهمي افندي بن مصطفى العمري (١٢٩٠=١٨٧٣) وُلد في الموصل سنة ١٢٤٥=١٨٢٨ وترعرع في حجر الادب ونشأ في بحبوحة الفضل ودرس اكثر علوم المادَّة على اخيه قدوة العلماء الشيخ عليّ . واشتغل حيناً من الزمن على افاضل عصره في الموصل . ثم امَّ الزوراء ونزل في بيت ابن عمه عبد الباقي الشاعر العمري وفي مدة اقامته في بغداد كان يتلقى العلوم في مدرسة محافظها علي باشا وقرأ ايضاً جملة من العلوم على علامة عصره السيد محمود افندي الآلوسي ثم عاد الى موطنه وهو مزدان بابهى حلل الفضل والعلم

وكان ديّناً كريماً برًّا بقرابته يجود بماله على [illegible] . قيل انهُ في احدى سنيّ المجاعات باع مُغلات اراضيه باثمان بخسة الى السنة المقبلة ولما كانت السنة المقبلة وجاء المدينون بالدراهم رفض اخذها . وقيل انهُ البس فروات ثمينة لثلاثة من كبراء القوم كانوا قد تعوَّدوا لبسها ثم غدر بهم الدهر فرعّهم بابتياعها ولم يأخذ منهم عوضاً وقد فعل ذلك حذرًا من ان يستثقلوا اخذها مجاناً وكان قد خصَّص تخصيصات سرية من ماله تدفع سنويًا لبعض العائلات [illegible] وكان في غيابه [illegible] لأخيه ويحثه على دفع اقساط الصدقات لمستحقيها [illegible] في مكاتيبه [illegible] ويذكر عنهُ امثال هذه من الاعمال التي [illegible] الثناء

نال بعلمه وحسن اخلاقه شهرة ذائعة واتخذه يحيي باشا الجليلي معتمداً لهُ فتقلب في المناصب العالية ثم سافر الى بغداد فتقلّد رياسة ديوان انشائها وبعدها خول الامارة في كثير من البلاد الخاضعة لحكم بني عثمان ثم عُيّن لسفارة كرمانشاه من بلاد ايران وفي سنة ١٢٨٨ طلبه من كرمانشاه مدحت باشا المصلح التركي الشهير وكان يومئذٍ في بغداد وقد بلغهُ عن مناقب المترجم فاستقدمه الى بغداد وعيّنه مكتوبياً خاصاً بهِ وكان آخر ما تقلده من المناصب متصرفية السليمانية وهناك انشبت بهِ للنيّة اظفارها فنقل الى مسقط رأسه

وكان ذا المام في سائر العلوم ووقوفٍ تام على مخبيات اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ويعرف ايضاً اللغة الفرنسية والى الآن في مكتبة عائلته كتاب فارسي ترجمه عن اللغة الفرنسية والنسخة بخط يده

اما آثاره فقد رأينا في التراجم الفاروقيّة انهُ الّف رسائل عديدة في قواعد اللغتين التركية والفارسية وفي بغداد رسالة جليلة في القواعد الفارسية . والف ايضاً رسالة في الاداب العربية اودع فيها نفائس اقوال العرب وقد اعجبت هذه الرسالة شاعر العراق عبد الباقي العمري فقرظها بقوله : اما والذي نشكره تدوم النعم وتزيد اني مـا سمعتْ أُذني بعد كلمة اصدق قائلها خطيب العرب لبيد ماصدق ما اودع هذا الحرّ من الكلام الرقيق في هذا القصيـد المزري نثره بنظم العقد الفريد الحـالي بهِ من الموالي غبغب كل جيد . . »

وناهيك بنظمه ونثره فانهُ كان شاعراً مجيداً وناثراً بارعاً جاء وصفه في نزهـة الدنيا فاطرى صاحبها على ادبه كل الاطراء . قيـل انهُ نظم الشعر الجيد وهو في العاشرة من عمره فرثى اباه المتوفى سنة ١٢٥٥ بقصيدة قال في مطلعها :

نعيُ الاحبة قد رمى احشائي فعلى الاحبة ما تركتُ بكائي

وقال ايضاً :

يا دهرُ ما لك قد غدرت بوالدي واخذتهُ من بقعة الاحيـاء

وجاء عنهُ في التراجم الفاروقية انهُ انشد شعراً لو جُمع في ديوان لكان اكبر ديوان ويتحلى شعره بالمتانة والسهولة والبلاغة والضبط فمنهُ قوله (من الكامل)

هذه الديارُ وذا حمى بغدادِ فاعقل قلوصك واتئِد يا حادي
وانشد فؤادي في الربوع فانني خلّفت في تلك الربوع فوادي
لو لم اخلّفه لما ألفيتني اثر الفؤاد يلوح في أفوادي
لم انس يومك يا فراق غداةَ اذ نادى بتفريق الفريق منادي
جدّ الرحيل فمن فؤادٍ رائح اثر الظعون ومن مشوق غادي
ذهبوا بواعية القلوب فكل با قٍ بعدهم فقدَ الدليل الهادي
لله موقف ساعةٍ يوم النوى وُضعت بهِ الايدي على الاكبادِ
قفا بي على دار ألفتُ بها الصبا وبها بلغت من الزمان مرادي
دار بياض العيش تحت سوادها قضيّته مع فتيةٍ امجادِ
ما مرّ لي ذكر الحمى الا اتت منهُ حشاي بقادح وزنادِ
قد صدّق الرؤيا فؤادي اذ فدَى في البعد طيفهمو بذبح رقادي
ما للنياق غداةَ شاهدَت الحمى سارت كسَير المجب المتهادي
يا ويحها او ما درت بمتيَّم يحدو لها طول الدجى وينادي

...

جرّد حسام العزم منك وصَلْ بهِ رغماً على هذا الزمان العادي
ليس الحسام اذا تجرّد مَتْنه للضرب مثل السيف في الأغماد
ليس الهوى مني ولست من الهوى لولا اعتراض السِرْب حول الوادي
ارجو الوصول الى ديار اهلها قطعوا بسيف الهجر حبلَ ودادي
إيهِ فانّ لكلّ ضيقٍ فرجة والغيث بعد البارق الوقّاد

وله ايضاً شعر جيّد في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود . منه قصيدة تقع في اربع وخمسين بيتاً حوت بلاغة ورقّةً ، مطلعها :

عرِّجا بالنَّقا وتلك المغاني وأربعا في مرابعِ الغِزلان

وله فيهِ ايضاً قصيدة سينيَّة اليها منتهى الجودة قال في مطلعها :

عُجْ باللِوى وانزل بهامتعرِّسا واذكر بذاك الحيِّ عهدًا دُرسا

وورد لهُ في كتاب نزهة الالباب في القرب والاقامة والاياب للعلامة الآلوسي نظم ونثر نذكر منهُ تخميساً نفيساً انشده في غرّة شهر المحرَّم فوصفه المؤلف واطرى جودته ورقته وهذا هو :

هلَّ المحرَّمُ فاستهلَّ بعبرةٍ طَرْفي على فقدان اشرف عترةٍ

فتيقظتْ منهُ لواعج حسرةٍ وتنبَّهت ذات الجناح بسحرةٍ

في الواديين فنبَّهت اشواقي

وغدت تردّدُ بالغناء على فننْ واخذتُ أنشدُها رثاء ذوي المحَنْ

فبكت معي فَقْدَا الحسين اخي الحسنْ ورقاء قد اخذت فنون الحزن عَن

يعقوب والالحانَ عن اسحقِ

هي لم تكن ببني النبيّ مصابةً مثلي لتندب بالطفوف عصابة

اني اتخذت رثا الحسين مثابةً أَنى تباريني جوًى وصبابة

وكآبةً وأسى وفيض مآقي

وعلى شهيد الطَّفِ حشوَ ضمائري كمدًا احاط بباطني وبظاهري

أوَ تُدرِكُ الورقاء كنهَ سرائري وانا الذي أملي الهوى من خاطري

وهي التي تُملي من الاوراقِ

وورد ايضاً لهُ في نزهة الدنيا ثلاث قصائد بليغة . وليس في شعره اغراق في الغزل والمجون فقصيدته الاولى هائية تبلغ ابياتها ٦١ بيتاً جاء فيها (من الطويل)

فتى ضيَّعتْهُ اهلُهُ واقاربُهْ ... وما هي والايامُ الا عقاربُهْ

وليس لهُ ذنب سوى ان كفه ... تفك قيودًا للعُفاة مواهبُهْ

ولي في الورى من كل فعلٍ جميله ... ومن كل قول في الانام اطايبُهْ

واني من الاحرار لست باول ... اصابتهُ من صرف الزمان مصائبه

فهذي طباع الدهر فاللَّيث موثق ... بقيد من البغضاء والكلبُ صاحبهْ

والثانية بائية تقع في ٣٧ بيتاً مطلعها (من البسيط)

لا يبلغ الغاية القصوى من الرتب ... الا الذي نال اعلاها بلا طلَبِ

والثالثة رائية عدد ابياتها ٣٧ قال في مطلعها (من الوافر)

فؤاد لا يقرُّ لهُ قرارُ ... وقلبٌ بالصبابة مستطارُ

ورأينا لهُ ايضاً نظماً رقيقاً في اللغة التركيَّة . ولهُ عدا ما ذكرناه مراسلات شعريَّة مع شيخه العلامة الآلوسي اذا سمعتها تحقَّق لديك ما صحَّ في الخبر ان من الشعر لحكمةً وان من البيان لسحرًا

السيد عبد الغفار الاخرس ابن السيد عبد الواحد ابن السيد وهب (١٢٩٠=١٨٧٣) وُلد في الموصل عام ١٢٢٠=١٨٠٥ ثم رحل الى بغداد واستوطنها وسكن جانب الكرخ وقرأ على الشيخ الآلوسي كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازة ودرس ايضاً العلوم العقلية والفنون العربية تضلع منها . ثم اخذ يترحَّل في مدن العراق وهو يتقلَّب بين سراء وضرَّاء واثرا واقلال . واُقِّب بالاخرس للكنة كانت بلسانه قيل انهُ في شبابه كتب الى الوزير داود باشا ابياتا يسأله فيها ان يأمر بمعالجة لسانه قال :

ان اياديك منك سابقــة علي قِدماً في سالف الحُقبِ
هــذا لساني يعوقهُ ثقل وذاكَ عندي من اعظم النُّوَبِ
فلو تسبّبت في معالجتي لنلت اجرًا بذلك السَّبَب
وليس لي حرفة سوى ادب جمٍ ونظم القريض والخطَبِ

وعلى هذا انفذه الوزير المذكور الى بعض اطباء الهند فقال لـهُ الطبيب انا أعالج لسانك بدواء فاما ان ينطلق واما ان تموت فاجابه الشاعر لا ابيع كلي ببعضي واقفل راجعاً الى بغداد ومنهــا ارتحل الى البصرة . ثم اعتزم على السفر الى بيت الله الحرام سنة ١٢٩٠ لكنهُ عدل عن فكره لمرض اعتراه فعاد الى بغداد طلباً للمعالجـة فلم ينجع فيهِ دواء ثم عاد الى البصرة وفيها توفي بعد اشتداد مرضه يوم عرفة فشيّــع جنازته كبراء البلدة وفضلاؤها ودفنوه في مقبرة الامام حسن البصري خارج قصبــة الزبير . وعلى رواية السيد نعمان الآلوسي ان وفاته كانت في سنة ١٢٩١

كان شاعرًا مجيدًا نال شهرة ذائعة فبينما كانت مصر تفتخر بطهطاويّها وبيروت بياسيّها الحاج عمر كان العراق يفتخر باخرسه الذي احرز الرهان في مضمار الادب فاقرّ لهُ ادباء العراق بطول الباع وبالتقدم عليهم . جــاء في مقدّمة ديوانه « كانت اكابر الوزراء تحترمه وتشتاق الى طلعته واماجــد العراق ترتاح الى مفاكهته . . . . بشعر يقف مهيار عند ابوابه ويعجز ابو تمام عن الوصول الى فسيح رحابه . حيث ان منواله الطويل العريض لم يتيسّر لاحدٍ ان يأتي لهُ بنظيرٍ ومثيل وقد مازج برقتــه الارواح ممازجة الماء القراح باقداح الراح . . . » وقال عنهُ صاحب كتاب المسك الازفر « اليهِ النهاية في دقة الشعر ولطافته وحلاوته وعذوبته . . . »

جمع احمد عزت باشا العمري من شعره المبعثر ديواناً نفيساً سماه «الطراز الانفس في شعر الاخرس » يقع في نحو عشرة آلاف بيت فطبعه في مطبعة الجوائب في الآستانة سنة ١٣٠٤ وفي هذا الديوان تتجلى عبقرية هــذا الشاعر لكنه تأثّر في اكثر شعره بالاغلبية الساحقة من الشعراء المتأخرين الذين اتخذوا صناعة الشعر باباً للتكسّب فلم يفسح المجال لقريحته الشعرية اذ انــهُ كان يرمي فيما نظمهُ الى هدفٍ واحــد هو

الاستجداء فصرف ذهنه الى الاعتناء بمعاني المديح وبخرافات التقريض كمضطر الى التزلف توصلاً الى مأرب ام جرّ مغنم · ومن رقيق شعره قوله في العتب والاستجداء (من الطويل)

بقيتُ بقاء الدهر هل انت عالم ... من العتب ما يُملي عليك وما أملي
لقد كنت تجزيني بما انتَ اهلُهُ ... على الشعر قبل اليوم بالنائل الجزلِ
فارجعُ عن نعماك في الف درهمٍ ... أزيل بها فقري وأغني بها أهلي
فنقّصتني شيئاً فشيئاً جوائزي ... واوقفت حظي منك في موقف الذلّ
ولي فيك ملء الخافقين مدائح ... ولي غررٌ ما قالها احدٌ قبلي
فمن اي وجهٍ انت انزلتَ رتبتي ... واصبحتُ بعد الويل اقنع بالطلّ
فان كان من بخلٍ فلم يُرَ قبلها ... فتًى من رسول الله يوصف بالبخلِ
وان كان من طعن العُداةِ وقدحهم ... فما قولهم قولي ولا فعلهم فعلي
فليس من الانصاف مثلي تُضيعه ... وتجهله ظلماً وحاشاك من جهلي
وتبلغ منك الناس اقصى مرامها ... ويُحرم من دون الورى شاعر مثلي

وخمّس ابياتاً لعبد الباقي العمري قالها في قاضٍ جائر ولم نجد هذا التخميس في ديوانه :

ألا قطّع الرحمان كلّ مقاطعٍ ... مضرٍ بما يقضي بهِ غير نافعٍ
وراضٍ بظلمٍ طامع غير قانعٍ ... وقاضٍ يجور ما لهُ من مضارعٍ

على انهُ بالعَسْفِ اقطعُ من ماضِ

فكم قد جنى في حكمهِ من جناية ... وقد راح في غيٍّ لهُ وغَوايةٍ

فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ قضى ومضى لكن الى كل غايةٍ
من الخزي لا يخطى بها ابدًا قاضِ

بلينا بقاضٍ جائرٍ غير عادلِ يجور بحكم قاصر غير طائلِ
ومن اعظم البلوى بلاءٌ بجاهلِ يقولون يقضي قلتُ لكن بباطلِ
وقالوا يقصُّ الحق قلتُ بمقراضِ

ومن رقيق شعره قوله من موشح طويل (من الرمل)

بحياة الطاس والكاس عليك نزّه المجلس من كل ثقيلْ
وتحكَّم انما الامرُ اليك ولك الحكمُ ومن هذا القبيلْ
كيف لاوالكأس تُسقى من يديك ما على المحسن فيها من سبيلْ
ولك الله حفيظاً ولنا حيثما كنتَ وما شئتَ افعلِ
واجرِ حُكم الحبِّ فينا وبنا انتَ مرضيٌّ وان لم تعدلِ

. . . .

حبذا مجلسنا من مجلسِ جامعٍ كل غريب وعجيبْ
نَغَمَ العودُ وشعر الاخرسِ ومحبٌّ مستهامٌ وحبيبْ
يتعاطون حياة الانفسِ في بديع اللفظ والمعنى الغريبْ
بابليّ السحر معسول الجنى اين هذا واشتيار العسلِ
واذا مرّ نسيمٌ بيننا قلتُ هذا وَيْحَكم من غزلي

وله مرثية قالها في موت عبد الباقي العمري جاء فيها (من الكامل)

ما لي اودّعُ كلَّ يوم صاحباً اذ لا تلاقي بعد طول فراقِ

واصارم الاحياب لاعن جفوةٍ   مني ولا متعرّضاً لشقاقِ
فارقتهم ومدامعي منهلّةٌ   وجوانحي للبين في احراقِ
فارقتُ اذكى العالمين قريحةً   واجلّها فضلًا عن الاطلاقِ
وفقدت مستَند الرجال اذا روت   عنهُ الثقاة مكارم الاخلاقِ

وختمها بتاريخ وفاته قال :

رزءٌ أُصيب به العراق فأرّخوا   رزْءُ العراق بموت عبد الباقي

الشيخ عبدالله افندي رئيس العلماء بن محمد جلي العمري (١٢٩٧=١٨٧٩)
نشأ على حب العلم فقرأ وهو في حداثة السنّ علم الكلام على ابيه واخذ ايضاً عن محمد امين الشهير بابن سعد ثم قرأ الفقه والحديث والتفسير والاصول على عمه الشيخ يوسف العمري واقتبس منهُ ما تيسّر لهُ من معقول ومنقول واخذ ايضاً عن الشيخ قاسم المعروف بابن الخباز . ثم رحل الى بغداد في طلب العلم ودخل مدرسة الوزير داود باشا وكانت يومئذٍ زاهية زاهرة وقرأ على الشيخ احمد الزند ولما عاد الى الموصل اكمل ما ينقصه من العلوم على الشيخ علي محضر باشي اشهر علماء زمانه فاجازه هذا اجازة عامة وخُلع عليهِ في ديوان الوزير الجليلي . وبعد هذا اشتغل بالتدريس فطبقت شهرته الخافقين وقصده الطلاب من الديار البعيدة فانتفع بهِ خلق كثير وتخرّج عليهِ اشهر علماء الموصل

هذا ما استفدناه من التراجم الفاروقية ولم يرد لهُ فيها شيء من الآثار نظماً ام نثرًا واكتفي بالقول ان لهُ شعرًا جيدًا وقصائد بليغة منها تخميس الهمزية . اما في نزهة الدنيا حيث تجد ترجمته محشاةً بالمجاز والاستعارة فلهُ سبع قصائد بليغة تبلغ كل واحدة منها نحو مئة بيتٍ ونيف وكلها في المديح فمنها قولهُ (من الطويل)

وليس الذي يُكسى الفخارَ بمنصب   يساوي الذي يكسو المناصب بالفخرِ
اقول لمن قد رام يطلب شأوه   وقاس الثريا بالثرى وهو لا يدري

اليك فقل ما كلُّ ابيض صارمٌ وما كلُّ ذي لين يُعدُّ من السُمْرِ
ولا كل نجم ضاء كالشمس نورهُ ولا كلُّ زهرٍ طيّبُ الطيّ والنشرِ
ولا كل بحر يُخرج الدرَّ للورى ولا كل درٍّ علّقوه على نحرِ
وهيهاتَ ان تسمو الكرام لمجده ولو انهم طاروا بأجنحة النسرِ

ولهُ قصيدة شائقة في المديح استهلها بالفخر وتخلص الى الغزل ومنه الى المديح وهذا منها (من الطويل)

ذريني اجوب البيد في سُبل المجدِ فان محبَّ المجد لا زال في وجدِ
ولا فخر الّا بالفضائل انها لذكر الفتى تحييهِ بالمدح والحمدِ
ألم تعلمي يا حيُّ اني متيّم بحبّ المعالي لا عهود ولا هندِ
وقدماتُ عن حبّ الملاح وان اكنْ بشرع الهوى شيخ الطريقة والزهدِ

عبدالله افندي رئيس العلماء بن مصطفى آغا بن يوسف آغا المعروف بالدملوجي كان من مشاهير هذا النصف وتوفي في آخر ايام ولاية محمد باشا اينجه بيراقدار سنة ١٢٥١ــ١٢٥٩=١٨٣٥-١٨٤٣

اخذ الاجازة عن شيخه الكزبري واشتغل بالتدريس فتخرَّج عليه كثيرون من علماء الموصل وكان محترماً رفيع المنزلة عند الخاصّة والعامّة وقيل انه أنقذ من حكم الاعدام كثيرين من الابرياء الذين قُضي عليهم بالموت وذلك بفضل ما كان لهُ من النفوذ عند الوالي الشديد الشكيمة محمد باشا المذكور

لم نجد لهُ من الآثار سوى ما نُقل الينا عن شرحه « عصام » وقيل ايضاً ان لهُ حواشي يتداولها العلماء

ومن شعراء هذا العصر طائفة عاصروا يحيى باشا الجليلي الذي تولّى حكم الموصل ١٢٣٨—١٢٤٨ وقد وقفنا على تراجم بعضهم في كتاب نزهة الدنيا وسبقنا

فذكرنا في وصف هذا الكتاب النفيس ان مؤلفه لم يهتمّ بتاريخ ولادة ووفاة الرجال الذين دوّن سيرهم ولا بذكر حوادثهم المهمة فاضطررنا الى الاقتصار على تنسيقهم بين شعراء النصف الثاني من القرن الثالث عشر والاجتزاء بما توصّلنا اليه من اخبارهم في المصنَّف المذكور

﴿ ابو نصيف النشاطي محمد اسعد بـك بن نعمان باشا الجليلي ﴾ وهو اخو الوزير يحيى باشا . نشأ في الموصل ورغب منذ حداثته في العلم وفي ارتشاف سلافـة الادب فقـال صاحب نزهة الدنيا : «كسَتْهُ النباهة حلـل التكريم والتعزيز فقرأ وكتب وازدان بما اكتسب فبرع قبلما شرع ، وارتفع حيثما النسر وقع ودان لـهُ السيف والقلم ، وابتهج بهِ الوشي والكرم . . . » اه

ولما تربع اخوه في دست الوزارة عيّنـه كتخدا وجعله معاوناً لهُ ومستشاراً وخلع عليهِ خلع الرياسة فهنأهُ بمنصبه عبد الباقي العمري بقصيدة ختمها بتاريخ ومما جـاء فيها قوله (من السريع) :

ابا نصيف لك روحي الفدا   من اكرم يحبُ ببذل الندى

وضيغم ببأس اقدامـهِ   وعضبهِ هام العدى قـدّدا

وفي اخيـهِ الحـاكم المرتجى   من ذروة العزّ رقى مَحْتدا

شقيقـه يحيي ابو جعفر   بفضله احيا لنا خالدا

ومذ اتى الحكم بتاريخهِ   احلّ يحيي اسعدًا كتخدا

وكان اخوه الوزير ينفذه الى بغداد في مهـام الامور في زمن حكم داود باشا فنال ثقة الجمهور واستحسان اولياء الامور ووجهت اليهِ الرتب من السلطان العثماني مع الشعائر السلطانيّة والصراصر الخاقانية (فروة من سمّور) فقال عبد الباقي العمري يهنئه (من الطويل)

علوت علوّ البدر يا اسعد الورى   برتبتك العليـا بغير مزاحمِ

رؤوس همايون اتتك ففز بهـا   ودُمْ براقٍ فخرهـا جَدُّ غانمِ

وكان متفقهاً في العلوم العربية وله شعر رقيق ونثر انيق . جاء في نزهة الدنيا : « وله غرر القصائد ، منضدة من الحماسة والسماحة بعرائد ، من النثر والنظام ، مما يؤكد كلام الملوك ملوك الكلام ، وقد افردناه في ديوان ، مشحون ببيان المعاني ومعاني البيان . . . » اه . ولكننا لم نجد من شعره الا ما نظمه في مديح اخيه الوزير ومنهُ قصيدة في حملة لاخيه على عشائر الدنادية ففرق جموعهم وخضد شوكتهم وعاد منتصراً والقصيدة تقع في ٣٢ بيتاً وقد استهلها بالغزل وهذا مطلعها (من الوافر) :

جفتني الفانيات وكلُّ شادِ وقد حُرمت عيوني من سهادي

ومُطّلبي من الدنيا ثلاثٌ لاني راحل عنها وغادِ

حبيب ثم عز مستدامٌ وصهوة أشقر سلس القيادِ

اغرُّ خاض قلب الفجر عمدا أصيلٌ قد تعوّد للطرادِ

لأقطع فوقهُ بيد الفيافي فتحسبني اذًا من قوم عادِ

ولست اعيش بالدنيا ذليلًا ولست بقانعٍ بحصول زادِ

وإنْ ابعد عن الاوطان اني عزيز حيث كنت من البلادِ

. . . .

وايام أتت سودٌ صعابٌ مصبَّغة النوائب بالسوادِ

أقضّي الدهرَ في قيلٍ وقالٍ ولا يُقضى مرادي من سعادِ

كما قد نال يحيى العزَّ لما اطاعتهُ الجبالُ مع الوهادِ

واهرق من نجيع بني يزيدٍ دماء سال منها كل وادِ

❁ صالح تقي الدين افندي بن يحيى افندي الشهير بسعدي الموصلي كاتب ديوان الانشاء ❁ عدّد صاحب نزهة الدنيا علومه واثنى على فضله وشمائله ونوّه بطول

باعه في المظوم والمنثور . فكان ذا قدم راسخة في الآداب العربية والتركية والفارسية ذا ملح ونكات مع دماثة اخلاق فتقدم في مراتب الحكومة حتى كانت اليه رياسة ديوان الانشاء في الموصل

وذكر ان له آثاراً من رسائل وتعاليق وشروح منها حواشيه على الخيالي وعلى السيوطي وشرح الألفية وغير ذلك . ووجدنا له ديواناً يقع في ١٩٤ صحيفة من القطع الوسط جمع فيه قصائده البليغة التي نظمها في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية . ونظمه فيها جيد حسن السبك بليغ المعنى وفيه التشطير والتخميس والمديح والغزل والمراسلات واكثر شعره في مديح الوزير يحيي الجليلي . وفي ذيل هذا الديوان مجموعة صغيرة جمع فيها مختارات من قصائد الحماسة . وفيه ايضاً رسالة لهذا الشاعر شرح فيها منظومة في الخط ومطلعها :

يقول صالح بن يحيي الموصلي	عامَله بلطفه المولى العلي

وتقع هذه الرسالة في نحو ٢٣ صحيفة قال في مقدمتها « . . . اما بعد فهذا شرح وضعته على منظومتي في الخط يبين مقاصدها . . . » وفي آخرها يقول نجز هذا الشرح بقلم المؤلف . . . لخمس مضين من شوال سنة ١٢٣٠»

اما شعره فرقيق يتحلى بالضبط وجودة المعنى ومن مديحه الذي يجري فيه مجرى الغزل قوله (من الرمل) :

هاتِ علّلني باخبار الهوى	لارى راحة نفسي في عناها
قاسَمتني النوح ورقاء الحمى	فعراها من نحيب ما عراها
عبرةٌ في هُدْب عيني نُظِمت	كانتظام الزهر في سلك دجاها
يا شقيق الروح اني عائذ	بك من ضدّ حمى العين كراها
آن ان ترثي روحاً عُذّبت	يأسها ادنى اليها من رجاها
أترى قربك يُجدي ثروةً	او يُنيل المجتلي عزّاً وجاها

كالوزير الندب يحيى المرتجى من بهِ الحدباء قد عزّ حماها

ومن رسائله في الشعر قوله في رسالة الى بعض الاخوان (من الطويل) :

سلامٌ جزيل ما حوته الدفاترُ تضمّن شوقاً ما لا قصاه حاصرُ
سلام كنشر الروض باكره الحيا وعاودهُ سارٍ من المزن هامرُ
تحثُّ الى دار السلام ركابُهُ ديارٌ بها حلّ الاديب المفاخرُ
هو الخلُّ لا يُثنيهِ بُعدٌ عن الوفا وان حال في البين البحارُ الزواخرُ
فعهدي لهُ عهدي وودّي لم يَحُلْ وذكر لياليهِ الانيسُ المسامرُ
اتاني كتابٌ منهُ يحكي طباعهُ فهيّمني فليعذرني عاذرُ
فيا من تردّى بالوفاء اديمهُ فاضحى ومن حسن السجايا العناصر
فأيتَ وطالت بيننا شُقّةُ النوى وقد أصدأتْ مرآةَ فكري الخواطرُ
فليت اجتماعاً حُمّ يوماً فنلتقي ونشكو جميعاً ما تكنُّ الضمائرُ

ومن تخاميسه قوله يخمّس ابياتا لابن دقيق العيد :

اني اراكَ حليف طرفٍ طامحٍ نحو المنى فاسمع مقالة ناصحٍ
ان لم تحاولها بجدٍّ مانحٍ اتعبت نفسك بين ذلة كادحٍ
طلب الحياة وبين حرص مؤمّلٍ

ووردتَ مثلي ماء عيشٍ آجنٍ متردّدًا في مدلهمٍّ داجنٍ
وبقيتَ في قلٍّ وداءٍ ناجنٍ وأضعتَ عمرك لا خلاعةَ ماجنٍ
حصّلت فيهِ ولا وقارَ مبجّلٍ

وصلَ السعيد الى الرشاد فلم تَصَلْ ... وصبا الغويُّ الى الفساد فلم تَمِلْ

لَمْ ذا بشيء منهما لم تشتغل ... وتركتَ حظ النفس في الدنيا وفي الـ

أُخرى ورحت عن الجميع بمعزلِ

﴿ قاسم حمدي افندي السعدي المكتوبي ﴾ وهو اخو صالح افندي المتقدِّم ذكره وقد اثنى عليهِ صاحب النزهة كل الثناء وكان من اقرانه في كتابة ديوان الانشاء ومن السبّاقين معه في حلبة الادب وكان يتقن ايضاً اللغتين التركية والفارسيّة ولهُ فيهما نظم بليغ ورد منهُ في نزهة الدنيا ١٠١ نظمه العربي فاليهِ منتهى الرصانة والرقة والعذوبة فكان لا زاهدًا فيهِ ولا كثير المجون ومنهُ داليّتهُ التي تقع في ٣٦ بيتاً قال فيها (من الطويل):

ذريني حليفَ الصبر فالصبرُ يُحمَدُ ... ولا تجزعي فالمرءُ يشقى ويُسعدُ

فكم حاز مثلي بالتأنّي مرامهُ ... وضلّ عن العلياء من ظلّ يجهدُ

هبي قد مضى عشرٌ من العمر عسرةً ... وحولي عداةٌ غائظون وحُسّدُ

وبيّضتُ من تلك التساويد عارضي ... وسوّدتُ حظي واليراعة تشهدُ

وكنت على هونٍ وكانت بضاعتي ... بندرتها في ذلك السوق تكسدُ

فهلّا انجلى ليلُ الهموم واشرقَتْ ... شموسُ المنا بالسعد والدهر مسعدُ

وقال مضمّناً ومذيّلًا بمدح الامير النشاطي والقصيدة طويلة تقع في ٤٠ بيتاً (من الكامل):

هل رجعةٌ بالعمر تارهْ ... لحلى الشباب المستعارهْ

ايامَ امرح في الصبا ... واجرُّ من طربي إزارَهْ

غصنُ الشبيبة قد ذوى ... بعد الطلاوة والنضارَهْ

اسفاً على ليل الشبا ... بِ وان حظِّي نهارَهْ
شُهُبُ الصباح على الدجى ... أطلقن في الفَوْدين غارَهْ
لا تهتدي طرفَ المعا ... لي بالمهارَهْ والشطارَهْ
من لم تصدّره الجدودُ ... فلا سبيلَ الى الصَّدارَهْ
لا تستعن بسوى الكرا ... مِ على الامور المستشارَهْ
ما كلُّ من قلّدتهُ ... سيف العلى يحلو غرارَهْ
واستودع السرَّ المصو ... نَ لمن عدا يحمي ذِمارَهْ
فالندبُ يحمي جاره ... ومن استجار بهِ أجارَهْ
واذا اردتَ اخا حجى ... للامر فاستزكي نجارَهْ
فالصقر يَعرِف صيدَه ... بالطبع من قبل الصقارهْ
والحرُّ يعرف حدَّه ... ولو ارتقى رُتبَ الامارَهْ
واذا هفا زاكيْ الارو ... مة مرّةً فأقِلْ عثارَهْ
فالزند قد يخبو وقد ... تنبو الظُبي بيديك تارَهْ
والعبدُ يُقرعُ بالعصا ... والحرُّ تكفيهِ الاشارَهْ

ومن رسائله الشعريَّة البليغة قصيدة ارسلها للأمير النشاطي لما كان في بغداد سنة ١٢٣٨ والقصيدة تقع في ١٢ بيتاً قال (من الكامل) :

زفراتُ شوقٍ أجّجت في الاضلُعِ ... هيهاتَ يطفيها سحابُ الادمع
يا مقلتيَّ ترفّقاً بحشاشةٍ ... مرضى وطرفٍ بالسُّهادِ مولّعِ
روحي الفداءُ لجيرةٍ ودّعتهم ... والصبرُ إثرَ الظاعنين مشيّعي

يا قاصدًا ارض العراق وُقيت من ألمِ الفراق وحرقة المتضجّعِ

ان جئتَ هاتيك الديارَ وجزتَ في زورائها مأوى الأَحبّـة فاسرعِ

واقصد هناك نزيلها العالي الذُرى واصدع فُديت الى المحلّ الارفعِ

والثِم ثرى ذاك الجنـابِ وحيّـهِ بمراسم الآداب غير مروّعِ

واعرض لساحتهِ السنيّة قصـةً حبّرتُها بمداد فيض الادمع

ومن نوادر تخاميسه قوله (من الخفيف):

هل ترى للحمام حزناً وَبَيْناً وهو يعلو جذلانَ غصناً فغصنـا

ليت شعري لأيّ وصف ومعنى نسب الناسُ للحمامـة حزنا

واراها في الحزن ليست هنالكْ

فالحزين الذي قفـا كلَّ نهجِ من هواه باليـأس دون الترجي

فهي ليست كمن ينوح ويُشجي خضبتْ كفّها واطّوقت الجي

دَ وغنّت وما الحزين كذلكْ

ولهُ ايضاً هـذان البيتان منقولان من الفارسية وقد اجاد في باب التعريب (من الكامل):

لا تطلبنَّ من الاسافـل حاجـةً او حلَّ مشكلةٍ ونَيْـل مرامِ

فالعقدةُ الوثقى فديتُك حلُّهـا لا يُرجى بأظافر الاقـدامِ

ولهذا الشاعر المجيد قصائد غرّاء في نزهة الدنيا قد اجتزأنا بما ذكرناه لهُ على سبيل المثال . ولـهُ ايضاً في النثر المسجّع قلمٌ ساحر منهُ هذه القطعة وقـد عارض بهـا الموسويَّ في المديح منها : « قرّت بسنا البارق ، عين الزمن الرائق ، اذ اقبل بالسابق من اشهبه الفائق، جُلِت حكم الخالق . . واستقبلتهُ السُحب ، مع الخشية والرعب ،

وقد اسدلت الذيل ، ودمــع العين كالسيل ، وقــد اغمرت الارض ، حيًا بالطول والعرض ، فتاهت بلدة الخضرا ، بتلك الحلة الخضرا ، وقام الزهر والنوْر ، من الروض على الغوْر ، بترحيب على ساق ، كشتاق لمشتاق ، فقم نغتنم العيش ، بــلا طيش ، بظل الملك الحازم ، صمصام القضا القاصم ...» وهي طويلة

﴿ الحاج محمد سعيد الجوادي ﴾ نشأ في الموصل ودرس على والده علوم عصره من معقول ومنقول وجدّ في تحصيلها واخذ عن اشهر علـماء الموصل فنبغ في العلم وبرز في الآداب . وجاء عنهُ في نزهة الدنيــا « جمعت ذاته السعيدة بين صفات الكمال وكمــال الصفات فهو الجامع الازهر ضاع نشر كلامــه المنثور على منثور الازاهر ، وضاع بديع نظمه على منظوم عقود الجواهر ...»

سار الى الشام سنة ١٢٣٠ قاصداً الحج ثم عــاد الى الموصل فقرّبه اليه الوزير يحيى باشا وعيّنه اماماً وخطيباً في جامعه واشتغل ايضاً بالتدريس زمنــاً طويلاً تخرّج عليه العدد العديد من فضلاء الموصل . ولهُ الشعر الجيّد والنّظم الرقيق وفي يدنا من قصائــده الغرّاء ٤٧ قصيدة يبلغ عدد ابياتها نحو ١١٢٠ بيتــاً وكلها من مختارات الشعر فيها المديــح والغزل والحماس والفخر والحكم وفيهــا التشطير والتخميس والتوشيح وفي جميعها اجاد وابدع وطرّز ونمق . فمن نظمه قوله (من الكامل):

ليس الفخارُ سوى اقتناء مكارم تبقى مآثرهــا بقــاء العالمِ

وخزائن الدولِ الرجالُ وانّما الاموالُ عرضةٌ وارث او غانمِ

والمستجيرُ بقومه اهل النُّهى للرأي والشورى فليس بنادمِ

والعقل مخلوق لدرك عواقبٍ لتتمّ بــدء اموره بخواتمِ

والدهر لم يدرك دقائقَ سرّهِ من لم يجرّبــه تجاربَ عالمِ

والشهم من ابقى لهُ ذكرًا على مرّ المدى والعمرُ نومة حالمِ

والمرء لا تحمَده ان لم تلقَهُ في الغيظ ذا قلب لسرّك كاتمِ

والسيف لا تذمُمْه يوماً ان نبــا فالنار تخبو مرةً عن ضارمِ

والدرع يُشكى ثقله لكنَّهُ يحميك يوم الروع وقعة صارمِ
والتبر يجمعه الكريم لانه يوماً يُفرّق فيهِ جمعُ ضياغمِ

وعارض قصيدة المعرّي « الا في سبيل المجد ما انا فاعلُ » فقال :

انبّه دهري دائماً وهو غافلُ وألهو بسُمْرِ الخطّ وهي ذوابلُ
وما كنت ادري والاماني تقودني الى الرفع ان الدهر للجرّ عاملُ
تقول فتاة الحيّ ما لك ضائعاً وذكرك من دون البريّة خاملُ
فقلت لها مالي سوى الفضل صفقةٌ ومذ خُسرت خابت عليَّ الوسائلُ
ولما رأيت الجدّ للجدّ غالباً وليس لتحصيل الفضائل حاصلُ
توطنت داراً لا يذلّ مقيمها فما انا حتى يرحلَ العمرُ راحلُ
واسبلت اثواب الخمول على المنى فلا انا مأمولٌ ولا انا آملُ
وشعرُ الفتى فاعلم دليلُ كماله وللفضل عند الكاملين دلائلُ
اقمت زماناً لا أفوه بنظمهِ بخلتُ بهِ والحرُّ بالمجد باخلُ
بجدٍّ ومجدٍ عِشْ وقُلْ غير قانعٍ ألا في سبيل المجد ما انا فاعلُ

وهي طويلة جارى بها الشاعر الفيلسوف لكنه ظهر بآرائه العمليّة اتكاليّاً قيدياً لا استقلاليًا فهو يرضخ لاحكام القضاء والاقدار ذاهباً الى ان الجدّ واكتساب العلم لا يغني فتيلًا ما لم يُسعد المرء جدُّه وهذا لا يتفق مع مبدأ الاعتماد الشخصي البارز في القصيدة المعارَض بها :

الا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائلُ

وخمّس فخريّة السموءل فقال وأكرم بهِ من قائل :

جمعنا فخاراً صحّ للناس بعضهُ ومن كفّنا نفلُ النوال وفرضُهُ

وفينا شبابُ الفضل أينع غضّـهُ اذا المرءُ لم يدنس من اللؤم عرضهُ
فكلُّ رداء يرتديهِ جميـلُ

بغير حمانا ليس يلجا طريدُنا وغير نـدانا لا يُرجّى مريدنا
وانّا نزيد البحرَ لو يستزيدنا تعيّرنا انّا قليـل عـديدنا
فقلت لها ان الكرام قليـلُ

صدَقنا وقدّمنا على القول فعلَنا الى ان طوينا ذكر من كان قبلنا
فما ذُلّ من كانت عطاياه فضلنـا وما ذُلّ من كانت بقاياه مثلنـا
شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ

وله ايضاً يشطر ويصرّع بيتين لعبد الباقي العمري قال (من الطويل) :

شربتُ من الحبّ الالهيّ شربةً فلم يَحكِهِ حبٌّ من الدر مكنونُ
تركّب من قانون حكمٍ وحكمةٍ وكلٌّ من الاجزاء بالقسط موزونُ
فصحّ مزاجُ العدل فيهِ لانّـهُ بتعديلهِ سعـد البريّة مقرونُ
شرابٌ باكسير الحيـاة محبّبٌ بماء الشفا في راحة اللطف معجونُ

وقال يؤرخ بناء ديوان شاده الوزير المذكور سنة ١٢٣٩ (من الطويل) :

كأنّ هلال الافق قابلَ وجهَـهُ اوالشمس حلّت منه في برج ميزانِ
فعش فيهِ مسرورًا فتاريخ يُمنهِ حكى سمكهُ ايوان كسرى نوشروانِ

﴿ محمّد العلامي مفتي الأئمة الشافعية ﴾ وهو من البيت العـلامي الذي اشتهر برجاله المبرّزين علماً وادباً وقد اتينا في العصرين السابقين على ذكر اهمّ رجالاتهم ولم نقف في نزهة الدنيا على شيء جديد بالذكر فيما يختص بحياة صاحب الترجمـة غير

الاطراء على عبقريّتهِ في النظم والنثر مع تعداد اوصافه وفضائله فقال عبد الباقي افندي العمري وكان قد صحبه زماناً طويلاً : « اظهر ما اندثر من مآثر اسلافه ، وادار على الافكار من خندريس مداامة سُلافه ، وقد وقرت علومُهم في صدره ، وظهرت فنونُهم من مضامين شعره . . . »

انشد من ابيات بليغة تظلم فيها من الزمان واهله وربما كان ذلك على سبيل الشعر ليتخلص منها الى المديح فيعطيه متانة وقوةً قال (من الطويل) :

فليس ببدع فالامور تغيّرتْ ... وكلُّ نظامٍ في الزمان تبدّلا
وأصبح هامُ المكرمات منكّساً ... وأخمصُ ارباب الخبائث قد علا
ولا شكّ ان القبر ينقصُ قدرهُ ... بقُطْرٍ اذا ما الصُفْر في سوقهِ غلا
وليس سواءٌ ذو علومٍ وجاهلٌ ... تأمّل فبعض القول تلقاه مُجْملا
ولا كلُّ ذي نابٍ من الوحش ضيغماً ... ولا كلُّ ذي ريشٍ من الطير أجدلا
رماني زماني بين اجهل عصبةٍ ... اذا قلت شعرًا قال شخصٌ تخيّلا

. . . .

نعم بلدتي فيها ولدتُ وانها ... اعزُّ بلاد الله مأوى ومنزلا
ولكن ترى فيها الاديب محقّرًا ... ذليلًا ولو كان البهاء توصّلا
اذا قلمُ الشخص البليغ وقد جرى ... وكان بلا حظٍّ ترى ذاك مغزلا

وورد لهُ في النزهة نحو اربع عشرة قصيدة شائقة تبلغ عدد ابياتها ٩٣٦ بيتاً على التقريب ولم اجد فيها تخميساً او تشطيرًا ام غير ذلك من فنون الشعر ونسقه فيها واحد في الاستهلال بالغزل ثم يخرج منهُ متخلصاً برشاقة الى المديح . من ذلك ابيات خمرية ومنها ينتهي الى المديح قال (من الكامل) :

قُمْ يا نديمُ وعاطني كأس الطِلا ... فالراحُ يلمع من خلال دنانهِ

واشرب على صوت المثالث قهوةً عن قيصرٍ تروى وعن ازمانهِ
شمطاء بكرٌ قد تقادمَ عصرُها تنبيك عن نوح وعن طوفانهِ
ما صاب نضحٌ منها تربة ميّتٍ الّا وقام الميتُ في اكفانهِ
واصغَ لصوت العندليب مرجّعاً سَجْعاً روى اسحقُ عن الحانهِ
في روضة غنّى الهزار بدوحها فترنّم الشحرور في بستانهِ
اسفاً لمضنى ملّـهُ احبابُهُ فلذا نأى بالرغم عن اوطانهِ
اشجاه صوتُ مغرّدٍ في ايكةٍ جُنْحَ الدجى فبكى على اشجانهِ
ما سارَ ركبٌ قاصداً واديالحمى إلّا وشوّقهُ الى أعطانهِ
يا راكباً رقصَت بهِ مشمولة عرّج لنجد وارعَ في سعدانهِ
ما كل ماء ماء أصداء ولا كلُّ الطيور النسرُ في طيرانهِ
كلا ولا كل الملوك وان سمت لسما العلى وعلت على كيوانهِ
مثل الوزير القَرْم يحيى من رقى اوج السما وعلا على اقرانهِ

وله فخرية بليغة قال فيها (من الطويل):

وعزّةُ نفسي لم تدع لي رغبةً بثوب اخي شُحٍّ وان بتُّ عاريا
ولم أَرِدَنْ ماء بهِ النذل يرتوي ولو في هجير القيظ قد كنت صاديا
ولا اقصد الغَمْر اللئيم لحاجةٍ ولو نلتُ في ذيّاك اعلى مراميا
فذي عادتي مذ كنت طفلاً ولم اكن من العمر سبعاً بالغاً او ثمانيا
ومَن في ورودٍ زاحمتهُ اسافل يرى كدر الانهار بالعزّ صافيا

وشعره كله جيّد يمتاز بعذوبته وطلاوته وجزالته وقد عارض باكثر قصائده ابن الازري والاربلي والعبدلي

﴿ السيد محمد الحسيني (١ ﴾ لم نجد ترجمته الا في نزهة الدنيا وهذا قليل مما قال فيه : « كوكب سماء الشرف ، ولؤلؤ بحر السيادة المرئي بابهى صدف ، . . . ينتمي الى بضعة المصطفى فاطمة الزهراء البتول ، فيا لهُ نسب عريق مطهر الاصول قوم ملأوا اصداف الآمال بـلآلئ المواهب ، ونثروا جواهر الافضال في جميع المذاهب ، فاتخذوا من حسن الثناء وشاحا ، وقبسوا من السراج المنير مصباحا ، وهذا السيد واسطة عقدهم ، ومحل ربطهم وعقدهم . . . ولهُ نظم رقيق ، ينبي انهُ للكمال شقيق ، وحسبه من طول باعه في الادب ، وحسن تحبيره في براعة الخطب ، تخميسه النفيس على القصيدة الهمزية . . . الى غير ذلك من المنظومات . . . »

وجدنا لهُ قصيدة هنأ بها يحيى باشا بورود الوزارة اليه وهذا مطلعها (من الطويل)

تراءت بوجه يبهر الشمس والبدرا ... وفرع وفرق اخجلا الليلَ والفجرا

. . . .

أُسرُّ اذا منّت بوعدي وانجزت ... سرور بني الحدباء اذ جاءت البشرى

بمنصب مصباح الوزارة والعلى ... ابي الفضل يحيى الضيغم البطل الاجرى

اجلُّ ولاة العصر عزًّا وسؤددًا ... واوسعهم صدرًا وارفعهم قدرا

واوفرهم رشدًا واكثرهم ندًى ... واقبلهم عذرًا واجلهم ذكرا

. . . .

فحسبي ابتهاجاً ان اقول مؤرخاً ... بحكمك يحيى أُبهجت موصل الخضرا

﴿ الحاج عبد الرحيم الفائز ﴾ درس على ابيه منذ نعومة اظفاره ثم اغترب في طلب العلم ونزل حلب واقام فيها يقرأ على مفتيها حسن الكلستي ثم على الشيخ عبدالله العقاد فقضى فيها زمناً طويلاً ثم سار الى دمشق واقام في الجامع الاموي مكبًّا على تحصيل العلوم ولازم الشيخ عبد الرحمن الكزبري واخذ عنهُ اجازة في

---

١) ذكر عن وثيقة من عهد تيمورلنك تثبت ان السادة الحسينيين في الموصل م اقدم عهدًا مما ذكرناه في الجزء الاول

رواية الحديث . ثم قصد زيارة بيت المقدس وذكر انهُ الّف في ذلك رحلة ذكر فيها المراحل ومشاهداته في تلك الاقطار . وامّ مصر واقام في جامعها الازهر نيفاً واربع سنوات واخذ عن المصنف الشهير شيخ الازهر محمد الامير ومدحهُ بقصيدة مذيلةعلى الابيات الثلاثة الشهيرة في الحث على طلب العلم وهي هذه (من الطويل) :

خليليَ لاتكسل ولاتترك الدرسا ولا تعط طوعاً في بطالتك النفسا
ولا تترك التكرار فيما قرأتــه فمن ترك التكرار لا بد ان ينسى
ولا تُطع السلوان فيما عشقته فمن يطع السلوان لاشك ان يقسى

والتذييل قوله :

وان كنت تهوى خُرّد العلم فارتحلْ لتحصيلها وابذل لها المال والنفس
وعرّج على مصرٍ ففيها ترى الذي رحلتُ له قد اصبح اليوم او امسى
وألقِ العصا ان جئت باب اميرها امير العلوم الغرّ ذي الرتبة القعسا
ولازم هناك الدهرَ خدمةَ درسه وشدّ حزام الجدّ واستجمع الخمسا
ترى منهُ بحرًا يلفظ الدرّ ان غدا يقرّر للطلاب من حفظه الدرسا

ثم قصد مكة والمدينة المنورة فاجتمع بعلماء وفضلاء المدينتين واشهرهم يومئذٍ الشيخ احمد الجامي . ولما عـاد من رحلته اقام في عكا حيث جعلهُ واليهـا الوزير سليمان باشا الجزّار مدرّساً في الجامع الذي شيّده وقضى فيها زمناً ليس بيسير ثم رجع الى وطنه الموصل واشتغل بقية عمره بالتدريس

وكان يتقن من اللغات التركية والفارسية ولـهُ فيهما نظم ونثر اما نظمه في العربية فحيد عثرنا على شيء منهُ وكله في المديح فقال في مـديح الوزير يحيى باشا قصيدة استهلها بالغزل وهذا شيء منها :

تبدّت فقلت الشمسُ في وجهها تسري وماست كغصن البان في الحلل الخضرِ

هو الليث ان دارت رحى الحرب تلقهُ يُهَمهِمُ في غابٍ من البيض والسُّمْرِ
جوادٌ روى لي الغيث عن فيض كفه فقلت لهُ زِدْني وحدّث عن البحرِ
اليك رعاك الله مني نفحة كريحانةٍ تاهت على دمية القصرِ
فلولاك والاسبابُ شيءٌ محقّق لَما قام لي في المدح بيت من الشعرِ

﴿ ملا مصطفى امين الجزية ﴾ نشأ في الموصل وقرأ العلوم على علّامة زمانه عبد الله الشهير بابن السعردي واتصل بخدمة نعمان باشا وبعده بخدمة ابنه الوزير يحيي باشا

وكان شاعرًا مجيدًا وناثرًا بارعاً وقد ذكر صاحب النزهة ان لهُ شعرًا كثيرًا لكننا لم نقف لهُ الّا على ثلاث قصائد في المديح الاولى هائية تقع في ٣٠ بيتاً ومطلعها :

كُفَّ الملام عن المحبّ الوالهِ لا يخطرُ السلوانُ قط بباله

والثانية رائية تقع في ٢٥ بيتاً ومطلعها (من البسيط):

هذا الحمَى ما بالُ دمعك قد جرى وازداد وجدك واللهيبُ تسعَّرا

والثالثة لامية في ٢٥ بيتاً ومطلعها (من البسيط) :

عج بالمطيّ وقِف في ذلك الطللِ مسائلا منه عن سكانه الأُوَلِ
لله أيامنا بالرقتين مضت ايامُ ظلِّ شبابٍ غير منتقلِ
بحيث انثر درًّا بالمديح لمن ذاعت فضائله في السهل والجبلِ
يحيي المليك فريد العصر واحدهُ غيث الندى منبع الاكرام والجذلِ

القرن الرابع عشر الهجري

وفي مبداه ختام القرن الثامن عشر وافتتاح القرن التاسع عشر الميلادي وفيه تنتهي ابحاث هذا الجزء فقد لمحنا في مقدمته الى انهُ ينتهي بختام الدور التركي فلا نذكر الّا الادباء الذين قضوا نحبهم فيهِ . ونجد في هـذا الفصل ان عشاق الادب العربي قليلون نسبةً الى هذا العصر الذي فيهِ انتشرت المدارس وانتظمت اكثر من ذي قبل . ويعرف عامة المتكلمين بالضاد من اهل هذا القرن الاخير مساعي العثمانيين في تعميم اللغة التركية ونشرها في المدارس الابتدائية والعالية وإضعاف شأن اللغة العربية حتى انها أُلغيت في الايام الاخيرة من قائمة المواد الدرسيّة وذاك الهدف لم يخفَ عن ذوي البصائر . فيُعَدُّ نوابغ الادب العربي في سائر الاقطار وخاصة في القطر العراقي اقل بكثير من العصور السابقة نسبةً الى عصرهم الناهض

وقد لاقينا شيئاً من الصعوبات في تدوين تراجم هولاء المتأخرين لاننا لم نقف لهم على تراجم مدوَّنة ولم نعثر على شيء من آثارهم الا بعد الطلب والالحاح الكثير وربما اننا بعد السعي لم نهتدِ الى بيت واحد من اثار بعضهم رغماً عن نبوغهم واشتهارهم ونخص بالذكر منهم سليمان بك بن مراد بك الجليلي وسامي بك الحكي وكلاهما اديبان مجيدان وشاعران بليغان في العربيَّة والتركيَّة وكنا نودّ ان نكرّس لاسميهما بعض صحائف هذا الجزء ولكن كل سؤال عنهما وعن غيرهما لم يجد جواباً وكل التماس في ذلك لم يلقَ اذناً صاغية

﴿ ملا حسن بن ملا حسين الشهير بالبزاز ﴾ (المتوفى ١٣٠٥=١٨٨٧) ولد في الموصل في محلة حسان البكري سنة ١٢٦١ واكمل قراءة القرآن واخذ العلوم عن علامة وقته صالح ابن الحاج طه الخطيب . وغلب عليهِ الشعر فاشتغل بهِ مع اشتغاله في صناعة البزازة وما زال شعره يرقّ ويروق حتى اشتهر بهِ وذاع صيته . ثم انه اخذ الطريقة الرفاعية عن الشيخ حاجي سلطان والطريقة النقشبندية عن الشيخ السيد محمد النوري وفي آخر ايامه فقد بصره وساءت حالهُ فقال :

وقعتُ من البزازة في خمول اطال على الزمـان بهِ عتابي

ايسلبني الزمانُ ثيابَ عزّي واكسو اهلهُ جددِ الشيابِ

وظل كذلك حتى توفي. جاء في العقود والجوهرية : واحتفل بجنازته عموم اهل الموصل صغيرًا وكبيرًا لانه ثبت عندهم ثبات قدمه في الصلاح

وشعره رائق بليغ واكثره في المديح ومدح فيهِ التصوف واصحـاب الطرائق وطبع ديوانه تلميذه الحاج محمد شيث الجومرد الموصلي . ومن شعر البزّاز الـذي نقلناه عن ديوانه قوله لما استثني طلبة العلم من الخدمة العسكرية (من البسيط) :

العلم اشرف ما يسمو بهِ السامي لذاك أترعتُ من صهبـائهِ جامي

إظهارهُ حجـه للمرء كافيـة من محنة الجهل بين الخاص والعامِ

لِمْ لا اميلُ الى تحصيله وبهِ أسودُ مـا بين اترابي واقوامي

فاصرف زمانك نحو العلم مجتهدًا ولا يصدُّك عنهُ جهل لوّامي

فالعلم ينصب مخفوض المحل على تمييزه نصب توقيرٍ واكرام

وقال مشطرًا بيتي الامام الشافعي (من الكامل) :

« اني بُليتُ باربعٍ يا سيدي » وبك التجاني من عظيم بلائي

عنها تفرّع كل ما اشكوهُ اذ « هي اصل كل بليةٍ وعناء »

« ابليس والدنيا ونفسي والهوى » كلُّ يروم اساءتي وشقـائي

ان لم تخلّصني بلطفك منهمُ « كيف الخلاص واربعٌ خصمائي »

وقال ايضاً يرثي عبد الباقي افندي الفوري العمري (من البسيط) :

بـكى القريضُ واهلوه اذا نقرضت ايّامُهُ ونعى الفوريَّ ناعيهِ

وانشقّ من شدّة الحزن اليراع على من كان يُنشيـه فيما كان ينشيهِ

وظلّ يلطم وجه الطرس من أسفٍ على انامل مولاه فيُدميهِ
يا رحمةَ لبنات الفكر أيتمها كذاك امُّ العلا ثكلاء تبكيهِ
امسَى رهيناً وفي الآفاق سائرة سير الكواكب في افق قوافيهِ
ماتَ الكمال ومات الفضل وا لهفي على الكمال فقم يا سعدُ نرثيهِ

وهي طويلة وكفى بديوانهِ الشهير دليلًا على نبوغه في النظم

﴿علي رضا افندي بن محمود افندي العمري﴾ (المتوفى ١٣٠٨ = ١٨٩٠) ولد في الموصل سنة ١٢٤٨ وتربى في احضان العز والفضل ولما بلغ اشده درس مبادي العلوم على افاضل بلدته وجدّ في طلبها حتى برع علماً وادباً كسائر ابناء البيت العمري

ودخل منذ حداثته في خدمة الدولة فقُلد في سنة ١٢٨٥ ترجمة الزوراء في بغداد فهنّأه بها اخوه احمد عزت باشا بقصيدة طويلة مطلعها :

مُترجم زوراء المكارم والفخرِ اتاه الثناء ممن يدير ولا يدري

ثم عُهد اليهِ بوظائف اخرى وانخرط اخيرًا في سلك المحاكم العدلية وتقلد بعض رياساتها في بغداد

كان صاحب شمائل لطيفة وفضائل منيفة وذات شريفة . وكان شاعرًا بليغاً وناثرًا فصيحاً يبتكر المعاني ويجيد في التشبيهات وكان في الترسّل إماماً يشار اليهِ بالبنان وسبّاقاً في هذا الميدان لا يُبارى . جاء عنهُ انهُ صنّف مقامات رشيقة لم نعثر على شيء منها وقد وصفها عمه عبد الباقي افندي الفوري بقصيدة طويلة (من المنسرح) :

هذا بديع الزمان قد نُشرا امذا حريريُّ الوقت قد ظهرا
ما كنت ادري اني الاقي فتى يحيا بهِ الفضل بعدما اندثَرا
عمَّرهُ الله من عليّ رضا حاكى بفضل خطابهِ عُمَرا
ابدع فيما قد صاغ من دررٍ بهاؤها للعقول قد بهرا

مَقامة قد اقامها علماً شب عليـه ذكاه نارُ قرى

نضارة ما لنا بهـا نظر لكن بها عبرةٌ لمن نظرا

اطار من قَدْحِ زند فكرتهِ بكل صمّـاء صخرة شررا

وجـاء في التراجم الفاروقية انـه لو جُمعت رسائله لكان منها اكبر ديوان بمضامين عجيبة واساليب غريبة. وله شعر رقيق منه قوله (من الطويل) :

منى النفس ان يدنو اليها حبيبها ويبعد واشيها وينأى رقيبها

ويثمر غصن الانس بالوصل واللقا ويصدح في روض الهنا عندليبها

وتُجلى كؤوس للمودّة بيننا فيهتز من اعطاف بشرى قضيبها

احنّ الى وادٍ حللتم ربيعه حَنينَ حمامـاتٍ تغنّى طَروبهـا

واذكر اياماً تقضّت بـقربكم فيمطر من سحب العيون سكوبها

والقصيدة طويلة وجميع ابياتها غرر والفاظها درر. ورثى بنظمه جملة من الادباء منهم الشيخ علي المكّي فقال يرثيه بقصيدة شائقة منها :

أبعد عليّ تطعم العين غمضهـا وقد عقدت هُدْبَ الجفون بأليَلِ

لحى الله قوماً اسلمته اكفّهم لـكفِّ الثرى ثم استقاموا بمحفلِ

وتوفي في بغداد ودفن بجوار الامام الاعظم وقد كُتب على ضريحه هذه الابيات المتضمنة تاريخ وفاته وهي (من البسيط) :

اضحى اديب بني الفاروق مرتحلًا قد غادرته يـد الايام بالاجـلِ

فجاور الله رب العالمين ومن يُجاور الله يَلْقَ العفو من زلـلِ

لما قضى نحبه نادى مؤرخه عال رحيب من الجنّات قبر علي

وترك انجالًا نجباء منهم سامي باشا امير اللواء وكان من خيرة رجال الدولـة العثمانية ومن اهل حلّها وعقدها

﴿ احمد عزت باشا بن محمود افندي العمري ﴾ (المتوفى ١٣١٠=١٨٩٢) وهو اخو المتقدم الترجمة وردت ترجمته في التراجم الفاروقية فقال فيه « هو رجل الدنيا وواحدها وعضدها وسيدها وماجدها امام البلاغة والفصاحة وامير فنون الادب نظمه اعذب من نسمات الاسحار ونثره الذ من نغمات الاوتار . »

كانت ولادته في الموصل سنة ١٢٤٤=١٨٢٨ وقرأ منذ حداثته دروس الدين واللغة ثم طلبه عمه عبد الباقي الشاعر الكبير الى بغداد سنة ١١٥٤ فسار اليها واقام فيها مدة غير يسيرة اكمل في اثنائها قراءة شرح الفية بن مالك للسيوطي على الشيخ اسعد الموصلي مدرس جامع الآصفيةوعاد الى الموصل فقرأ اصول الفقه وعلم الحساب وطرفاً من علم الوضع على العالم عبد الرحمان الكلاك وجمع الصغير وجمع الكبير على ابنه عبد اللطيف وقرأ ايضاً الايساغوجي وعلم البديع وطرفاً من المعاني والبيان على رئيس العلماء عبدالله افندي العمري

وفي اوائل سنة ١٢٦١ دعاه عمه ثانيةً للاقامة في بغداد فرحل اليها وهناك اكمل على عمه فنون الشعر وعلم الادب وقرأ ايضاً شرح الشمسية وابن عقيل على علّامة عصره ابي الثناء شهاب الدين السيد محمود افندي الآلوسي وكتاب تشريح الافلاك على الشيخ احمد السنهلي واتقن اللغة الفارسية على ابنه الشيخ طه ولبث مقيماً في بغداد الى سنة ١٢٦٩

ثم قصد عاصمة العثمانيين وتقرب في الباب العالي فأنعم عليه برتبة مير ميران وبات يتقلب في المناصب العالية والرتب الرفيعة . ثم عهد اليه بتصرفية شهر زور وبعدها بتصرفية الأحسا وكانت تُعتبر يومئذٍ قاعدة البلاد النجدية ثم قلد منصب المتصرفية في تعزّ من امهات المدن اليمانية وتلك كانت آخر المناصب التي تقلدها فعاد راجعاً الى عاصمة العثمانيين وانصرف بقية حياته الى التأليف والنظم حتى توفّاه الله

وقد اثنى عليه الذين ترجموه ومنهم صاحب كتاب بدائع الانشاء واطروا علوّ نفسه ودماثة اخلاقه وتمسكه الشديد باهداب العدل في سائر المناصب التي تقلدها . وترك آثاراً نفيسة وتصانيف جليلة نذكر منها : ١ً ديوانه الذي جمع فيه عيون اشعاره وغرر نظمه وقد بلغني من احد احفاده ان هذا الديوان الذي كان جاهزاً للطبع

احترق في جملة ما احترق لهذا النابغة بالنار التي شبّت بداره في استانبول . ٢ً الطراز الانفس في شعر الاخرس جمع فيه شعر السيد الغفار الاخرس الشاعر الموصلي الشهير وقدّمه بمقدّمة نفيسة في حياة صاحب الديوان طبع في الاستانة سنة ١٣٠٤ . ٣ً كتاب العقود الجوهريّة وهو كتاب جليل ترجم فيه الادباء والشعراء الذين مدحوا السيد محمد ابا الهدى الصيادي الرفاعي وطبعه في المطبعة المصرية سنة ١٣٠٦ ٤ً كتاب احكام الاراضي وقد عرّبه من اللغة التركية وطبعه . ٥ً رحلة الى نجد واهل البادية والحاضرة منهم وذكر معارفهم وما خصوا بهِ من علوم فطرية كالقيافة والفراسة ومعرفة الأَثر وعقد فيها بحثاً عن مبدا دخول هذا القطر في حوزة الدولة العثمانية الى غير ذلك من المعلومات التي يستلذها المطالع . ٦ً كتاب السيرة العمرية وهو آخر مؤلفاته وقد اودع فيه مسائل مهمة وذكر ما كان عليه جده من الحكمة ومحاسن التدبير والسياسة وما افتتحه من البلدان والامصار وما كان في ايام خلافته من قوة الدين وغير ذلك من احوال هذا الامام ... ورأيت له رسالة ضافية في التصوير الشمسي سماها حسن التدبير في صناعة التصوير منها نسخة في مكتبة ناظم افندي بن سليمان افندي العمري ذكر فيها اصول هذا الفن وتركيب اجزائه وكيفية استعمالها بشرحٍ وافٍ وقدم الرسالة بمقدّمة بليغة تدل على طول باعه في الترسل نذكر شيئاً منها على سبيل المثال قال : « حمدًا لمن صوّر الاشياء فاحسن صورها ، واحكم امرها وقدّرها ، جلَّ خيال كنه ذاته عن ان ينعكس في مرايا العقول ، وترفع شعاع انوار جوهره من ان تحيط بهِ احداق ابصار اولي البصائر من الفحول ، ... امَّا بعد فيقول المفتقر الى ربه الغني ، احمد عزت الفاروقي الموصلي ، انني لما وردت دار الخلافة العظمى ، وقرارة السلطنة الكبرى ، ... حتى وقفت في بعض الايام على صناعة التصوير المسماة بالفوطرغرافي ، فوكرت على تتبعها بالقوادم والخوافي ، .. ولمَّا اكملت اعمالها .. احببت ان اشرح ذلك ... خدمة لاهل وطني من زمني ... »

امـا نظمه فيتحلى بالرقة وبلاغة المعنى مع الضبط وحسن السبك ومن نظمه هذا الموشح في المديح قال :

عنبر الليل وكافور الصباحْ اشغلاني باغتياقٍ واصطباحْ

يا نديمي قم فقد هبَّ النسيمْ

وبدا من عَرْفه مسك الشميمْ
وانبرت في الكأس نيران الكليمْ
فامزج الخمرة بالماء القراحْ واسقنيها بغدوْ ورواحْ
عاطنيها قبل نور الفاقِ
بغناء الوُرْق بين الورقِ
كاحمرار الشمس عند الشفقِ
لمريدٍ عنده الصفو مباحْ فهي روح وهي ريحانٌ وراحْ
خمرة الارشاد من عهد الازلْ
تنقذ الشارب من كل العللْ
فهي مثل النوم ما بين المُقلْ
تسري في الافكار من غير جماحْ وتذود الهمَّ من دون كفاحْ
زوّجوا الماء على بنت الدنانْ
واستطابوا شربها قبل الاوانْ
فشذا تذكارها في كل حان

وهي طويلة. وخلف المترجَم ولدين هما فؤاد بك رئيس محكمة التجارة في الاستانة ومصطفى افندي اقام في الموصل

﴿ السيد شهاب الدين العلوي المليبي ﴾ (المتوفى ١٣٢٥=١٩٠٧) وسمي بالمليبي لانهُ يمتُّ نسباً الى عشيرة «لبو مليس» ومنازلهم في اطراف سامرا. ولد في الموصل حوالي سنة ١٢٣٠ وتوفي والده بالوباء وهو في ريعان العمر فنزح عن وطنه راحلاً الى بغداد فالبصرة وقضى فيهما نحو اربعين سنة وهناك تعلم نظم الشعر

واشتهر بهذه الصناعة دون غيرها فارتجل في البصرة وبغداد شعراً كثيراً من ذلك ان رجلًا في بغداد لدغته عقرب وهو جالس بين اصحابه في احد المقاهي فانشد الشهاب فورًا (من الخفيف):

حلّت العقربُ السماء ببرجٍ واحدٍ من بروجها يوم تُحسبْ
وببغداد غدا كلُّ ثقبٍ من ثقوب الجدران برجاً لعقرب
فهي ذات البروج في الارض مجدًا ولها شرّق الفخار وغرّبْ

ومن بديع شعره ما انشده لنقيب البصرة وكانت رجله قد أصيبت بآكلة فبترت فقال الشهاب قصيدة ضافية لم أعثر منها الّا على هذه الابيات وهي (من البسيط):

لا تحسبوا عبثاً رجل النقيب غدت مفقودةً ولكم في فقدها العجبُ
قد قبّلتْ رجلهُ من قبلُ آكلة بحالها قد اضرّ الجوع والسغبُ
فقال يخسأ كلبُ الجوع عن كرمي رجلي كليها وهذا بعض ما يجبُ
فأستأكلت منه رجلًا طالما سبقت وفي طلاب العلى ما فاتها طلبُ

ورجع الى الموصل ودخل في خدمة الحكومة فعين مأمورًا للاعشار ثم كاتباً في دائرة المكوس وتُعرف وظيفته يومئذٍ بكاتب الرفتية ثم عُزل وجُعل كاتباً للرسوم في سوق الحمير فقال يشكو حاله الى علي افندي بن مصطفى افندي العمري (من الوافر):

من النبإ العظيم الى عليٍّ ومن لي بالسقوطِ على الخبيرِ
بان القوم قد حلّوا معاشي وقد ربطوه في سوق الحمير

وأنفذ مأمورًا لجباية الاعشار في قضاء تلعفر وكان القائمقام فيها يومئذٍ رجل تركي اسمه حيدر والمتنفذ فيها عزيز آغا فلما عاد منها هجاها بقصيدة طويلة (من الخفيف):

هي عفراءُ عروةَ بن خزامٍ ليت شعري ام هـذه تلعفرْ
هي خير القرى ولكن اهاليـها رعاعٌ وانهم شر معشرْ
لم تجد مصلحاً لهم من فسادٍ غير ضرب الرقاب والله اكبرْ
قد اطاع السنيُّ منهم هواه وعصى رافضيُّهم امر حيدرْ
كل فردٍ منهم حمـار غرير وهو فيهم بزعمهِ شيخ حِميَرْ

وانشد في المطبعة الكلدانية التي انشأها من امواله الخاصّة المحسن الكبير الشمّاس روفائيل الامدي عام ١٨٦٥ وختمها بتاريخ قال (من المجتثّ):

قد تمَّ في عـام يمنٍ انشاءُ دار الطبـاعَهْ
والحمـد لله تمت للموصل الاستطاعَهْ
على اذاعة فضل بين البـلاد مضاعَهْ
ان الصناعات شتى ولا كهذي الصناعَهْ
من الرجالِ رجـالٌ عدُّوا الخمول بضاعَهْ
لا ينـهضون لامرٍ ويطلبون انتفاعَهْ
وجـامد الطبع يـأبى تهذيـبهُ وانطباعَهْ
وربَّ مكروهِ طبعٍ مستكرهٍ طبّـاعَهْ

. . .

برفعها وبنـاهـا لقد احبَّ اتباعَهْ
ذو الهمة الندب روفا ئيل البديع البراعَهْ
اعطى بهـا المـال منّاً ولم يـكن منّاعَـهْ

قد اشترى الخير لكن لربّه قد باعَهْ
يا رافعاً باهتمام تشييدها وارتفاعَهْ
أرّخ برفعٍ تناهى تشييد دار الطباعَهْ

ولهُ ايضاً مراسلات بليغة من ذلك انهُ كان يدرّس حسين حسني ومحمد وجيهي ولدي عبد الباقي افندي الفوري ولما ختم الثاني منهما كتب السيد شهاب الى ابيه (من الرجز):

همت في تعلُّم محمّدٍ قراءة القران ذي الآي الغرَرْ
لستةٍ من بعد عشر في صفرْ من سنةٍ تاريخها آن الظفَرْ

فاجابه عبد الباقي افندي (من الرمل):

انَّ من علّم اولادي الغرَرْ من كلام الله في حال الصِّغَرْ
ذاك قد ارّخته «أغيرُنا» وكذا الغيرة خُصّت في مضَرْ

ومن تشطيراته البديعة الرقيقة قوله (من السريع):

«مستحدث النعمة لا يُرتجى» ولو جرى مالًا لهُ البحرُ
مهما امتلا فجوفه فارغٌ «احشاؤه مملوءةٌ فقرُ»
«جنّ له الدهر فنال الغنى» وطاش منه العقل والفكرُ
والآن عنهُ الدهر في غفلةٍ «يا ويلهُ ان عقل الدهرُ»

وقال ايضاً مشطرًا القصيدة التي انشاها الشيخ ناصيف اليازجي في مديح فيكتوريا ملكة الانكليز ومنها هذان البيتان (من البسيط):

«ان قلتَ ويحك فافعل ايها الرجل» فكم رجال لنا قالوا وما فعلوا

فاعملْ تُصدَّقْ بقولٍ انت قائله «لايصدق القولُ حتى يشهد العملُ»

ولما توفي عبد الباقي افندي الفوري رثاه الاديبان الشيخ ناصيف وابنــه ابراهيم فاجابهما السيد شهاب بهذين البيتين قال (من السريع) :

ابّنتما لا بنتما سيداً نحن الى تأبينه نحنو
لو لم تكن قدسية روحـهُ لما رثاه الآبُ والابن

وكانت لهُ اليد الطولى في نظم التاريخ ومن ابلغ نظمهِ فيه قوله يؤرخ بنــاء سوق الحنطة في الموصل الذي ابتناه ايوب بك الجليلي (من السريع) :

ايوب قد جدَّد في عهده سوقاً لمن يـبيع او يشتري
من عجب في الكون ما ارّخوا سوق حوى الميزان والمشتري

وقال ايضاً مؤرّخاً وفاة ايوب بك الجليلي سنة ١٣١٩ (من الخفيف) :

قرَّ حزنٌ وفرَّ صبرٌ على من في رياض الجنان حلَّ بقبرِ
عزَّ عنهُ العزا مِنَ المجدِ أرّخ مات وعداً لموت ايوب صبري

وله عدا ما ذكرناه شعر كثير في المديح والرثاء يتداول بعضه على الافواه . ومما يستوجب الأسف ان هذا الشاعر المطبوع الذي كان لهُ النظم صناعة ورزقاً فانصرف اليه شطر شبابه واثناء شيخوخته وبرّز فيهِ حتى فاق نظراءه لم نجد لهُ من الآثار الّا النذر القليل ولو احتفظ بما انشده لكان منهُ ديوان نفيس واماً الآن فلم يبقَ منــهُ الّا قصائــد مبعثرة في بعض الكراسات القديمة وبعض قصائــده نشرت في مجمع البحرين وفي ديوان الشيخ ناصيف

﴿ الحاج محمد شيت الجومرد ﴾ طبع ديوانه المــلا حسن البزاز في مصر سنة ١٣٠٥ بمطبعة العامرة الشرقيَّة وقدمه بمقدمة وجيزة وذيل هـذا الديوان بنحو تسع قصائد وبعض التشطيرات والابيات من نظمه قال في مقدمتها بعد الحمدلة : «يقول المستمد من فيض احسان الكبير العلي الفقير اليهِ تعالى محمد شيت الجومرد الموصلي

هذا ديوان قد حاك برده ذهني القاتر ونظم عقده فكري الداثر . . . » ومن نظمه تخميس والاصل للفاضل الحاج عبدالله افندي فيضي الموصلي قال (من الطويل):

طرقت الوغى بالغرم طرقة قاشرٍ فعادت كماة الحرب اجبن صافرِ

ايا غافلًا عن نشأتي بالهواجرِ فلا والقنا والمرهفات البواترِ

لقد شاع ذكري في جميع العشائرِ

فقلبي كجلمود الصفا إي وربهمْ اذا اصطفت الشجعان في يوم حربهم

فكم قد تصديت القروم لطعنهمْ وكم بالقنا خرّقت اكناف جمعهمْ

وادخلتهم بالرعب خلف الستائرِ

وقال مشطرًا والاصل للحاج عبدالله افندي نعمان دباغ (من البسيط):

«يا ظبية الانس بات القلب يرعاكِ» بهجةٍ نشأت من خمر معناكي

لا زلت ارعى السهى ولهان من شغفي «مذ اومض البرق ليلًا من محيّاكي»

«فلِمْ تبرقعتِ في ستر القناع أهلْ» «فيه تسترت عمّن كان يهواكي»

ولِمْ منعتِ الصبا لما نوى سحرًا «الى العراق بشيرًا يوم مسراكي»

«فكم حجبتِ لذيذ النوم عن مقلي» كي لا اروم بهِ في الوصل الاكي

وكم سرقت الغفا عن اعيني عنفا «كي لا اشاهد في رؤياي رؤياكي»

﴿ السيد حسن حسني افندي ﴾ (المتوفى ١٣١٧=١٨٩٩) وهو ينتمي نسبًا الى السادات الفخرية الاعرجية . وُلــد في الموصل سنة ١٢٤٧ واكتسب علمًا وافرًا وتقلّد المناصب الرفيعة في القضا في الموصل والشام والمدينة المنورة واخيرًا عهد اليــهِ بتفتيش الاوقاف الهمايونيّة في الاستانة ونال رتبة صدور النظام

ومن تآليفه تنوير البرهان في المنطق وهو شرح على الكلنبولي طُبع. ولهُ ايضاً

تفسير القرآن غير مطبوع . وكان له يد طولى في النظم لكننا لم نعثر على شيء من شعره

﴿ السيد اقليميس يوسف داود ﴾ (المتوفى ١٨٩٠م) ولد في العمادية من صقع الموصل في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٢٩ ودرس في مدارس الموصل الابتدائية ثم أرسل الى مدرسة غريز للآباء اليسوعيين واكمل دروسه في روما واكتسب العلوم على انواعها وتعلم من اللغات اللاتينية والايطالية واليونانية والانكليزية والفرنسية والالمانية واتقن اللغتين العربية والآرامية

وفي منتصف سنة ١٨٥٥ عاد الى الموصل وخدم وطنه خدماً جليلة بالتعليم والتأليف خاصة بوضع الكتب المدرسية على اساليب سهلة للاحداث في اللغات الثلاث العربية والآرامية والفرنسية وطبعها في مطبعة الآباء الدومنيكيين . والف ايضاً الكتب العلمية على اصول تدريسي ملافاةً لنواقص ذلك الوقت وفيها الحساب والتاريخ والجغرافيا ووقف على طبعها بنفسه فاتت اتعابه في التأليف والتعليم بفوائد جزيلة

وفي سنة ١٨٦٧ عين من قبل البابا بيوس التاسع مستشاراً في لجنة متعلقات قوانين الكنائس الشرقية وتواريخها وهي احدى اللجان الخمس التي اقامها البابا المذكور استعداداً للمجمع الفاتيكاني المسكوني ثم استُدعي سنة ١٨٦٩ الى هذا المجمع وحمل معه ما اعده فسُمّي ترجماناً فيه ونال بهذه الاشتغالات شهرة عظيمة

ولما عاد الى الموصل سنة ١٨٧٠ اشتغل بتصحيح ترجمة التوراة العربية بمقابلتها مع الترجمات البسيطة والعبرانية والسبعينية والفولكاتا وعلّق الحواشي على بعض الغوامض وطبعت هذه الترجمة في مطبعة الرسالة الدومنيكية بالموصل مرتين . وراجع ايضاً النسخة البسيطة الارامية وطبعها في المطبعة المذكورة بالحرف الشرقي ولولا هذه الطبعة لفسدت هذه الترجمة . وفي سنة ١٨٧٨ انتخب صاحب هذه الترجمة اسقفاً لابرشية دمشق المترملة بوفاة مطرانها يعقوب حلياني فاهتم بانشاء المدارس خاصة في القرى ووجه انظاره الى جمع الكتب فجمع مكتبة يعزّ وجود مثلها لما حوتهُ من الكتب الخطيّة الشرقيّة وكان في مهام اشغاله يجد لهُ فراغاً من الوقت للتصنيف والتأليف

اما تآليفه فكثيرة فيها الكتب المدرسية بين لغوية وعلمية ويبلغ عددها نحو سبعة عشر كتاباً ثم الكتب الدينية وعددها نحو ثلاثة عشر كتاباً نفيساً في العربية واللاتينية والفرنسية ومن كتبه التي احرز بها شهرته العلمية هي : ١ً مقالة في تعليم البيعة السريانية في الانبثاق. ٢ً القصارى في حل ثلاث مسائل تاريخيَّة تتعلق ببلاد الشام وما يجاورها . ٣ً بيان طقس البيعة الانطاكية السريانيَّة ونافورتها . ٤ً رسالة في المقابلة بين نافورة القديس يعقوب عند السريان ونافورة القديس يوحنا فم الذهب عند اليونان(وفيها شروح طويلة عن الطقوس اليونانيَّة والارامية والارمنية والمارونية والحبشية والقبطية) وكتبها باللغة الفرنسية. ٥ً بيان لغة اهل دمشق العربية في ايامنا . ٦ً بيان اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح على الارض. ٧ً بحث في لغة اهل سورية وفلسطين حين ظهور اللغة العربية فيهما كتبه في اللغة الفرنسية . ٨ مراد المجمع السرياني اللبناني . ٩ً المقدمة والنتيجة في الخطبة والزيجة

وله تآليف عديدة لم تطبع اشهرها : ١ً جامع الحجج الراهنة في العربية. ٢ً تاريخ السريان . ٣ً علم الهندسة . ٤ً علم الجبر . ٥ً التوطئة الى الاحتجاج والتبرئة. وقد استوفى الكونت فيليب طراري ذكر اعمال هذا الحبر الجليل في كتابه القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة طبع سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفه المطوَّل ومجموع آثاره العلمية في سائر الفنون والمعارف العصريَّة وينيف عددها على الثمانين تأليفاً وتعريباً واصلاحاً او تنقيحاً واكثرها في مواضيع وعرة المسالك

وقد وصفه الذين عرفوه انهُ كان تقياً ورعاً مع تواضع وغزارة علم وفرط ذكاء ولما توفي رثاه الكثيرون بالمراثي النفيسة والقصائد الرقيقة منها قصيدةٌ شائقة رثاه بها الدوكتور لويس الصابونجي ومما جاء فيها قوله :

وترثي دمشق الشام فقد عزيزها   مع الموصل الحدباء اذ قام مشهد

﴿ السيد اغناطيوس بهنام بني ﴾ (المتوفى سنة ١٨٩٧) درس في روما وحاز شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت . ونشر في مطبعة الدومنيكيين في الموصل كتابه « الدرة النفيسة وكتاب كلندار السنة »وطبع في لندن سنة ١٨٧١ كتاباً انكليزياً عنوانه « تعليم الكنيسة السريانية»

﴿ البطريرك جرجس عبد يشوع خياط ﴾ (المتوفى سنة ١٨٩٩) وُلد في الموصل سنة ١٨٢٨ ومنذ نعومة الاظفار بدت على محيّاه مخايل الذكاء فأُرسل الى رومـا ودرس العلوم الدينيّة والمدنية فبرّز في جميعها. ثم عاد من رومية فخـدم المدارس في الموصل خدمـاً جليلة ونشط اعمال الطباعـة في المطبعة التي انشأها الشماس روفائيل المازجي الامدي فطبع فيها كتباً مدرسيّة عديدة. ثم تطرن سنة ١٨٦٠ وأُرسل الى العمادية ثم الى ديار بـكر وقضى فيها نحو عشرين سنة وبعد هذا رقي الى بطريركيـة الطائفة الكلدانية

كان يتقن من اللغات الغربية اللاتينية والايطالية والفرنسية واليونانيـة ومن اللغات الشرقية العربية والارامية والعبرانية والتركية وكان في اكثر هـذه اللغات كاتباً بارعاً خاصة في العربية فانه كان فيها ناثرًا بليغاً حسن السبك وشاعرًا مجيـدًا بديع الصوغ . وكانت لـهُ اليد الطولى في علوم الـدين والفلسفة والتاريخ والحق الكنائسي والمدني ولولا كثرة انشغاله في مهمات الطائفة وادارة شؤونها لخلف لنا بقايا وأثرًا من قلمه الساحر وعلومه الفائضة

اما تصانيفه فاكثرها يتعلق بتعليم الاحداث مما ترجع فائدته الى المدارس ومن آثاره الهامة . ١ً كتاب الفصول الانسية في التواريخ القدسية للمعلم بيليز عرّبـه وحشاه بفوائد جليلة . ٢ً كتاب السريان المشارقة والاحبار الاعاظم (Syri Orientales seu Chaldaei nestoriani et Romanorum Pontificum primatus) طبع في رومية سنة ١٨٧٠ . وكتب ايضاً قسماً هامـاً من تواريخ المشارقة الكلدان يشتمل على اخبار القرون السبعة الاولى وعلى الثلاثـة الاخيرة وقيـل ان نسخة هـذا الكتاب الخطيّة بقلم المؤلف اودعهـا المؤلف نفسه للمرحوم القس بطرس نصري المتوفى سنة ١٩١٦ واوعز اليه بتصحيح هذا الكتاب وانجاز بقيّة فصوله فتمّ نجازه على يد القس المذكور وسمّاه «ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان» وطبعه في جزئين اما النسخة الاصليّة التي ذكرناهـا فهي مفقودة

﴿ نعوم فتح الله سحار ﴾ (المتوفى سنة ١٩٠٠) كانت ولادته في الموصل ولما شبّ دخل مدرسة الرسالة الدومنيكية وقرأ ودرس اللغة من قواعد وبيان وبديع

وعروض مع سائر العلوم المختلفة على المؤلف الشهير الخوري يوسف داود المار ذكره فتضلع التلميـذ النشيط من جميعها . ولما اتمّ دروسـه احترف التعليم في المدرسة المذكورة فزاده هذا المسلك تفقهاً وتوسعاً في اللغات الثلاث العربية والتركية والفرنسية وابرز في مسلكه نشاطاً واقتداراً رقّاه الى الاشراف على التعليم وعُهد اليه بمراقبة اعمال الطباعة وبوكالة عامة عن الرسالة المذكورة لدى الحكومة التركية المحلية فاحسن القيام بواجباته ونال رضى رؤسائه

وصرف عنايته في تنشيط اعمال التمثيل على مرسح هذه المدرسة واخذ ينشئ الروايات الاخلاقية للتمثيل وكان ينتقد بها بعض نواقص الاجتماعيات المحلية انتقاداً مفيداً وكان يساعده في هذه المهمّة الشاعر العامي المدهش والموسيقي الحاذق اسكندر الحلبي المعروف باسكندر الاعمى باشعاره العامية الهزلية البديعة وما زالت الى هذا اليوم تتداول على الافواه باصواتها التي وقّعها الشاعر المذكور وهي جديرة بالاهتمام وبالنشر لجودتها وبلاغتها ومن الروايات الاخلاقية التي دبّجها قلم المترجم « رواية لطيف وخوشابا » وهي رواية لطيفـة طبعت في مطبعـة الدومنيكيين في الموصل سنة ١٨٩٣

ولما رأى ان الناشئة المتعلمة هي في مسيس الحـاجة الى تعلم اللغة التركيـة السائدة اكبّ على تأليف كتب التعليم لابناء العرب فشرح فيها قواعد هذه اللغـة شرحاً سهل التناول للاحداث واستدرجهم في كتب خاصة الى اتقان اللغة التركيـة ومن نفائس هذه الكتب : ١ً التحفة السنية لطلاب اللغة العثمانية في جزئين طبعـا في الموصل ١٨٩٤ . ٢ً القراءة التركيـة طبعت ١٨٩٢ . ٣ً المكالمات (تركيـة وعربية) طبعت في الموصل ١٨٩٦ . وقد نالت هذه الكتب اقبال الجمهور واستحسان رجـال السلطة فوردت اليه رسائل التحبيذ والتهنئة وقد اطلعنا على بعض هـذه الرسائل عند نجله وهي تدل على ما كان للمؤلف من المنزلة الحسنة عنـد الخاص والعـام

واشتغل ايضاً بالادب العربي فابدى سعة علم واطلاعاً تاماً في النظم والنثر ومن آثاره فيه كتابه احسن الاساليب لانشاء الصكوك والمكاتيب وقـد صاغـه على

اوضاع حديثة واحسن واجاد في سبك عباراته المسجعة وحلّاه بشيء من نظمه الرقيق

اما قصائده التي نظمها فقد ضاع احسنها ولم نعثر لهُ الّا على مسوّدات من زمن صبوته ومنها قصيدة في المديح نختار منها هذه الابيات قال (من الكامل) :

يا سيدًا ملك القلوب بلطفهِ وبحلمهِ حاز الرياسة وارتقا
حمّلتنا من فضل جودك منّةً وبسعيك ثوبُ الجهالة مُزّقا
لست انا ممن يروم بشعرهِ اخذ الجوائز او فخارًا ريّقا
لكنني عارٌ عليَّ اذا اتى يوم السعود ساطعاً متألّقا
والناس تهديك التهاني اجلّها وانا اضاهي ابكماً قداطرقا

. . . .

فالورد اضحى باسماً متهلّلا والطلّ في سلك الغصون ترقرقا
هبّ النسيم مُحرّكاً افنانها فنمى اريجُ الزهر فيها وعبّقا
وترنّمت اطيارها في دوحها سحرًا فهيّجت الفؤادَ الشيّقا
بسمت ازاهرها على كثبانها وشدا هزارُ السعد فيها وشقشقا
وكذا البلابل غرّدت الحانها طرباً وغنّى العندليب وصفّقا

قضى المترجَم خمساً وعشرين عاماً في خدمة التعليم والتهذيب وبينما كانت الاستعدادات حافلة بيوبيلهِ الفضي باغتته المنية فترك في قلوب الذين عرفوه والذين تخرّجوا عليه ذكرًا طيباً

﴿ هرمز ابن القس انطون رسام ﴾ (المتوفى سنة ١٩١١) ولد في الموصل سنة ١٨٢٦ ولما بلغ اشده ارسله اخوه عيسى رسام وكيل الحكومة البريطانية في الموصل الى لندن ليتلقى في مدارسها العلوم فنال منها النصيب الاوفى . ولما بلغ التاسعة

عشرة من عمره اكبّ على درس الآثار القديمة واستمرّ في طلبها من كل فن وعلم حتى اخذها بجذافيرها واكتسب شهرة ذائعة فعُدّ بين النوابغ الافذاذ في معرفة التاريخ القديم . ودُعي من ثمة الى مرافقة الرحالة الشهير السر اوستن هنري لايارد لمساعدته في الاستقصاء الذي كان يقوم به ذاك الاثري فيما بين الانقاض والخربات الاثورية . وفي سنة ١٨٤٧ عاد كلاهما الى انكلترا فدخل المستر رسام الى جامعة اوكسفورد ليتكمل في درس الآثار وبعد مكوثه فيها نحو سنتين انفذه المتحف البريطاني ليكون مع السِر لايارد في حملته الثانية ثم عهد اليه بهذه الحملة فاستقصى الاثار واكتشف في نينوى على قصر اشوربا نيبال . ولما نفدت التخصيصات المالية لهذا العمل قفل البحاثة رسام راجعاً الى انكلترا سنة ١٨٥٤

ثم انتدب الى مهمة سياسيَّة في عدن على اثر الفتن التي ثارت سنة ١٨٦١ بين امام مسقط وبين اخيه سلطان زنجبار فارسل رسام مع اللورد الفينيستون حاكم بومبي ليمثل الحكومة البريطانيَّة في مسقط وكان ثمَّ الحاكم البريطاني العام يسعى بامر الصلح بين الاخوين فابلى المستر رسام بلاء حسناً في هذا الميدان ونجح في مهمتهِ نجاحاً باهرًا فنال من دار الحاكمية السامية شكرًا جزيلاً وجائزة نفيسة لقاء ما بذلهُ من المساعي في خدمة الحكومة

ولما بلغ الوزارة الخارجية البريطانيَّة سنة ١٨٦٤ بان تيودور ملك الحبشة القى القبض على وكيل الحكومة البريطانية في بلاد الحبشة وعلى غيره من الاجانب وسجنهم واساء اليهم أنفذ ايضاً المستر رسام الى بلاط العاهل الحبشي بكتاب من ملكة الانكليز تطلب فيهِ اطلاق سراح الاسرى المسجونين فرحل الى مَصوَّع ميناء الحبشة واقام فيها حولاً كاملاً يراسل ملك الحبشة طالباً منهُ الامان لنفسه . ثم ورد الجواب من الملك المذكور يدعوه الى بلاطه وكان رسام مصحوباً بالضابط بريدو والدوكتور بلان فقوبل في البلاط بحفاوة واكرام ولما اوشكت مهمته ان تتكلل بالفوز حدث انحراف جديد بدسائس الاجانب فعاد الملك تيودور الى تنمره وافضى الامر الى حبوط المسعى . فاسر رسام نفسه مع صاحبيهِ وارسلوا مع بقية المسجونين الى ماجدلا حيث كبلوا بالاغلال وزُجوا في السجون واقاموا في الاعتقال نيفاً وسنتين ثم اطلق تيودور سراحهم صلحاً في ربيع سنة ١٨٦٨ وقد نشر رسام

اخبار الوفد البريطاني الى العاهل الحبشي ووصف حالة تلك البلاد التي مرَّ بهـا وفي كتابه هذا فوائد جزيلة

ثم انتخب ايضـاً من المتحف البريطـاني ان يقوم بادارة الحفريات في العواصم الاثورية والبابلية والارمنيّة فاعطي مرسوماً سلطانياً من الاستانة ونجح بهذه الحفريات واغنى المتحف البريطاني بالآثار الثمينة التي وجدها في هذهِ العواصم القديمة ومن تلك العاديات رتاج نحاسيّ مقام لذكر حروب شلمناصر الثالث (٨٥٠ ق م) وجـده في بلاوات قريباً من نينوى ويبلغ طول هذا الرتاج المزّين بالنقوش البديعة الصنع نحو عشرين قدماً . واكتشف ايضاً على اهم العواصم الاثورية القديمة مثل سيپارا وسفرامم وكوتاه

اما مؤلفاته في هذا الباب فاشهرهـا (١ً) اثور وارض غرود طبع في نيويورك ١٨٩٧ (٢ً) جنة عدن (The garden of Eden and biblical sages)

(٣ً) الاراضي الكتابية (Biblical Landes)

اطلعنـا على بعض الصحف الانـكليزية التي اطرت نبوغ المستر رسام فقـالت احداها : من الصعب ان تجد فيما بين الذين استوطنوا العواصم البريطـانية وتثقفوا في جامعاتها واشتهروا بالفنون العسكرية والبحرية والسياسيّة رجـلًا خدم وافاد اكثر من المستر رسام الاثري الكبير الذي اليه العالم مدين في القرن التاسع عشر بما اكتشفه من مخبيات العصور القديمة وبما استخرجه من بطون الارض من العاديات النفيسة التي اكملت نواقص التاريخ القديم

﴿السيد توما اودو مطران اورمية﴾ (المتوفى سنة ١٩١٥) وُلد في القوش من قرى الموصل سنة ١٨٥٥ وارسل منذ حداثته الى رومية فتثقف في العلوم وعاد الى الموصل سنة ١٨٨٠ ثم ارسل الى حلب في شؤون طائفية ولمـا ثارت الفتن في بلاد العجم قُتل المطران المذكور مع ابرياء كثيرين من ابناء طائفته بيد الاتراك في السنة المذكورة

كان المترجَم عالماً في الفلسفة وفي الفقه ومتضلعاً من اللغة الارامية فصنف كتاباً في الفقه الكنائسي وطبعه في الموصل وصنف ايضاً كتـاب كنز اللغة الاراميـة في مجلدين كبيرين طبعا في مطبعة الدومنيكيين في الموصل سنة ١٨٩٧

﴿الاب شموئيل جميل﴾ (المتوفى سنة ١٩١٧ ميلادية) كانت ولادته في تلكيف من قرى الموصل ١٨٤٧ وانضوى منذ حداثته الى الحياة الرهبانيّة في ربان هرمزد بجوار القوش وارسل الى روما ١٨٦٩ وقضى فيها عشر سنوات فتفقه في العلوم ثم عاد قسيساً الى وطنه واقام يدرّس في دير السيدة مدة سنتين ونيف ثم انتخب رئيساً عاماً على اديرة الكلدان وارسل ايضاً زائرًا بطريركيًا الى الجبال الهكارية سنة ١٨٨٥ فتوغل في تلك الجبال وتوقل في ذراها وتفقد قراها الكبيرة والصغيرة متنقلًا فيها حولًا كاملًا فكتب رحلته في تلك الجبال الوعرة المصاعد ووصف مواقعها ومرافقها وطبائع اهاليها وصفاً دقيقاً ومن هذه الرحلة نسخة خطية وجدناها في مكتبة دير السيدة بقرب القوش

وانتخب ثانية لرياسة الاديرة وبعد انتهاء المدة سافر الى روما وكيلًا بطريركيًا ثم انتخب ثالثة للرياسة فاضطر الى العودة الى الموصل ومكث يخدم الاديرة العائدة الى طائفة الكلدان فزاد في ابنيتها وابتاع لها اطياناً قاصداً بذلك توسيع اعمال هذه الاديرة وادامة مشاريعها الخيرية كانشاء المياتم والمدارس وغير ذلك

وكان فيما سوى ذلك مكبًّا على المطالعة والدرس والتأليف فكان قلمه الساحر في اللغة الارامية يجري جريان الماء المنسجم نظماً ونثرًا وها اننا نذكر بعضاً من تصانيفه العديدة التي تبلغ عدداً نحو العشرين مؤلفاً

١ً كتاب قواعد اللغة الارامية منهُ نسخة خطية في مكتبة دير السيدة ٢ً تاريخ انتشار البدعة النسطورية في الشرق منه نسخة في مكتبة دير السيدة . ٣ً كتاب الردود على البروتستانية طبع في بيروت ١٩١٠ . ٤ً كتاب جامع المؤلفين وفيه ترجم المؤلفين الذين وردت اسماؤهم في الجدول الشهير بجدول الصوباوي وفي هذا الكتاب فوائد شتى وجدنا منهُ في دير السيدة نسختين احداهما بخط المؤلف وهي المسوّدة والثانية نسخة معتنى بها وينتقد فيه على ايراده اخبار المؤلفين دون الاهتمام بذكر تآليفهم على نسق الكتب الادبية والفات نظر المطالعين الى النقط التاريخية التي تقع تحت رحمة الانتقاد . ٥ً كتاب المواصلات الفه في اللغة اللاتينية وطبعهُ في روما ١٩٠٢ وفيه من الموارد التاريخية الهامة . ٦ً الدفاع الذي قام بهِ الاباء المشارقة عن الايمان وذلك عند مثولهم بين يدي كسرى بن هرمز ملك الفرس سنة ٦١٢

ميلادية الفه في اللغتين الارامية والـلاتينية وطبعه في رومـا . ٧ً الشيعة اليزيدية استخرجــه من الارامية الى الايطالية وطبعه في روما سنة ١٩٠٠ وله ما عدا هذه تصانيف عديدة ورسائل مفيدة محفوظة في مكتبة دير السيدة

ومن ادباء هــذا العصر طــائفة تلقت الادب العربي بجرس اشعي بينما كانت جذوته قد اوشكت ان تخمد بمساعي الاتحاديين الاتراك فنزعت هذه الطائفة تأثراً بالكثيرين في الاقطـار العربية الى الاخذ بناصر الادب واحياء مآثره بما كانوا يكتبونه من نظم ونثر وينشرونه في ظهراني القوم . فبرّزوا في هذه الصناعة وان لم تكن لهم صناعة خاصة تبريزاً مشهوداً رغماً عن انهاكهم في شؤون الحيـاة التي لم تسمح لهم ان ينبغوا فيها نبوغ من سبقهم في هذا الباب

وقد تقصّينا اثارهم واخبارهم فلم نتوصل الا الى اليسير رغماً عن قرب عهدهم بنا والناس ما زالوا ينوّهون بذكرهم الطيّب ويثنون على شعرهم الثناء العاطر ولكن هذه الذكرى هي خلاصة حسنة عالقة في الاذهان اذ لم نسمع كثيراً ام قليـلاً من نظمهم سوى ما وجدناه لهم في المجموعة الصابونية واشهرهم :

﴿ الشيخ محمد ضياء الدين افندي الشعـار القادري الحاتمي ﴾ (المتوفى سنـة ١٩١٢ ميلادية) كان علّامة عصره ومرجعاً يُرجع اليه في العلوم العقلية والنقلية فكان افصح من نضّد المعاني البليغة في سلك البيان وابلغ من نظم ونثر وقد ترك لنا اثراً جليلًا ممتعاً بالابحاث النفيسة وهو « كتاب السعادة» طبع في الاستانة سنة ١٣٠٩

ومن نظمه البليغ قوله يهنيء الحاج محمد باشا الصابونجي على انتخابه عضواً لمجلس الادارة في الموصل وهذا شيء من قصيــدته العصماء ذات الغرر والــدرر قال (من الكامل) :

راقت مواردها الادارَهْ فحلَت بها الكاس المـدارَهْ

وصفت بمصدرها الامـــير محمـد فلها البشارَهْ

ابدى على صفحاتهـا من حسن طلعته نهـارَهْ

وبثاقبٍ من فكره رام الشهابُ الاستعارَهْ
وبرأيه عقد الصوا بُ خناصرًا امضت قرارَهْ
واذا الجيـاد تسابقت في الفضل ما لحقت غبارَهْ
ولهُ الاكفُّ مشيرة والحرّ تكفيهِ الاشارَهْ
وبهِ انتهى شأن الاكا بر فالمكابرُ في خسارَهْ
تغنيهِ عن حدّ الظبى لحظاته ان رام ثارَهْ
ملك القلوب باسرها يا ربح هاتيك التجارَهْ
راقت شمائلـه كما راقت بمنطقيَ العبارَهْ
لما انتقاه نخبـةً والِ بهِ تسمو الوزارَهْ
ارختـه بمحمـد شرفاً رقى نجمُ الادارَهْ

﴿ داود افندي الملاح ﴾ (المتوفى ١٩١١ ميلادية) الشاعر البليغ والناثر الفصيح وقد اجاد من قال فيه: كان ملّاح سفينة البيان وغوّاص بحر المعاني لاستخراج اللؤلؤ والمرجان ارتدى الذكاء حليته والادب حلته واتخذ الفضل انيسه والكتاب جليسه والحكمة عقاره والعلم شعاره . فن نظمه هذان البيتان البليغان مهنئاً مؤرخاً فقـال واكرم به من قائل (من الطويل) :

محمدُ لا زالت سعادة مجدكم مدى الدهر يتلوها فخـار مجدّدُ
وهنّاك ارباب التهاني وأرّخوا برتبتك الاقبال حلّ محمّدُ

﴿نجيب جلبي جلميران﴾ (المتوفى سنة ١٩١٧م) نبت في تربة الفضل وازهر في روضة الادب حمل محامد المزايا واثمر مكارم السجايا . فكان واسطـة عقد الادباء وزهرة حديقة النجباء . ومن نظمه قولهُ مهنئاً ومؤرخاً (من البسيط) :

دار السعادة منها البرق بشّرنا برتبةٍ ملأت كل القلوب هنا

انّا نهنيك يا عين الكمال بها كما نهنّي بك العليا وانفسنا
السعد ناداك اذ جاءت يؤرّخها محمد نلت بالتوفيق ابهى منى

وقال ايضاً (من الوافر):

محمّد للعلى لا زلت ترقى فان لك الندى والجود دأبُ
اتت رتب العلى تترى فارّخ محمّد للادارة انت قطبُ

﴿عبد المجيد افندي المتولي﴾ (المتوفى سنة ١٩١٧) كان بزّازًا واشتغل ايضاً بالشعر فجال في ميدانه جولاتٍ احرز فيها السبق ونبغ فيها نبوغاً مشهورًا حتى انهُ كان يرتجل الشعر فمن ذلك انه سرقت له بضاعة يوماً وكان يجاوره رجلان احدهما حافظ والآخر امين فانشد على الفور (من الخفيف):

سرقوا اجمل البضاعة مني يا لقومي لفقد كل ثمينِ
وعجيب من سرقت قد توالت وانا بين حافظٍ وامينِ

وانشد ايضاً يهنئ ويؤرخ (من الكامل):

بمحمد سعدت لعمرك رتبة وبغيره بين الورى لم تسعدِ
ما زيّنته رتبة اذ أرّخوا رتب العُلى هي زُيّنت بمحمّدِ

﴿ احمد افندي بن جرجيس بك ﴾ كان نادرة اهل الفضل ومن نظمه قوله يهني (من الوافر):

ادام الله سعدك بالترقي مدى الازمان ليس لهُ نهايَهْ
والاء الاله اليك تجري بفيض الفضل من عين العنايهْ
ويكفيك المهيمَن كل شر لتبقى في الورى فيك الوقايهْ

فانت اليوم في الحدباء ركن تقوّت فيهِ اركان الولايَه
وانت الشهم في الانجاب ندب لحل المشكلات بهِ الكفايَه
وانت الفرد في الامراء لكن توازنُ منهمو في العدّ مايَه

﴿ محمد علي افندي بن حسن آغا ﴾ جرى في هذا الميدان وقال شعرًا سلساً سهل المتناول ومنهُ هذه الابيات في المديح (من الكامل):

رُتب العلى وافتك من ملكٍ خضعت لديهِ العجم والعربُ
ولأنتمو اهلٌ لكل علًى ومقامكم اعلى ولا عجبُ
فلكم اذا ماس ما ذو حسَب حسَب سما ما فوقهُ حسَبُ
ولكم اذا ما اهتزَّ منتسب نسَب رقى ما ناله نسَبُ
واذا الكرام تحجَّبت فرقاً من طارق ما كنتَ تحتجبُ

هؤلاء هم الطيبو الذكر وهناك غيرهم لم نتوصل الى نظمهم ام نثرهم. وعسى ان الناشئة النجيبة تسير على خطوات الاسلاف لتبقى جنائن ام الربيعين نضيرة مزهرة وفيها من كل ثمر زوجان فتباهي الموصل بادبائها الاماجد وشعرائها النوابغ على ممرّ الاجيال

فهرس اسماء الاعلام



فهرس الكتاب

تصحيح الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣	٨	نعكر	نكر
٣٦	١٣	الفنية	الفنية
٣٧	٩	حرثك يعزلُ	حرثك يعزلِ
٣٨	١١	يتنية	بتنية
٣٩	٨	مراضيع	مواضيع
٣٩	٢٣	الرشو	الرشق
٣١	٣٣	الملكيين	المكيين
٣٩	١٧	اذا اقتفى	اذ اقتفى
٤١	١٥	القوا	الغوا
٤٣	٤	لأنس	الأنس
٤٣	٤	حجت	مُجّت
٤٥	١٥	الاختلاق	الاحتلاف
٤٦	٦	٣٦٨	٨٦٨
٤٨	١٣	الناقصة	ألفُ قِصّة
٥٦	١٤	الدهرَ	الدهرُ
٥٨	١	مطارقاً	مطارفاً
٥٨	١	ركنا	دُكْنا
٥٨	١٣	اذ رايت	إذا رايت
٥٨	١٤	القرح	الفرح
٦٣	٤	عذرَنا	عذرُنا
٦٤	١٠	القيصرة	التبصرة
٦٧	٣	تاريخاً	ناريخاً
٦٧	١٠	ولا	ان
٦٨	٥	العبارية	العبادية
٦٩	٥	اوردناه	اوردناها
٧٠	١	أكثر واحسن	أكثروا واحسنوا
٧١	٢٣	٤٨١	٣٨١
٧٣	١٣	تسيطرها	تسيطرهم
٧٥	١١	صرقهن	صَرِفْنَ
٧٥	٨	قُفو	قفو
٧٨	١٦	الصوص	القصوص
٨٣	١٣	العقاب	العتاب
٩٣	٢١	بمشبة	معشبة
٩٩	١٣	٥٧٧	٥٨٧
٩٩	١٤	الافضل . ثم خرحت دمشق من حوزته فلاذ ضياء الدين	
١٠١	١٣	حمامةٍ	حمامةٌ
١ ٤	٨	٦٧١	٥٧١
١ ٧	٩	يا ربٍّ	ما ربِّ
١١١	٣	ملولا	مَلالا
١١٣	٣٣	عن	على
١١٤	٣	ديوان	دواوين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٠	١٥	الوصفين	الوصفين
١٣١	١٥	سنة ٧٠٨	سنة ٦٠٨
١٣١	١٨	القكرات	المتكرات
١٣١	١٩	الطلامات	الفلامان
١٣٧	٥	الشامَ	الشامِ
١٣٧	٨	غدًا	غدا
١٣٣	١٨	سنة ١٠٩٦	سنة ١٩٠٦
١٤١	١٧	وصلاتي	وصلاني
١٤٣	٢	كواكبِ	كواكبَ
١٤٣	٣	رؤوسها	كؤوسها
١٤٩	١٣	فاشًا	فاشيًا
١٤٩	٢٠	الحُباب	الحَباب
١٥٧	٥	عاش	عاش قبله
١٦٠	٦	اقوالنا	اقواله
١٦٠	٩	اربي	ادبي
١٦٠	١٧	احتوى	اجتوى
١٦١	٩	لآيسا	لآيا
١٦٣	١٧	ابي	ابى
١٦٣	١٩	خشاش	حشاش
١٦٤	٣	القشيبة	التشبيه
١٦٩	٦	المصري	السمري
١٧٥	٨	ملتحنًا	ملتجئًا
١٧٥	١٩	النهى	النهي
١٨٣	٢٦	تراجم . ٢ً كتاب راحة الروح منه نشخة في برلين	
١٨٦	١٣	ولكنّ كان	ولكنْ كأنّ
١٨٨	١٨	مؤملا	مؤتّلا
١٨٩	١٥	الحواري	الحدادي
١٩١	١٣	يشق	بشقّ
١٩٣	١	القفا	القنا
١٩٣	٤	صاح	ماح
١٩٣	٢٢	الورق	الودق
١٩٦	٤	الطُرس	الطِرس
٢٠٣	٥	الجرحية	الجرجسية
٢٠٣	٧	خفكم	حفكم
٢٠٣	١٤	يعمبر	يعنبر
٢٠٤	٤	لاتدري	تدري
٢٠٥	٤	علي ملاثم	ثم على ملّا علي
٢٠٥	١٤	تاريخه	تاريخهُ
٢٠٧	١٠	بجحر	بجمر
٢٠٨	١٩	وكان منه	وكان الفراغ منه
٢١٣	٦	متذّر	معتذر
٢١٣	٧	بساط	بساطِ
٢١٣	٨	منذرهٌ	منذرهُ
٢١٥	١٧	غصا	غضا
٢١٧	١٩	الحدباء	الحدباء
٢١٩	١٤	فيبينْ	فيبينُ
٢٣٤	١٤	رغبتهم في تعيين يحيى باشا والياً على الموصل اذ كان تعيين	
٢٣١	١٠	وابت	وابتُ
٢٣٣	١٣	هندية	هندبة
٢٣٥	٨	قفا	قِف
٢٣٩	١	بخرافات	بمرادفات
٢٤١	٢	عن الاطلاق	على الاطلاق
٢٤٤	٧	العائيات	الثانيات
٢٤٦	١٠	فأيت	تأيتُ
٢٤٧	١	تصَلْ	تصِلْ
٢٤٨	١	وإنْ	وإن جلا
٢٤٨	٦	فلا	دُ فلا
٢٤٨	٦	يجلو	يحلو
٢٤٩	١	المتصجع	المتفجع
٢٤٩	١١	واطوقت	وطوّقت
٢٥٠	٣	الفور	الغور
٢٥٣	٩	القبر	التبر

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥٩	٣	جددِ	جُدُد
٢٥٩	٩	حجه	حجةٌ
٢٦٣	٢١	القوارم	القوادم
٢٦٣	٢٥	اغتياق	اغتباق
٢٦٤	٣	بغدو	بغدوٍ
٢٦٥و٢٦٦	١ او ٥	عزز	وغرير عزيز
٢٦٨	١٩	ديوانه	ديوانٌ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٦٩	٣	بالعرم	بالعزم
			في شؤون طائفية ولما عاد منها
			تطرن سنة ١٨٩٣ على اورمية وأقام
٢٧٦	٢١		حتى الحرب الكونية . ولما
٢٨٠	٥	تترح	تترى
٢٨٠	١١	سرقت	سرقةٍ
٢٨١	٨	ماسَ ما	ماماس

ملحق بتصحيح الخطأ

اثبتنا في صحيفة ٢١٢ من هذا الجزء ترجمة قاسم بن يحيى الشهير بخضر باشي كما وردت الينا ممن وُجد عندهُ ديوان هذا الشاعر . واثبتنا في صحيفة ٢٤٧ ترجمة قاسم حمدي الشهير بالسعدي وقد وقفنا على شيء من ترجمته ونظمه في كتاب ترمة الدنيا . وبعد طبع الترجمتين عثرنا في الموصل على ديوان (مخطوطة) يذكر اسم الشاعر في المقدمة قاسم بن يحيى وفي ختام الديوان يسميه بقاسم بن يحيى السعدي ووجدت بعض القصائد التي وردت الينا لقاسم بن يحيى خضر باشي هي عين القصائد التي جاءت في الديوان لقاسم بن يحيى السعدي . فهل كان آل السعدي وآل خضر باشي يومئذٍ بيتاً واحداً . فبعد السؤال تبين لنا ان ذلك من المظان الحرية بالاعتبار

